القس صموئيل مشرقى

يقـــدم

حقيقـــة الثالـــوث

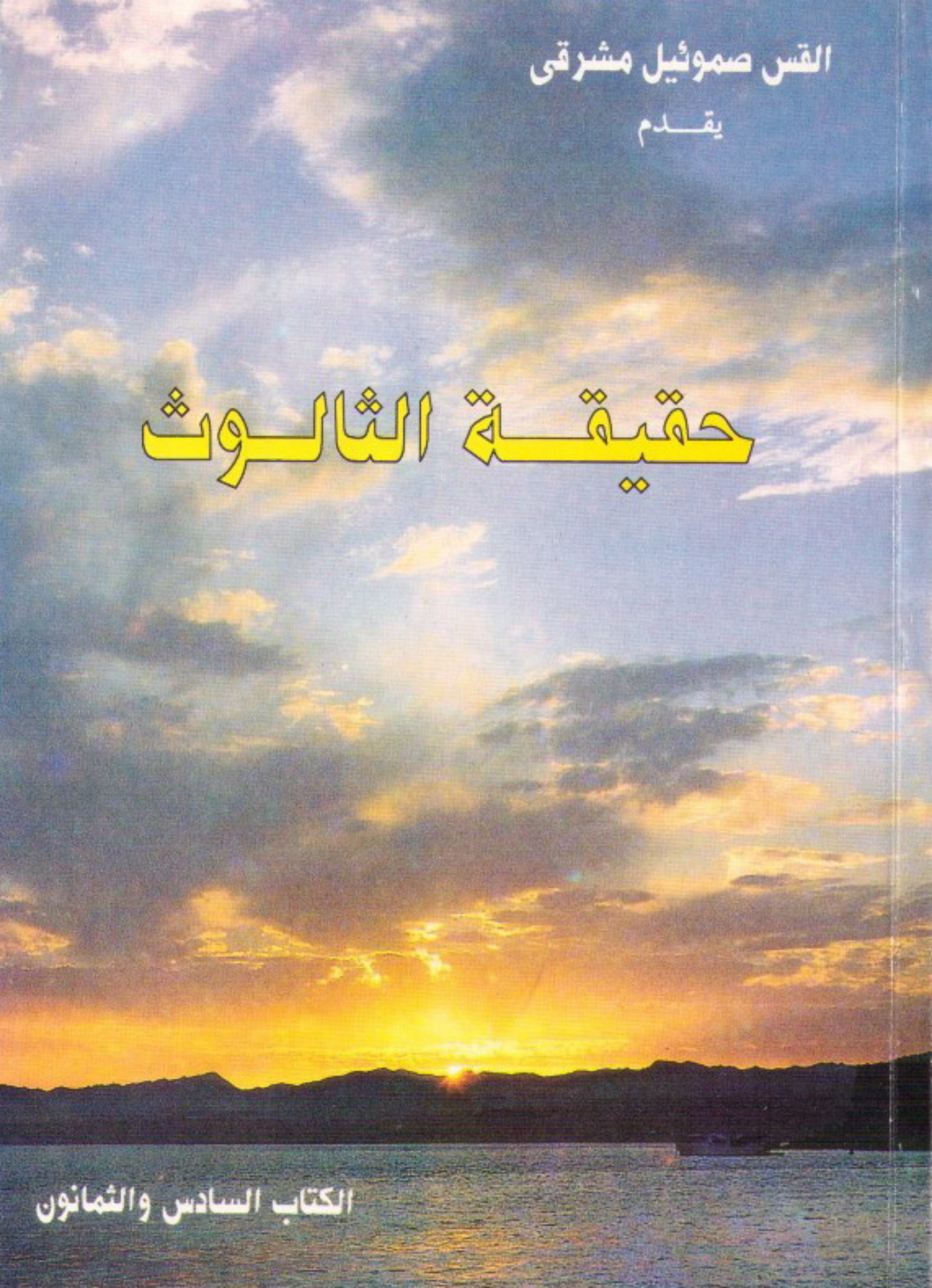

الكتاب السادس والثمانون

المؤلف رائد الانطلاق الروحى على منبر كنيسته التى كرس حياته لرعايتها، وهى الكنيسة المركزية لكنائس مجمع الله الخمسينى على مدى أكثر من ثلث قرن من الزمان، وهو يواصل طلعات إنطلاقاته التى بها أخذ شعبه إلى الآفاق العليا من الروحانية الكتابية الأصيلة.

لمحات موجزة

عن مؤلفات القس صموئيل مشرقى وهى ليست كل ما وصله بشأنها :-

* «مؤلفاتكم هى قصة كفاح متواصل لقضية الحق والمصير للبشرية لإنقاذ الغرقى من دوامات الجهل والضلال». **عماد يوسف بطهطا**

* «كتبكم حلقات فى تلك السلسلة الذهبية المرصعة بما فيها من دفاع عن حق الإنجيل وعن لاهوت المسيح وباقى اسرار الالوهية ... إن مؤلفاتكم هى شهادة حق ضد روح الضلال فلا عذر امام الله ولا مناص من جهنم لكل إنسان لا يقرأها لاسيما وانكم نشرتم بعضها مع الجرائد اليومية». **سعيد مرقص خادم الإنجيل**

* «كتابكم الممتع والشيق «من يستحق ان يكون الأعظم» وصلنا وقرأناه ووجدناه - بالفعل - من أعظم ما كتب خلال العشر سنوات الاخيرة». **ممدوح باسليوس المحامى**

* «تحية اعجاب وحب لرجل من رجالات الكنيسة ممن يناضلون لاجل احقاق الحق، ويكافحون من أجل ايصال نوره بلا مساومات أو مهادنة أو مجاملة». **نشأت أبو الخير بالاسكندرية**

* «اما كتاب : «المسيح كلمة الله» فانه يصلح لأن يكون رسالة دكتوراه فى اللاهوت لاستيفاء وعمق محتواه وتميزه بالتسلسل المنطقى فى السرد والاستقراء، كما تزكيه مميزاته لتقريره على طلبة كليات اللاهوت ضمن برامجها الدراسية». **داود نجيب بالاسكندرية**

الكتاب السادس والثمانون

حقيقة الثالوث

و

الرد على المنكرين

الكتاب الذى يشرح العقيدة المسيحية فى الإلوهية
ويرد على كافة الإعتراضات

بقلم
القس صموئيل مشرقى رزق
رئيس مجمع الله الخمسينى

الطبعة الأولى - جميع الحقوق محفوظة

صدر بالقاهرة فى شهر فبراير ١٩٩٥
عن الكنيسة المركزية للمجمع - ت ٧٧٥٦٧٦
٨ ش أحمد باشا كمال بجزيرة بدران - شبرا مصر

رقم الإيداع ١٩٩٥/٣٤٢٢

اوتو برنت
ت ٥٧٢٩٥٦٣

تقديم

مما يثير الدهشة حقاً تحالف نقاد المسيحية فى الشرق مع مدارس النقد العصرية فى الغرب فى الإتجاه إلى "**التفسير العقلى**" الذى أوصلها الى الطعن فى الوحى والتشكيك فى أساسيات المسيحية ...

وتزداد الدهشة لإتخاذ العديدين من أهل التفسير فى المسيحية الموقف المضاد لتأييد "**التفسير التسليمى**"، الأمر الذى حدا بهم الى التحذير من التفسير العقلى ...

وفى كلتا الحالتين نجد أن الإستناد لدى الطرفين إنما هو الى بيانات غير واضحة ولا قاطعة الصحة، تحوى الكثير من التأويلات والمبالغات، **مما يتعذر معه الحسم فى العقائد الدينية على الوجه المرضى!!**

ومع أن الحقيقة الدينية - بوجه عام - فوق أدلة الإثبات أو النفى لإستحالة خضوع الوحى للعقل، إلا أن ذلك "**لا يمنع دور العقل من المعرفة**" لكى تتبين له الحقيقة، **رغم الأراء المتصارعة التى لايعتبر وجودها فى أية دائرة من دوائر المعرفة إنتقاصاً لها أو إعداماً لقيمتها**، وذلك دون تجاهل لأسباب الوجدان التى تنبعث من البديهة بخبرتها المباشرة، **وهى لاتقف عند حد الدليل العقلى بل تتجاوزه إلى إقرار الإيمان بالحقيقة بحسب الإعلان المتكامل الذى أتى به الوحى عنها، وهو الذى يحتويها دون سواه!!** ولا يزال هذا الإعلان قائماً ولم يتغير، يجتمع فى رحابه من تلتقى كلماتهم ورأيهم وفكرهم فيه بإعتباره الحق الكامل الذى هو أمانة عند من قبلوه من ربهم يحرصون عليها، دونها كل ما فى هذا الوجود الزائل!!

* * *

ومما لاشك فيه أن القول بسرية العقائد الدينية وعدم قابليتها للفهم إنما هو

نسبى لايقتضى الشمول، إذ ليس من الإمكان من وجهة "**الدليل المنطقى**" السماح للباحث الدينى بالإستشهاد بالقرائن التى يكون فى مصلحته، مع تجاهل شتى القرائن التى تتعارض مع رأيه، ومع ذلك فإن هذا هو ما لجأ اليه بعضهم لتغطية عجزهم عن تقديم "**البرهان القطعى**" فى تأييد العقيدة التى يعتنقونها ...!!

ومن ثم فاننا لانقبل ممن يأخذون الأمور على علاتها دون بحث للإهتداء، أن يحكموا على الثالوث بالبطلان فيميلوا إلى مايكتب ضده، رغم أنه قد يحتوى على الكثير من الإسفاف والتهجم، لدرجة أن هناك من يتكلم عنه بكلمات السخرية والتجديف. **ولو أنصفوا لأنفسهم لوقفوا على الحياد قليلا، إلى أن يعرفوا الحق وتنجلى لهم الحقيقة!!**

وإن كان ليس هناك إلزام لقبول ما يتصوره العقل مستحيلا، إلا أن كثيرين من الناس متى سمعوا أمراً مخالفاً لما استقر فى أذهانهم أو ورثوه من أسلافهم أو قبلوه من مرشديهم حسبوه مستحيلا وازدروا به قبل أن يستوعبوا مضمونه، **مع أنه قد يكون هو الحق بعينه!!**

وقد يضع بعض الناس قواعد منطقية معينة ويحسبون أن كل ما لاينطبق عليها مستحيلا أو مغلوطاً، والحال أن تلك القواعد نفسها ليست منضبطة ولا عامة وبالتالى فالقياس عليها غير صحيح!! **وتاريخ العالم مملوء من الشواهد على أمور حسبها الناس فى زمن ما مستحيلة ثم عادوا فأقروا بأنها ممكنة، فالعاقل لايجعل فهمه أو ميله الموروث مقياس الممكن والمستحيل!!**

* * *

هذا هو الموقف بالنسبة لهذا البحث الدقيق العميق، الذى خاض فيه كثيرون بغير قدر كاف من العلم فلم يصلوا الى اليقين الواجب بشأنه ... وواضح أن الغرض الأصلى من كل علم أن يزيد الحقيقة بساطة ووضوحاً، وهو يقوم بنفس المهمة

فى النطاق الدينى، مع الاقرار بعجز الانسان فى هذا المجال عن مواجهة معضلات شتى، **إذ ما أكثر من يتصورون الإله وفق ما يتخيلونه عنه، وقد يكون ذلك مخالفاً للحقيقة!!**

ومع أننى قد قدمت فى هذا المجال ستة كتب سابقة وهى : "**الذات الإلهى - الظهور الإلهى - الإلهيات - الإلوهية من وجهة نظر المسيحية - لمحات نورانية عن أسرار الإلوهية - تجليات الإلوهية، ويعتبر الكتاب الحالى عن حقيقة الثالوث سابعهم**"، إلا أنه قد ظهر إزاء استمرار مهاجمة الثالوث الأقدس بإعتباره مركز ومحور العقائد المسيحية كلها، لذلك فقد صدعت للأمر الإلهى الذى كلفنى بإعداد هذه الدراسة المستفيضة وتقديمها خلال المؤتمرين ٣٥ و ٣٦ المنعقدين ببيت إيل بأبى قير فى أغسطس ٩٣ ويوليو ٩٤ وها هى تقدم للنشر تعميماً لفائدتها المرجوة من كافة الوجوه لما لها من تقدير خاص يصل الى المساس بالمصير الأبدى الذى لا يعدله شىء آخر فى الوجود!!

* *

ومع أن بعض النقاد يرون ان الجزمية (أى القطع برأى نهائى وخاصة فى المسائل الدينية) يجب ان تترك لاقتناع كل شخص بمفردة فيتمسك به صاحبه فقط، فى حين يجب التساهل مع الآراء الأخرى لمسايرتها، إلا أنه لا يجب ان تصل المسايرة إلى هذا الحد من السهولة، ومع أن الجدل أحياناً يكون ضرورة مؤلمة وخاصة لان اكتشاف الحق قد يستزم ذلك إلا انه يجب أن يخلو من المرارة، مع ضرورة الجمع مع ما يبدو فيه أى تناقض ظاهرى وذلك بتطبيق كل طرف منه على نحو لائق وملائم لضرورة الخضوع لسلطان كلمة الله الشامل وقبول حكمها لانها القياس الوحيد المضبوط للحقيقة الواجب الاهتداء إليها!! وهذا هو اسمى طلب لطلاب المعرفة!!

المؤلف

الفصل الأول

الإعتقاد بوجود الله و مكنوناته

«لأنه يجب أن الذى يأتى الى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازى الذين يطلبونه» (عب ١١:٦)

البحث عن الله ومظاهره :

فى كل إنسان شعور غريزى بوجود الله يصادق عليه العقل الذى دفع الإنسان أمام مشكلات أصله ومصيره الى البحث والتفكير ، كما أعلنت الطبيعة من جانبها عن قدرة الله السرمدية الظاهرة فى ايجادها وتطبيعها ، فساعدت البشر بذلك على معرفة الخالق العظيم! ومن ثم جاء إعلان الوحى تحقيقاً طبيعياً لسعى البشر فى معرفة هذا الكائن الأعلى وكشف طريق الوصول اليه ... وانتقل بذلك الايمان بوجود الله من دور التلقين الى دور اليقين!!

وقد شهد تاريخ البشرية العام على أنه لم تكن هناك عقيدة هيمنت على عقول البشر مثل الإيمان بوجود الله، فلم يوجد قط مثيلها فى التأثير على الأفراد والشعوب:

ذلك انه منذ وجد الانسان نفسه على مسرح الوجود وهو دائب البحث عن معنى وجوده - مصدره وسببه ونهايته - ولهذا لم يكن بحث البشرية عن الخالق بالأمر الغريب، ولايدل على أنها تبحث عن محال، بل كان لأن اهتمامها باكتشاف موجدها أمر لايفوقه فى الأهمية شىء اذ بدونه لايهدأ لها بال ...!

وثبت بذلك أساس (العقيدة الالهية) فى العقل والاختبار، وأضحت تلك

العقيدة قوة مطلوبة لايستغنى عنها من وجدها، ولا يطيق الفراغ منها من فقدها...

ولذلك كان طلب البشر لله أقوى حجة على وجوده تعالى، وإلا فلماذا هذا الطلب، وما الباعث عليه فى كل مكان منذ فجر التاريخ!! وهذا ظاهر فى انشغال كافة الشعوب بالبحث عن الله، والإ لما اجمعوا على التدين، وهم متفرقون فى ارجاء الارض ... وهكذا ظهر التدين الفطرى منذ الاجيال الأولى إلى ان ظهر «الاعلان المكتوب» على يد موسى أول كتبة الوحى!!

وواضح من ذلك ان كل محاولات الملحدين إثبات عدم وجود الله قد باءت بالفشل، لأن العقيدة الإلهية، كانت ولاتزال دائماً شغل البشرية الشاغل، لانها فى كل كائن من افرادها، بدليل الاعتقاد باله أعلى عند الوثنيين، وظهور العقيدة الدينية حتى فى المتوحشين من البشر!! وذلك يشهد بان الانسان بطبيعته لا يطيب له العيش بدون ان يتخذ لنفسه الهاً له يسجد واياه يعبد!!..

هذا الذى قلناه بصدد البحث عن الله قد تعددت مظاهره، فأخذت الفلسفة دورها فيه عندما تساءلت عن علة هذا الوجود البديع الرائع، فقررت بداهة عن طريق ترجيح المنطق الصادق ضرورة وجود موجد للكائنات هو المحرك الأول لها:

وذلك لأن الاشياء تبدأ من بدايتها، لانه لايمكن أن يوجد منها شىء بدون أن يكون له بداية، والبداية حركة اذ انها المرور من حالة العدم الى حالة الوجود - ولما كانت جميع الحركات مقيسة بالنسبة الى المكان والزمان، فهى اذاً متناهية، وعلى ذلك تكون محدثة، وكل محدث يحدث عن علة، ولايمكن التسلسل فى العلل، فلزم القول بعلة أولى غير محدثة وهى (الله) المحرك الأول لكل الاشياء :

واذاً لابد من الانتهاء الى محرك أول أزلى - والإ تبقى الحركة بلا تفسير

معقول - هذا المحرك الأول له الثبات وحده دون باقى المحركات والمتحركات، ويكون سبباً فى تحرك الأشياء بوجه مطلق ..

انه العلة الأولى الواجبة الوجود بحيث لايقال بشأنه تعالى من أين أتى؟ ولا كيف هو موجود الآن؟ فاذا ما تساءل عقل انسان : من صنع الله؟ أو من أوجده؟ ومتى وجد؟ وماذا كان قبله؟ فان هذه اسئلة تتهاوى على صخرة المنطق لانه العلة الاولى والمحرك الاول، علة كل الموجودات دون أن يكون معلولا له علة - ولذلك فهو الازلى الذى ليس له قبلية ولا بعدية، اذ ان هذه من فعل الزمان، وهو منزه عن الزمان غير خاضع له ولا مشتمل به، بل هو خالق الزمان!

ولذلك فإن ردنا على الاسئلة سالفة الذكر هو انها هواجس الحادية تدل على كفر شنيع، لانها بطبيعتها تفوق ادراك العقل البشرى المحدود، ولذلك فهو لايقوى على احتمالها. لانه لو كان ممكناً حصر ذات الله فى العقل المحدود لكان سبحانه دون مستوى العقل، ولسما ضعف العبودية على كمال الربوبية، وهذا منطق معكوس لأن وجوده منزه عن علة أو واسطة، لانه خالق كل شىء دون ان يخلق ذاته او يوجدها، فلا قديم غير ذاته ولا كائن قبله، ومن ثم فان الاسئلة سالفة الذكر تنقض نفسها بنفسها، لانه واضح انه تعالى العلة الأصلية للوجود وهذه لاتفترض علة سابقة لها والإ اعتبرت علة ثانوية، ولذلك فان قاعدة العلل والمعلولات - وهى منطقية اساسية تحتم التسليم بالعلة الاولى، اذ ان منطق العقل نفسه لابد ان ينتهى الى سبب أول لاسبب له، عنده يقف العقل فى نهاية المطاف واذ هو تعالى العلة الاصلية لجميع الموجودات، فلزم لذلك ان لاتكون هناك علة خارجية أوجدته!!

يشهد بذلك أيضاً (الناموس الكونى) - وهو دليل الفلك - ويتضمن معناه حتمية النظر الى آفاق ابعد عند مواجهتنا للكون. اذ لابد من وجود (الاله) الذى لايغزو فقط مناطق الحياة الانسانية كلها، بل يبسط

سلطانه أيضاً على المناطق المجهولة فيما وراء هذه الحدود المطروقة، وذلك يتحدانا بالقول: ارفعوا الى العلاء عيونكم وانظروا من خلق هذه؟ (اش ٤٠: ٢٦) ولذلك فقد أعلن كبلر العالم الالمانى: بأن نظام الاجرام السماوية يؤكد وجود البارى وكذلك بسكال العالم الفرنسى بقوله: ان النظام العجيب الذى يسود الكون يقطع بوجود (منظم له) وشهد بذلك العالم الانجليزى اسحق نيوتن بقوله: «انى رأيت الله فى أعمال الطبيعة وقوانينها» وفى أعقابهم قال أينشتين: أن كل الظواهر الطبيعية وقوانينها الخارقة تؤكد وجود كائن أعلى يسيطر على هذا الكون!!

واما الطبيعة نفسها فانها تقدم دليل التوازن المعقول بإعلانها عن وجود الله بالقول: انه مادامت الكائنات خاضعة للزيادة والنقصان، فلا بد من وجود سلطة عليا فائقة تقوم بتقدير الزيادة وسحب النقصان لإيجاد توازن ثابت فى الكون، حتى لايحدث فى الطبيعة تغيير جوهرى يؤدى لاختلالها. فهو تعالى الذى ضبط كل مافى الكون فى مكانه لدرجة ان تغيير أى شىء قد يحدث اختلالا خطيراً - فهو الذى جعل لكل شىء مقداراً معلوماً، وركب لكل شىء ماينا سبه، وأما إتمام مايحدث من غرائب فى الطبيعة فهو سر مستغلق انما يدل على المبدع الحكيم!!

وأما دليل المنطق فهو الانسان نفسه ليس فقط لأن كل فرد من أفراد الجنس البشرى له تمييز خاص يجعله الوحيد من نوعه، بل لان كل انسان أيضاً يحوى فى ذاته مجموعة فريدة من البراهين المنطقية التى تدل على وجود الله:

فليس الشعور بوجود الله للحاجة اليه فقط، بل لأن لغز الموت وما وراءه لا حل له - بدون الله - وهذا هو **برهان الرهان** - فمن هو هذا الذى يقامر بأبديته وينفى وجودها ويتجاهل كيف ستكون نتيجة ذلك معه اذا ماتقابل مع الله ووجد العكس.

وفضلا عن ذلك فان هناك "**برهان الغاية**" وهو يعنى وجود قصد وتنسيق يهدفان الى غرض معين، وهما فى الكون يدلان على سيد جبار حكيم منظم وإلا لسادت الفوضى وعدم الترتيب فى هذا الكون - وهذا واضح فى تكوين الموجودات وكذلك فى تسييرها وتعيين مكانها وزمانها - فمن الذى ألزم كلا منها التحرك فى مدار معلوم لاتتعداه!؟ فاننا نعلم ان العقل الجبار الذى خلق العالم ورتبه بنظام خاص هو الذى أعد فيه برنامجاً معيناً لكل كائن فيه...

وهناك ايضاً برهان المسئولية الكامن فى ضمير الانسان وهو صوت الله داخل الانسان يوحى اليه التمييز بين الخير والشر ومايرتبط بهما من قانون "الثواب والعقاب" فمن اين استوجب الانسان أن يدين نفسه للحق مالم يكن فى الكون حق مطلق قد غرس فى نفسه هذا الوجوب، ومن أوحى للانسان بأن الحق ولو كان مؤلماً خير من الخطأ ولو كان عذباً!؟ لاشك ان هذا التساؤل يؤدى حتما الى وجود إله أودع فى نفوس البشر محبة الخير وكراهية الشر وبذلك كانت الاخلاق الفاضلة والصفات الادبية قبساً من نور الطبيعة الإلهية!؟

واخيراً فى هذا المجال هناك (برهان الوراثة) فان علم الجينات (وحدات الوراثة) يؤيد وجود الخالق، فانها لو جمعت معاً لتجمعت فى حيز متناه فى الدقة والصغر ومع ذلك يحتشد فيها خواص ملايين البشر بجميع اسرار خصائصهم الفردية والنفسية الموزعة بينهم، وهى تستبقى لكل فرد مقوماته الشخصية، وتحفظ الخواص لكل كائن حى، وهى متفقة فى ذلك مع قانون الوراثة الذى أعلنه موسى فى فاتحة سفر التكوين من أن : "كل شىء يخرج كجنسه". وهو من اعظم الحقائق العلمية التى تؤكد وجود الله...

بل أن تركيب هذا الجسم البشرى لايزال سراً لاسبيل لإدراكه والاحاطة به من كافة الوجوه: الأعصاب والعظام والخلايا والانسجة والحواس وأعضاء الجهاز التنفسى والهضمى والتناسلى ....الخ فان هذه كلها بنظامها العجيب الذى تسير

عليه لتقود حتماً الى الإيمان بالله - فإن هذا التركيب العجيب بحسب قانون الوراثة دليل قاطع على وجود الله!!

الحاسة الدينية النبع الأول للأديان :

ومعناها أن هناك نزوعاً غريزياً فى وجدان كل انسان نحو الإله، وهو بمثابة إقرار منه بأنه مدين بوجوده لخالق عظيم، فكل منا قد أتى الى العالم بغير ارادته، وهو لايدرى كيف سيكون مسيره، ولابمقدوره اختيار العصر الذى يولد فيه، ولا جيل الناس الذين يعيش بينهم، ولا نوع برنامجه ومقر سكنه ومقدار عمره، وهو بالضرورة يسلم بأن هناك خالقاً عظيماً قد ألزم الكائنات شغل أماكنها وأداء عملها... ورغبته فى الله غريزية وهى من أقوى الأدلة على وجود الله، لان وجود غريزة ما فى أى كائن يحمل بين طياته على وجود ماتدعو اليه هذه الغريزة... ومن ثم بقى التدين طبيعة ملازمة للانسان ترجع الى وحى الفطرة والتقليد الوراثى ونور العقل وشعور الضمير

ومن ثم فأيا يكون أصل الإعتقاد بالله، **فإن الحاسة الدينية الكامنة فى البشر هى التى جعلت الانسان مخلوقاً متعبداً غريزياً - وتاريخ الدين معه فى الواقع هو تاريخ البحث عن الله: ذلك أن التدين غريزة أصيلة فى البشر يستحيل لسببها أن يكون البحث عن الله ضرباً من الأوهام -** وهذه الغريزة بالطبع هى التى جعلت وجود الدين فى العالم من الحقائق الواقعة التى نلتزم حتماً بالتعامل معها والاقرار بها. وهكذا استقرت فى الوجدان البشرى كجزء من جوهر الانسان كالعقل!!

إذن فأصل الإعتقاد بالله هو الحاسة الدينية، وهى غريزة طبيعية وجدت فى الانسان بالفطرة لكى تمهد له خطواته الأولى فى طريقة معرفته تعالى، وهى سر ظاهرة التدين التى لازمت البشر منذ وجودهم، وتحولت الى الشعور الدينى العام فى كافة الشعوب - ولاشك أن هذا هو سر قوة العقيدة الدينية وهى التى جاء الوحى المكتوب تحقيقاً لمطاليبها، وبذلك فقد أضحت النبع الأول للأديان!!

يؤيد ذلك دليل العقل الذى يعلن بأن الإيمان بالله هو أكبر فكرة خطرت فى عقل البشرية وهى تدل على أن وجود الله حقيقة طبيعية يبرهن عليها العقل، وهى تنبع نبوعاً طبيعياً فى النفس كأنها علامة الصانع على مايصنع - ولهذا فليس مايزيد عقلنا كمالا مثلها، لأن النظر فى اللامتناهى الذى لاحد لكماله يملأ النفس رضا وطمأنينة.

وعن ذلك يقول ديكارت : «إن وجود فكرة الله فى نفسى ومن كونى موجوداً أنا الذى عندى هذه الفكرة أستنتج وجود الله فى يقين تام .. فهو موجود بالضرورة، لأننا بالرجوع الى أنفسنا نكتشف وجود مثل أعلى فينا نحس أننا ملزمون بتحقيقه، ومثل هذا الشعور هو أكثر من دليل على وجود الله وهكذا ينتهى العقل الى الإيمان ويتكمل به ... لأنه يعمل فى مداه الصحيح الى فكرة وجود موجود كامل لامتناه - وهذه الفكرة واضحة متميزة فإنها تحوى كل ما نتصوره من كمال!! ومن حيث أن هذه الفكرة تمثل موجوداً واحداً حاصلا على جميع الكمالات هو نموذج الكمال المطلق، فلابد إذاً أن تكون قد أتتنى منه، وهى لاتقبل النقص أو الزيادة. وإذن فليست هذه الفكرة حادثة ولا مصطنعة ولايبقى إلا أنها فطرية بسيطة أولية!!»

برهان المسيحية على وجود الله :

وأما إعلان المسيحية الخاص عن وجود الله فهو تاج البراهين كلها، لأنها حققت لنا ظهوره فعلياً وتحقيقياً فى المسيح، فأرتنا إياه عن طريق سر التجسد الإلهى الفائق للإدراك - وهو بالإجماع ليس مما يمكن إختراعه بل هو حقيقة مؤكدة قاطعة بشهادة الوحى والتاريخ والاختبار وبسببها قال الفيلسوف بسكال : إن الله موجود وأن الناس قادرون على إداركه - فقد حضر فى المسيح! كما قال أيضاً بأنه : «ليس هناك مجال للبحث عن الله واثبات وجوده خارج المسيح»

لأنه لما كان البشر يعيشون فى نطاق الزمان والمكان كان لابد لله لكى يظهر ذاته للناس من أن يفعل ذلك فى ظاهرة تاريخية وهى التى

تمت فى زمن معين وفى بقعة معلومة .. فإبتهجت بذلك الظهور الإلهى الأمم وارتاحت اليه الشعوب وآمنت بأن الله قد ظهر فى فادى البشر. فحياة المسيح إذن التى لايقارن بها كل مافى التاريخ مجتمعاً معاً هى أظهر وأعظم ما ظهر فيه الله فى إطار الزمن اذ انها اعطتنا فكرة عملية عن ظهور الله وأن فيه استجابة تامة لمطالب الانسان وحلا لجميع مشاكله!!

ومهما حاول الإلحاد انكار شخصية المسيح الحقيقية والزعم بأنها خيالية بل اسطورة خرافية فإن حقيقة انتشار اسم المسيح واطلاقه على أتباعه بحملهم اسم مسيحيين مع وجود التقويم الميلادى الذى تؤرخ به جميع بلدان العالم انما هما أبلغ شهادتين يقدمهما التاريخ لإثبات شخصية المسيح الواقعية فضلا عما ورد عنه فى كتب المؤرخين مثل يوسيفوس المؤرخ اليهودى وتاسيتوس المؤرخ الرومانى وغيرهما بالإضافة الى ما تقدمه الآثار المصرية عن رحلة العائلة المقدسة!! وهكذا بقيت حقيقة المسيح، وانهارت الشيوعية وتحطمت مؤخراً!!

الحيرة التامة تجاه المسائل الإلهية :

لقد اتفقت الأديان عامة فى تعذر البحث فى الذات الإلهية وعدم جواز ذلك، مقرين فى هذا الشأن بأن الأمر حيرة فى حيرة ... جاء فى كتاب اليواقيت : إن الحق تعالى إنما حير عقول عباده فيه، فقد إنفرد بالحيرة فى وصف كماله، فما علمه سواه، ولا شاهده غيره ولا أحاط أحد به!!

وإزاء ذلك قال علماء التوحيد أنفسهم : إن الخوض فى صفات الله بالظن لايجوز، ومعنى.**ذلك أن التسليم فى المسائل الإلهية أمر يقتضيه العقل ولايأباه لأن القياس إنما يكون فيما يقاس عليه، وما لا شبيه له ولا مثيل لايقاس عليه وإلا كان القياس عرضة للخطأ والوهم والقصور** ... والله جل وعلا بغير شبيه ولا مثيل، إنه سبحانه كمال مطلق والعقل المحدود لايحيط بالكمال المطلق، وهو تاج أوصاف الوجود المطلق أى اللامتناهى لأنه يعنى التفوق

على الأشياء المادية فى البساطة وانتفاء الحدود، **وليس لهذا العقل المحدود أن يقول للكمال المطلق كيف يكون وكيف يفعل؟** وإذاً فهذا الكمال المطلق تعجز عقول البشر عن إدراكه، فهو لايدخل فى حدود العقول، ولايخضع لتجارب العلماء...

ومن ثم لايسوغ لنا أن نتخذ من عقولنا مقياساً للحكم فيما هو فوقها إذ من الواضح أنه لايوجد كائن أخر نظير الله فى الذات والصفات حتى يمكننا الوقوف على حقيقته، فلا غرابة من استحالة أن يدرك كنهه سواه!!

ومادام ليس بوسعنا أن ندرك أعماق اللاهوت هذه، لأننا لاندرك شيئاً بالتمام، فكما نلتزم أن نسلم بما لاندركه تماماً، ينبغى أن نسلم كذلك بكل ماأعلنه تعالى عن ذاته وإن لم ندركه تماماً!!

* * *

فماهية الله لم يستطع الأوائل تفسيرها ولن يتوصل الأواخر الى إدراك كنهها فهى فوق إدراكنا، ونحن إنما ندرك بصيصاً منها على قدر ماوصلنا اليه من معرفة، فمداركنا قاصرة هنا عن إدراكه وإلا ما كان هو الله...

وواضح أنه لم يكشف لنا عن معرفته إلا بالقدر الذى تحتمله عقولنا فأعلنه لنا، رغم أنه تعالى لم يقصد به أن يبين لنا ماهيته تماماً لأن ذلك فوق متناول عقولنا ...

وليس كل ماأعلنه الله عن ذاته فقط موضع حيرة بل أيضاً ماجاء منه عن الآخرة وما وراء المادة، فهذا لايتطرق اليه البحث. وكذلك العجز عن إدراك البشر لكيانهم وأسرار الوجود الذى يحيط بهم - **فهل يكون غريباً بأن الحيرة تستبد بهم من جهة كافة المسائل الإلهية بما فى ذلك وجود الثالوث فى**

الجوهر الالهى الواحد .. وما التثليث إلا حقيقة إيمانية كسائر الحقائق الإلهية الفائقة التى يسلم بها الإيمان لمجرد كونها معلنة فى الكتاب المقدس، مصدر جميع الحقائق الإلهية والذى عنه أخذت كل عقيدة سماوية تؤمن بالله تعالى!! ولهذا فاننا لانجد عذراً لمن يكابر فى الأمور الإلهية التى أعلنها الله عن ذاته بدعوى الحيرة فى أمر التثليث لأن هذه الحيرة فى الواقع تشمل كل مايختص بالذات الإلهية!!

ولا نذهب بعيداً فنقول للمؤمنين بالله : من هو وأين هو؟ فهل فى مقدور أحد منهم أن يجيب عن هذين السؤالين بعيداً عما جاء فى كتب الأديان. فلماذا إذاً رفض عقيدة التثليث والتوحيد لمجرد عدم إحاطة الإدراك بها!؟

وواضح لذوى المعرفة النزيهة أنه ليس الثالوث وحده هو مالا يدرك فى الإلوهية بل كل صفات الله الأكملية هى كذلك .. مثلا : **"كيف يكون الله تعالى قائماً بذاته؟ وكيف يكون علة العلل وغير معلول البتة؟ وكيف يكون أزلياً لا أول لوجوده؟ وكيف يملأ السماء والأرض وكل مكان فى وقت واحد!؟ وكيف يكون عليماً بكل شىء بحيث لايقبل علمه الزيادة ولا النقصان!؟ ومن المعلوم أن هذه هى إعتراضات الكفرة والملحدين، وجوابنا عليها أن واجب الوجود اللامتناهى هو فوق الكيف"!!**

* * *

يتضح من ذلك أن هذه الحقائق لايمكن إدراكها بالبرهان المنطقى والحجج العقلية من غير الكتب المنزلة - وكل مؤمن بالأديان يعلم أنه عاجز عن إقامة مثل هذه الأدلة :

ولذلك فإنه من السخف أن يزعم انسان بأن فى مقدوره أن يدرك هذه المسائل الإلهية فى نطاق إدراكه المحدود - **فكيف به يحاول أن يستوعب كنه الثالوث، مع أننا عندما نضعه موضع البحث نجده أكثر معقولية من أية عقيدة أخرى عن الله الذى حارت فيه العقول من جميع الوجوه!!**

ولهذا لم يجد المسيحيون منذ البداية مشكلة فى مسألة الثالوث تتطلب الحل ولا التأويل، لأنهم أقروا بأن الذات الإلهية فى وحدانية ثالوثها وكذلك من كل وجه لايدرك كنهها سواها، كما أمسك المسلمون من بعد عن البحث فى ذات الله جل وعلا ومايدل عليه كنهها وصفاتها من التوحد أو التعدد ..

لقد أنزل الوحى الاعلان عن الله كاملا لهداية الناس، مع أنه يحتوى على عقائد كثيرة جوهرية وأساسية غير مدركة. فلماذا نطالب نحن بإثبات ما يطلبون منا إثباته، ولديهم فى هذه العقائد الآخرى - عن الله - مالايقدرون على إثباته!؟

فاليهود والمسيحيون والمسلمون لايعرفون شيئاً عن الله إلا ماأعلنه هو عن نفسه، ومازاد على ذلك لايعول عليه ولا يصح الأخذ به لكن هل ننبذ ما أعلنه الله ظاهرياً لأننا لانقدر أن نفهمه ولا لوم على ذلك ... إذ هيهات أن تبرهن العقائد الدينية من أى علم كان، فإن لكل شىء برهاناً من نوعه لايخرج عنه .. **إذاً لماذا المخالفة والرفض فى مسألة التثليث بالذات مع وجود الاتفاق فى التسليم بكافة المسائل الإلهية الآخرى مع تعذر البحث فى الذات الإلهية وكافة ما يتعلق بها من صفات ذاتية أو مطلقة وكذلك صفات الأعمال والصفات الأدبية؟ فإن كل هذه التى تتصل بالله - وشأنها شأن التثليث - إنما هى مدلول وجوده الذاتى الحقيقى الخاص، فهو الكائن بذاته كينونة مطلقة تفوق ما لسائر الكائنات تفوقاً كلياً لايعرف كنهه ...!!**

والتثليث بعد كل هذا ليس بأغرب ما فى طبيعة الله مما يفوق جميعه الإدراك - فلماذا يستشعر البعض الصعوبة فى قبول الإيمان بالثالوث مع الاعتراف بالعجز عن إدراك جوهر الله وكنهه إذ العلاقة بين ذاته وصفاته وغير ذلك من المسائل الإلهية التى هى موضع الحيرة لدى المؤمنين بالأديان الكتابية؟ فلماذا يستثنى التثليث دون سواه ويعترض عليه لكونه غير مدرك!؟ مع أن المنتظر أن يكون هكذا إذ كيف يستطيع المخلوق أن يستوعب كيان خالقه بأى وجه من الوجوه!!

* *

الفصل الثانى

أصل عقيدة الثالوث ومنشؤها

«لأن الـرب إلهكـم إله (الله)
الآلهـة (آلهة)» (تث ١٠:١٧)
«هوذا هذا إلهنا» (اش ٢٥:٩)

نشأة الغريزة الدينية بالفطرة :

«الله» اسم معروف لدينا تعودنا أن نردده - ولكن من اين أتانا الايمان به وكيف نشأ!؟ كان بداية ذلك إنبهار الانسان بروعة المجهول بالنسبة لمصدر حياته وسر الموت الذى به يمضى من هذا المشهد العابر الذى يحتويه!!

ومن هنا جاء البحث عن «الله» وتجلت حقيقة الايمان به، وكان منشؤها «الفطرة» وهى الحاسة أو الغريزة الدينية الكامنة فى البشر، وهى الأساس السليم للعقيدة الإلهية - مما جعل الاعتقاد بوجود إله عاما بين البشر حتى صار التدين طبيعة غريزية أصيلة فى البشر : فمن الذى أوجد هذا الميل الغريزى للتدين فى قلوب البشر وعقولهم، وما سر دوامه على مدى الزمن، وشموله جميع أمم الأرض!!

ألا يؤكد ذلك سر قوة «العقيدة الدينية» مما جعلها محور الارتكاز للوحى المكتوب الذى جاء تحقيقاً لمطالب أحاسيس الفطرة تجاه هذه العقيدة العظمى، وبدأ التدوين فى اثر ذلك بإعلان مباشر من الله بالوحى؟!!

وهكذا ظهر "التدين الفطرى" فى إيمان الاجيال الأولى من البشر بالله، وقد أيده "التقليد الوراثى" ونور العقل وشعور الضمير الى أن شعت أنوار الحقيقة الالهية بواسطة الوحى المكتوب.

وكان ذلك منذ أن ظهر آدم - أبو البشر - متصلا بالله منذ اللحظة الأولى لوجوده، وفى تقاليد الأمم الغابرة نميز صدى ماسمعه آدم من فم الله، ولقد حفظت لنا نقوشها الأثرية صوراً تقريبية لحالة السعادة الأصلية التى كان عليها آدم قبل السقوط وتعتبر هذه النقوش بقايا أعمدة هيكل الحق بعد أن تناثرت واستحالت الى خرافات منذ اقدم العصور، أما الكتاب المقدس فقد سجل اتصال تاريخ البشرية المبكر عن طريق عائلتين : الأولى وقد احتوت سلسلتها على أسماء عشرة من الآباء مابين آدم ونوح وقد ذكروا فى الأصحاح الخامس من سفر التكوين ... وبدأ الله بنوح العائلة الثانية وهى تحتوى كذلك على عشرة أسماء مابين سام وابرام «الذى تسمى إبراهيم فيما بعد»، وبعد ستة أجيال آخرى وصلت هذه السلسلة إلى موسى أول كتبة الوحى، وبذلك أمكن اتصال التاريخ المقدس بين آدم وابراهيم عن طريق شخصين فقط وهما متوشالح وسام، كما تم الإتصال بين إسحق وموسى عن طريق شخص واحد هو لاوى!!

وهكذا يصف العلامة ايدرشيم ذلك الاتصال فى كتابه : "العالم قبل الطوفان" فيقول: "وهكذا تسلمت الأجيال المتعاقبة الى عصر موسى نور الحق بعضها من بعض وسمعت من آدم نفسه قصة الخليقة والسقوط والفداء وذلك عن طريق التحادث المباشر والتخاطب الشخصى، ولا يخفى ما لهذه الطريقة من قيمة عظمى وخاصة فى ذلك الوقت المبكر من التاريخ البشرى".

هذا هو دين "الفطرة" قبل أن يكتمل بالوحى، ومن عجب وقد سردنا تاريخه وواقعه ان ينتسب اليه "دين التوحيد البحت" فيما بعد ويقتصر عليه فى ايمانه بل ويتسمى به، رغم إكتمال الإعلان بما سبق للوحى أن اعلنه عن الله سبحانه وتعالى فيما بعد وإنتقل به من "دين الفطرة" إلى "دين الوحى"!!

التوحيد نقطة بداية الإعلان :

وحين انتشرت الوثنية فى الأرض من بعد مولدها الرسمى فى برج بابل،

وغرقت الأمم فى مستنقع الوثنية عن طريق قبولها الخرافات تخصص علم الأساطير فى جمعها وتفسيرها قد حجبت عنها معرفة «الإله الواحد»، فيما عدا بعض الآثار المتناثرة هنا وهناك، اختار الله «ابراهيم الخليل» ليجدد به رسالة الوحى الخاصة بالوحدانية، وكان ابراهيم بذلك أول رائد فى التاريخ لعقيدة التوحيد، وهى التى حمل بها لواء الدين القويم بتأسيس الديانة اليهودية - وكانت بذلك نقطة تحول فى الإعتقاد بالله - وقام من بعده «موسى الكليم» فإستلم التوراة لتكون دستوراً لتلك الديانة وأرسى بها قواعد التوحيد المثالى وقضى بشرعيته وفقاً للوصيتين الأولى والثانية من الوصايا العشر، وكان ذلك تمهيداً متوالياً للدعوة المسيحية التى جاء بها الإنجيل، وإنتقل بذلك الإيمان بالله من دور التلقين الى دور اليقين!! **وذلك بمجىء "السيد المسيح" الذى أسس ديانته على "التوحيد"، معلناً بذلك قيام المسيحية عليه بإعتباره قاعدة الدين الفطرى والكتابى على حد سواء، وكل ماهنالك أنه بدأ به تكميل الإعلان المتدرج الأمر الذى انفردت به "المسيحية" إذ وجد تمامه فيها، وكان ذلك بإعلانها التثليث بجانب التوحيد!!**

ومن ثم فقد وجدنا فى هذا الضوء كيف أن فى الكتاب المقدس - مستقر الوحى الأمين - أصل جميع العقائد الدينية بدون استثناء - ومن ثم لم يكن التوحيد بشىء جديد يختص به دين ما، لأننا قد رأيناه معلناً بالفطرة ثم بالوحى فى اليهودية والمسيحية على حد سواء ومن ثم فإن التنكر للمسيحية فى إيمانها بالتوحيد امر لايعتد به وهو واضح البطلان!!

إكتمال الإعلان الإلهى بالثالوث :

كان من الطبيعى أن يكون التوحيد أسبق من التثليث فى الإعلان عنه، وذلك لأنه بحسب مفهومه نجد أن «الله» هو «الإله» وحده الذى لامثيل له الرفيع الشأن، والوحى فى رسالة غلاطية يصف الآلهة التى هى غير الله بأنهم ليسوا بالطبيعة آلهه (٤:٨) أى أن هؤلاء الآلهة مصنوعون يتمثلون فى تماثيل وانصاب يقيمونها لتكريم الأبطال وتعظيم الحكام وعبادة الأسلاف وقد اتسعت دائرتها الى

عبادة سائر المخلوقات - دون الخالق - الذى هو سبحانه الإله بطبيعة وجوده، دون مثار شبهة أو حتى بحث، الأمر الذى نقف تجاهه مبهوتين!! وهذا يمنع الصور المتغيرة عن الله فى العقول البشرية - وهى متخالفة - فلكل منها صورة مرسومة عنه تعالى بحسب هوى صاحبها، وهذا مما يجعل الله إلهاً متغيراً وغير معروف على حقيقته، وهو هكذا بعيداً عن الإعلان الإلهى المتكامل عنه!!

ومنذ أن إكتمل الإعلان الإلهى عن "الحقيقة الإلهية" وهو ماوصل الينا عن طريق كتاب الله - بتأكيد انها وحدة وثالوث - واعتبرت بذلك العقيدة الأساسية فى المسيحية، مطلع كافة عقائدها، اذ هى متعلقة بذات الله سبحانه ....

ولا يفوتنا هنا بأن نعلن بأن هذا الحق عن الثالوث لم يتغير على مر الأجيال، وانه هو هو الذى تمسك به آباء الكنيسة منذ أقدم العصور، ومن هنا كان إلتزامنا نحو إدراك عقائدنا المسيحية، متخذين من فحص معلنات الكتاب المقدس عن ذات الله، بادرة إستجلاء لهذه الحقيقة على أساس من نزاهة البحث وطلب المعرفة!! معرفة الحق لذاته ، لتحقيق معرفته تعالى على الوجه الصحيح ،ولكى نكون مستعدين أن نقدم عنها جواباً لكل من يسألنا ....

فما كانت المسيحية لتدرك كنه الله أو حقيقة ذاته بأكثر مما أعلنه تعالى عن نفسه فى كتابه المقدس من أنه آب وابن وروح قدس أى ثلاثة اقانيم فى جوهر واحد!!

فما كان لنا أن نقول عن الله شيئاً من عندياتنا، إنما الله سبحانه هو الذى قال، ويجب أن نؤمن بما قاله تعالى، ولذلك فإننا نستند فى اعتقادنا بالأقانيم إلى ما أعلنه لنا الله فى الكتاب المقدس!!
وليس لأقوال المفسرين أو كتب الأديان حجة علينا من جهة الحكم على هذا الإعلان، لأننا لانحتكم فيه إلا إلى كتاب الله!!

ومن الواضح أننا لم نخترع الثالوث ولم نقل عن الله تعالى مالم يقله عن نفسه، وليس الإعلان عن حقيقة ذاته معروضاً للتصويت عليه بالقبول أو الرفض - وهذا هو فصل الخطاب لمن أراد ان يقف عند حد الصواب!!

* * *

الثالوث بين الحقيقة والعقيدة :

ليست عقيدة التثليث دخيلة على المسيحية، بدليل أن جميع المؤلفات الدينية والتاريخية التى كتبت إبتداء من القرن الأول تشهد بأن هذه العقيدة أصلية فى الكتاب المقدس، ولذلك لاسبيل للظن بأنه قد إبتدعها قوم من الأقوام ....

ومع أن استنباط علم «الثالوث» صار فى القرن الثانى حين بدىء باستعمال كلمة ثالوث غير أن الثالوث نفسه لم يبتدىء وجوده حينئذ - عندما ابتدأ العلماء يتكلمون عنه ويتباحثون بخصوصه، بل هو موجود منذ الأزل وإلى الأبد - **وحتى الإعلان عنه لم يبتدىء أيضاً فى ذلك الجيل بل قبله بأجيال عديدة، ليس فى زمن المسيح ورسله فقط بل من زمن داود أيضاً، بل وموسى النبى ابتداء من ظهور الوحى وبزوغ آشعة الحقيقة الإلهية عن طريقه!!**

ونحن نعلم أن هذه الحقيقة صعبة المرتقى، لأنها بكل تأكيد أسمى من كل إدراك ومن ثم فإنه يستحيل الإحاطة بها تماماً من كل وجه، وإنما نتقبلها بفعل إيمانى بقدر طاقتنا وفقاً لنور الإعلان الإلهى الوارد عنها فى الكتاب المقدس!!

أما كون البعض لايقبلون هذا الإعلان عن هذه الحقيقة، فليس بمبرر لإبتداع أقوال تخالف ماجاء عنها فى الكتاب المقدس : كالزعم بإننا نقول بالتعدد فى ذات الله، والإيهام بأننا مشركون بالله فإن اتهام المسيحية بذلك هو بلا أساس، وهو ناشىء إما عن ترك مطالعة الكتاب

المقدس أو تصفحه بخبث والتواء لتحريف ألفاظه والخروج عن معانيها الصادقة - واقوالهم هذه قائمة على منتهى التلاعب بالألفاظ مما لايمكن أن يقام له أى تقدير أو اعتبار، ولذلك فإن تأويلاتهم لاتستند الى نص صريح، بل وتقطيعهم لآيات الكتاب المقدس لكى تؤدى هذه المقطوعات الى معانى يستخرجونها تخالف المعانى الأصلية التى لها وهى فى قرائنها، إنما هو امر ليس فقط باطلا ولكنه خطير للغاية على الذين يختارون هذه الطريقة الشائنة فى التفسير !!

ومما يؤسف له حقاً قيام المنكرين بخلط العقيدة فى الحقيقة فيما يختص بالثالوث، فقالوا عنه أنه من اختراعات المسيحيين، وانه من صنع المجامع - وهذا بالطبع هو مجرد وهم تام البطلان، إذ ليست المجامع هى التى صنعت الثالوث، فإن الثالوث لايصنع ولاتدخل حقيقته فى حيز الإختراع - بل أنه لو كان مخترعاً لأحاط به مخترعوه وأدركوه الأمر المستحيل على البشر بالنسبة لله بالذات - ولذلك فإن كل مافعلته المجامع - من جهة الثالوث - أنها كشفت عنه فى مواجهة المخالفين المبتدعين!!

المعركة الفكرية الكبرى حول الثالوث :

منذ بدء إكتمال الإعلان الإلهى بالثالوث وتدور حوله معركة فكرية إثباتاً ونفياً - ولكن لماذا تدور أكبر المعارك الفكرية حول الثالوث بالذات!! ذلك لكونه العقيدة الأساسية - فى المسيحية - عن ذات الله، ولا شك أن إبليس نفسه - هو أكبر مضل - يعرف ثالوث الله جيداً، ورغم ذلك فإنه بسبب إدراكه لأهمية هذه العقيدة العظمى عن ذات الله قد جعل كل همه إنكار الثالوث ونشر كل ماهو مضاد له، وذلك لأجل إبعاد الناس عن الحقيقة الإلهية الصادقة، بغية إنكار ماوراءها من حقائق صادقة أيضاً بقصد إهلاك الناس ...

اذ من الواضح ان الشيطان يهمه طمس هذه العقيدة بالذات كبداية تحريف لما وراءها من عقائد جد خطيرة، وقد وجد بالفعل من هم : "**غير علماء وغير**

ثابتين ممن يحرفون الكتب المقدسة لهلاك أنفسهم" (٢ بط ٣:١٦)، وذلك لأن الإيمان بالثالوث هو عنوان الديانة الصحيحة اذ أنه مفتاح فهم سائر الحقائق المسيحية الأخرى ... وهذا هو طريق الخلاص الذى يقاومه ابليس ليحرم البشر منه ومن هنا ظهرت كتب عديدة فى الوقت الحاضر تهاجم صرح المسيحية الخالد، وذلك على التوالى وبدون توقف!!

وهى تسخر من المسيحيين متسائلة :- «لماذا لانؤمن بالله الواحد الأحد - ونقف عند هذا الحد !؟» بينما فى الواقع إن سعى إبليس المتواصل انما هو فى أن يضل أكبر عدد ممكن من البشر فى حقيقة الله وذلك بأن يدفعهم الى جهلها، وأحياناً إلى **اقناع من يرغبون فى معرفتها بأن يتم لهم ذلك بغير قبول الإعلان المتكامل عنها، وذلك بقبول بعض مافى الكتاب - بزعم فهمهم له - والكفر بالبعض الآخر - بزعم عدم فهمه** - وحقاً لم يوجد زمان ظهرت فيه هذه الهجمات الشرسة مثل زماننا هذا من المنكرين بالثالوث من خارج المسيحية ومن داخلها ولكن ذلك إنما يزيد المسيحيين فى التمسك بإيمانهم القويم، بإعتباره اعلان حق عن ذات الله وطبيعته!!

هذه الحقيقة المجيدة التى فات الناس إدراكها، فأخطأوا التقدير فى حقها ونسبوا الى أصحابها الشرك والتعدد، وذلك دون أن ينصتوا لحديث الوحى عنها حتى يدركوا أنها ليست من العقائد الموروثة ولا من المخترعات البشرية ... بل هى مما أخبرنا به الله - سبحانه - عن ذاته فى كلامه الصادق، ومن ثم فإنه اخبار واقعى لازيف فيه ولا مبالغة، **مما يستوجب قبولنا لإعلان الوحى وإيماننا بالثالوث!!**

* * *

الفصل الثالث

مراحل قبول عقيدة التثليث فى المسيحية

«فكان لهم قول الرب أمراً على
أمر ... فرضاً على فرض ... هنا
قليلا هناك قليلا» (اش ٢٨:١٣)

الثالوث فى ضوء تدرج الإعلان :

يبدأ إعلان الوحى عن الله - بحسب الإجماع العام عنه - بالكشف عن حقيقة التوحيد، وهو ليس بالأمر الجديد، ولا هو سمة دين ما، لكنه الحقيقة الأولى التى أعلنها الوحى عن «الإله» بقوله : أنا الله وليس آخر (اش٤٦:٩)، وأن ليس إله آخر إلا واحداً (١كو ٨:٤) هذا مؤيد من أهل التوحيد البحث بالقول : إن الهنا والهكم واحد - وقد ورد فى رسالة يعقوب عن هذه الوحدانية القول : انت تؤمن أن الله واحد. حسناً تفعل. والشياطين يؤمنون ويقشعرون (ص ٢:١٩)، ولكن مما يؤسف له ان البعض يبخل على المسيحيين بالتسليم لهم بإيمانهم بالوحدانية، الأمر الذى حتى الشياطين تشترك فيه دون أن يكون له من أثر عليهم سوى اصابتها بالقشعريرة!!

فإذا إنتقلنا من ذلك الى عقيدة الثالوث، فإننا نجد أنها ليست من العقل بنور الطبيعة، ولا من الفطرة بإلهام الغريزة، ولا من تأليف الفلاسفة، ولا من صنع المجامع، وإنما هى من كتاب الله وحده - فمصدرها إذا هو من الله نفسه بالإعلان المباشر!!

لأنه لم يكن بمقدورنا أن نرى الله ولا ان نعرف حقيقته من تلقاء انفسنا، لأنه لايكون عندئذ الهاً على الإطلاق، ومن ثم فقد تنازل سبحانه فأعلن لنا عن ذاته بإعلان اتانا من قبله - ولكن هذا الإعلان قد جاء تدريجياً على قدر ما تحتمله

البشرية فى أطوار نموها، وقد بلغ تمامه الآن فى نطاق العقيدة المسيحية السامية عن الإله الواحد المثلث الأقانيم!!

فرأينا فى اعلان الوحى عن التوحيد أنه تعالى : "**اله واحد لاشريك له ولا مثيل، واجب الوجود، قائم بذاته، وهو روح بسيط سرمدى يتصف بكل الكمالات الذاتية التى تليق بجلاله ...**"

كما وجدنا فى نفس إعلان الوحى عن التثليث بأنه : "**وهو اله واحد ثلاثة أقانيم فى جوهر واحد بغير تجزئة ولا تركيب، وانهم متساوون فى السرمدية والقدرة والمجد لواحدية الجوهر ...**"

وواضح ان معرفتنا هذه بالله لم تكن ممكنة بغير اعلان منه ووحى من لدنه، إذ أنه مع التسليم بوجود الله، نجد القصور عن الإحاطة بأوصافه، وعما يجب أن نؤمن به من عالم الغيب الذى لاسبيل الى معرفته إلا بما أخبر به الوحى ...

إذ أن الانسان وهو مخلوق حادث محدود الإدراك لايستطيع بدون الوحى أن يحيط بكل جوانب المعرفة الاعتقادية التى يجب أن يؤمن بها، والى هذا القصور البشرى يشير القول : «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا»، وكذلك ماينسب للملائكة أنفسهم أنهم يخاطبون المولى بالقول : «سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا».

* * *

أما لماذا لم يعلن «الثالوث» صراحة فى التوراة منذ البداية!؟ فذلك لأن معاملات الله المتعلقة بتجسد المسيح وارسال الروح القدس لم يكن قد جاء وقتها بعد، فإكتفت حكمة الله أن تضع فى اليهودية إشارات ورموزاً للتثليث، لأنه فى ذلك العصر المبكر لم يكونوا ليقووا على قبول إعلانات الوحى الكاملة الخاصة بالثالوث، وكانت هذه تلتبس عليهم بسبب تعدد الآلهة الوثنية من حولهم، فإكتفى الله حينئذ بالتلميح **مستخدماً التدرج فى الإعلان، الى أن ينضج الوعى**

البشرى فيقبل نور الحق الكامل ويهتدى به الى الحقيقة!! ومن ثم لم يعلن الله عن "أقانيمه" بشكل تام الوضوح لضعف عقول بنى إسرائيل وميلهم الى عبادة المخلوقين، حتى أنه تعالى أخفى عنهم ذكر خلق الملائكة ومراتبهم فى البداية لئلا حين يسمعون القول : «لنخلق انساناً على صورتنا» وأيضاً هوذا الإنسان صار كواحد منا، يظنوا أنه تعالى قال هذه الاقوال لمجمع الملائكة، ويجعلوهم خالقين معه ويعبدوهم على هذا الاعتبار، وكانوا تبعاً لذلك ينكرون لاهوت ابنه وروحه عند ظهور سرهما ... وهذا ماحدث عند ظهور الفلسفة الغنوسية فيما بعد، فإنها انكرت الثالوث ورفضت ان تقر للمسيح بمركزه، وقادت أتباعها الى عبادة الملائكة من بعد اعلان الثالوث كما هو واضح مما اشارت اليه رسالة كولوسى (٢ :١٨) ولذلك اكتفى الله بالتنويه فى التوراة بورود اسم يهوه بالمفرد وايلوهيم بالجمع وذلك الى حين اكتمال الاعلان بالوصول الى وحدانية الثالوث وثالوث الوحدانية!!

الزعم بأن المسيحية الأولى لم تعتقد بالثالوث :

هذا مايقوله المنكرون فى ضلالهم محاولين اثباته بشتى الطرق الملتوية - متجاهلين بذلك شهادة التاريخ عن امتداد تدرج الإعلان الى ان بلغ نطاق الثالوث عند مطلع المسيحية، وخلال قرونها الاولى بالطبع : فاننا نفهم من الأناجيل ان المسيحيين الأوائل كانوا من اليهود المتمسكين بوحدانية الله - وكانوا يعتبرون ان القول بالتعدد فى الذات الإلهية جريمة تستحق الاعدام بالرجم، ولما تعرفوا بالمسيح، لم يتخلوا عن عقيدتهم تلك، وانما تصوروا بان يسوع هو المسيا فقط، لكنهم لم يحسبوه أكثر من انسان تميز بالفضل والبركة الإلهية - وذلك بسبب الوحدانية، وبعد أن أشرق عليهم نور الإعلان الالهى عن الوهية المسيح، ابتدأوا يفهمون عقيدة التوحيد بطريقة جديدة من تصريحات المسيح عن نفسه وعن الروح القدس، التى فهموا منها أن هناك تعدداً فى الوحدانية فتح أمامهم الباب لقبول التثليث - أى أنه تعالى ثالوث فى جوهر واحد!!

اما الذى دفعهم لقبول تعليم الثالوث فكان حديث المسيح نفسه عن

الله كآب عمن كان يسميه روح الآب وفجأة حل الإعلان على سمعان بطرس فنطق بحقيقة هذا الشخص الفريد بقوله : أنت هو المسيح ابن الله الحى (مت ١٦ :١٦)

كان هذا الاعلان من الآب الذى وصفه المسيح أبى - وهكذا ظهرت حقيقة الثالوث وتجلت فى سماء الوحى، وكان ذلك هو بداية اعلان الثالوث وقبول الاعتقاد به ...

وواضح أن الذى مهد لهذا كله الظهور الإلهى الذى حدث فى الاردن أثناء عماد المسيح على يد يوحنا المعمدان حيث انفتحت السموات وجاء صوت الآب له : "انت ابنى الحبيب الذى به سررت"، كما نزل الروح القدس عليه مثل حمامة (مر ١ :١٠و١١) وظهر بذلك الثالوث فى هذه الحادثة المباركة !!

وهكذا توضح اعلان حقيقة الثالوث نفسها من المسيح نفسه لتلاميذه الأول فبدأت عقيدته تظهر بإعلان اسم الآب وما تلا ذلك اى الاعلان عن الروح القدس - هذا الاعلان الذى تم تسليمه للرسل مباشرة بأمر المسيح لهم بالكرازة ودمغ من يقبلونها بصيغة التعميد التى اضحت معروفة لدى المسيحيين منذ البداية ..

ولقد كان هذا الانتقال منتظراً، إذ بينما كان الشعب اليهودى قد أوتمن على عقيدة الوحدانية التى لم يحتفظ بها الإ بكل مشقة، لذلك كان الايحاء لهم بثلاثة أقانيم - قبل اكتمال الاعلان - عبئاً ثقيلا، **جاءت المسيحية فقبلت الثالوث كعقيدة ثابتة من جميع المسيحيين، وكانت صيغة التعميد وممارسته اساس ايمانها فى الثالوث :**

يؤيد ذلك ان المسيحين الأولين كانوا يسألون القابلين لفريضة المعمودية ثلاثة أسئلة وهى : ١ - عن الإيمان بالله ضابط الكل ٢ - الإيمان

بالمسيح ابن الله ٣ - الإيمان بالروح القدس ... وكانوا يكتفون بذلك، لأنه لم يكن هناك مايدعو لصياغة هذا التعليم فى شكل عقيدة محددة المعالم ...

* * *

ولكننا نرى أن المسيحية الأولى رغم ذلك لم تصل فى البداية الى تحديد إيمانى بالثالوث - ولكن ذلك لايؤخذ عليهم كإنكار له من بعد ما رأينا اعترافهم المبدئي بقبوله فى صيغة التعميد - ولذلك فاننا نرى العقاد فى كتابه «الله» ص ١٧٢ يشهد للمسيحيين بأنهم : «لم يجدوا منذ البداية فى التثليث مشكلة تتطلب الحل أو التأويل» **وذلك لانهم ايقنوا بان الثالوث انما هو اعلان عن طبيعة الله الداخلية، وما عليه جوهره!!**

ولقد كانت المشكلة الأولى لدى الكنيسة فى القرون الثلاثة الاولى هى : "**كيف تواجه الإضطهادات والهرطقات؟**" وساعد على هذه المشكلة أنه لم تكن هناك وحدة عامة بين جميع الكنائس فى البداية، الى أن ظهرت القيادات، وتم الاتفاق على صياغة قانون للإيمان الى أن يتم جمع أسفار العهد الجديد ...

وكانت هذه هى وسائل توحيد الكنيسة فى ذلك الوقت ..!! وواضح مما سبق أنه لم يكن هناك يقين بعد من جهة العقيدة لعدة أجيال، ولم يكن فى ذلك أدنى غرابة للظروف التى احاطت بنشأة المسيحية، وفترة الإنتقال التى ساد فيها مذهب الناصريين لمدة اربعين عاما، وامتد أثر ذلك لعدة اجيال قبل ان تستقر عقيدة الثالوث وتحتل مكان الصدارة فى المسيحية ، لذلك حتمت الضرورة فى ذلك الوقت ايجاد الاساقفة - أى النظار - والشروع فى وضع قانون ايمان يحوى هذه العقيدة!! وقد أصبح بذلك ايماننا المسيحى فى «الثالوث» يتلخص فى قانون الايمان المقبول من جميع المسيحيين على حد سواء وهو الذى يتلونه فى كنائسهم منذ تمت صياغته فى «المجامع المسكونية» وحتى الآن وإلى أبد الدهر!!

* * *

الفصل الرابع

عقيدة الثالوث تأخذ شكلها الرسمى

«أنتم الذين به (بالمسيح) تؤمنون
بالله .. (١بط ١:٢١)

ظهور عقيدة الثالوث فى قانون الإيمان الرسولى :

رأينا كيف ظهرت عقيدة الثالوث، وبدأ المسيحيون يصفون الله به، وكانوا فى أيام الرسل وحتى بداية القرن الثانى الميلادى لا يفكرون فى وضع صيغة معينة لعقائدهم او كانوا يرجعون للرسل أنفسهم والى تلاميذهم من بعدهم - ولكن بعد أن انتشرت المسيحية فى رحاب الدنيا، وظهرت بعض البدع حتى أصبحت الحاجة ملحة الى أن تقول الكنيسة كلمتها الفاصلة فيها، وخصوصاً عندما بدأت الضلالات تنتشر، فوجدت الكنيسة نفسها فى حاجة الى مسئولين للدفاع عن ايمانها فى وجه الهرطقات ولتعليم الشعب، وهكذا ظهر نظام القادة الرعاة - ولم تكن الأسقفية وظيفة رسمية، ولكن سرعان ما تقرر أن يكون لكل كنيسة أسقف وذلك منذ بداية القرن الثانى لتدعيم الكنيسة وإمتدادها ..

وبدأت منذ ذلك الوقت مرحلة جمع رسائل العهد الجديد وإثبات قانونيتها، وكانت الحاجة قد إشتدت الى ذلك بعد رحيل الرسل .. ولم تتم كتابة العهد الجديد دفعة واحدة، ولكنه كان يكتب تباعاً بطريقة تدريجية الى أن تم جمع أسفار العهد الجديد كلها معاً، وكانت الكنيسة المصرية في عهد أثناسيوس أول من قبلت واعتمدت العهد الجديد الي أن ثبتت قانونيته وتقررت فى مجمع نيقية ...

* * *

كانت هناك فى تلك الفترة - أى أثناء جمع أسفار العهد الجديد - اشارات

عن الثالوث وفقا لبدء اعلانات الانجيل عنه، ولكنها لم تكن قد اكتشفت بعد لتدافع بها الكنيسة ضد الهرطقات التى بدأت فى الظهور سريعاً .. فكان لابد من وضع قانون ايمان لمجابهة هذه الضلالات اذ كان ذلك هو الوسيلة الوحيدة الفعالة للدفاع عن العقيدة المسيحية ...

ولقد بلغت قوانين الإيمان حينئذ مائة فى العدد، لأنه كلما كان يحدث رأى مختلف أو مكمل، كانوا يكتبون قانون ايمان جديدا : وابتدأوا بالتعريف بإبن الله وولادته المعجزية ليؤكدوا تجسده، وأضافوا بأنه صلب فى عهد بيلاطس البنطى، ليعرفوا الناس أن المسح عاش تاريخيا فى ذلك العصر، وأنه شخص حقيقى، وليس روحاً أو خيالا - كما زعمت الغنوسية - ثم مات وقام وصعد الى السموات، وسيأتى ثانية ليدين الأحياء والأموات ..!!

ووصل قانون الايمان هذا فى صيغة نهائية سنة ١٥٠م الى روما، وقد نسبوه للرسل وسموه قانون الايمان الرسولى، وكانوا يستعملونه فى القرن الثالث للتعبير عن الايمان الصحيح فى وجه البدع، **وأصبح هذا القانون فى صيغته النهائية واحداً وسارى المفعول فى مختلف البقاع**، وكانوا يستعملونه فى فريضه المعمودية بصفة خاصة!!

صياغة العقيدة فى مجمع الأسكندرية ثم مجمع نيقية والقسطنطينية :

كان أوريجانوس أول من فتح الطريق لبدعة آريوس بقوله أن للإبن جوهراً ثانوياً، وظهر آريوس ليلتقط فكر أوريجانوس ويصيغ منه ضلالته التى زعم بها أن جوهر الابن مشابه لجوهر الآب - وهذا ما تمسك به عندما أثيرت القضية أمام مجمع نيقية فيما بعد - أما اسكندر بطريرك الإسكندرية فقد خالف أوريجانوس وأقر أن للإبن نفس جوهر الآب، **ودعا الى عقد مجمع بالأسكندرية عام ٣٢١م تصدى فيه لأقوال آريوس** .. التى بدأت تنتشر فى ذلك الوقت - **وقد إتجه قرار هذا المجمع الى إقرار المساواة بين الأقانيم مع التمييز فيما بينهم**، وكان هذا هو الخطوة التالية لقانون الإيمان الرسولى **وظهر بذلك أن**

عقيدة الثالوث على أعظم جانب من الأهمية، إذ أنها تمس كنه الوجود الإلهى الأمر الذى فرض على المسيحيين منذ البداية أن يبينوا كيف بدأت هذه العقيدة التى أصبحت العقيدة المركزية للمسيحية!!

كان هذا أمراً لابد منه لإبعاد الضلال عن هذه العقيدة الأساسية التى أصبحت محور عقائد الدين المسيحى فى دوائره الثلاث : "**الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية**" **الأمر الذى رأينا معه أغلبية ساحقة من الناس يؤمنون طوال قرون عديدة متواصلة ما كان منها فى الماضى، وما هو كائن فى الحاضر وما سيكون فى المستقبل أيضاً إثباتاً لحقيقتها، حتى ظهر الإجماع بأن من لا يؤمن بها فهو خارج المسيحية.**

بدء صياغة عقيدة الثالوث فى مجمع نيقية :

لقد ألزمت بدعة آريوس كنائس ذلك العصر الى التفكير فى عقد مجمع عام لبحث تلك البدعة، وهو الذى دعا اليه قسطنطين فإنعقد **فى نيقية عام ٣٢٥م - وهو المجمع المسكونى الأول - وقد وصل الى إقرار لاهوت ابن الله، وأنه ذو جوهر واحد مع الآب، وبذلك وضع الأساس للاهوت الثالوثى، فتمت صياغة قانون الإيمان الذى تمسكت به المسيحية خلال عصور التاريخ بأسرها ...**

ويزعم المنكرون أن قسطنطين هو الذى وضع أو فرض قانون الإيمان عند صدوره من مجمع نيقية، فقد اخترعوا باطلا أن قرارات هذا المجمع قد تنفذت برهبة سلطان الملك قسطنطين، وينسبون الى ابن البطريق - وهو مصدر مجهول وغامض - قوله أنه قد حضر هذا المجمع ٢٠٤٨ وأنه انضم الى آريوس منهم ٧٠٠ أسقف، وذلك على خلاف ما أقرته وثائق تاريخ الكنيسة من أن عدد الحاضرين لم يزد على ٣١٨ وأنه لم يكن مع آريوس سوى ١٨ شخصاً منهم ..

وأما الإدعاء بأن الموافقة على قانون الإيمان هذا قد تمت تحت سطوة

الترهيب والترغيب فهو من إدعاءات المنكرين الكاذبة ... **وفضلا عن ذلك فإن قانون الإيمان لم يكن موضع مساومة حتى يستند وجوده الى عدد من يقررونه - لأن كل فقرة فيه تستند الى نص من الكتاب المقدس، ولذلك فقد تقرر وضعه، وقبلته الكنيسة المسكونية، وصار شعاراً للمسيحية منذ ذلك الوقت فصاعداً** ...

ورداً على ما ينسبونه لقسطنطين نقول أن كل ما كان يريده من إنعقاد هذا المجمع هو سلامة الدولة إذ كان يخشى أن يكون النزاع فى عقيدة دينية سبباً فى إنقسامها ...

أما السبب المباشر لعقد هذا المجمع، فقد كان لبحث ما بدأ يثور من جدال حول شخصية المسيح، وكان إهتمامه بالغاً ببيان حقيقته "كإبن الله" ...

وكان القصد من وضع "قانون الإيمان" أن يكون للمسيحى مرجع رسمى تتميز به عقيدته فى الشكل كما فى الموضوع، وتم بذلك القضاء على تلك الضلالات التى ظهرت مبكراً ...

استكمال قانون الإيمان فى مجمع القسطنطينية :

لم يكن قد فات مجمع نيقية تضمين دور الروح القدس فى قانون الإيمان هذا - كما يزعم المنكرون بقولهم : لو كان الثالوث حقيقة واضحة فى الكتاب المقدس، أفلم يكن من اللازم إدخال الروح القدس فى ذلك الوقت المبكر فى قانون مجمع نيقية، وقولهم هذا مردود، لأن الجدال فى المسيحية لم يثر بصفة عملية حول عقيدة الآب بل كان حول عقيدة الإبن مبدئياً لظهور بدعة آريوس فى ذلك الوقت، فكان على ذلك المجمع تفنيد تلك البدعة وإعلان الحقيقة فى شأن «الابن» - **ولذلك إكتفى مجمع نيقية بالقول عن الروح القدس : ونؤمن بالروح القدس، وتوقف عند هذا الحد ... إذ لم يكن هناك جدال حوله.**

ولكن عندما ظهر «مقدنيوس» الهرطوقى فيما بعد منكراً اقنومية الروح القدس، وزعم أنه مجرد قوة أو تأثير أو عمل إلهى، **فلزم الحال حينذ الى اجتماع المجمع المسكونى الثانى فى القسطنطينية فى عام ٣٨١ م لمقاومته، وحكم المجمع بحرمانه وأكمل قانون إيمان نيقية بالقول :**

"نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب، نسجد له ونمجده مع الآب والإبن - وبذلك تم استكمال قانون الإيمان بإثبات أن الروح القدس هو الأقنوم الثالث من اللاهوت، وأنه مساو للآب والإبن، ولذلك وضع جنباً الى جنب معهما ..!!

وبذلك وضع هذا المجمع الروح القدس فى نفس المستوى مع الآب والإبن رداً على هرطقة مقدنيوس، وقد تم بذلك وضع قانون الإيمان فى محور «عقيدة الثالوث» ..!!

* * *

وليس معنى هذه الصياغة لعقيدة الثالوث فى هذين المجمعين المسكونين - الأول والثانى - أن الثالوث الالهى ابتدأ يبرز بذلك للمرة الأولى، بل أن هذه العقيدة لم تكن واضحة بالكفاية لدى المسيحية الاولى عند افتتاح العهد الجديد كما سبق البيان، فكانوا يتقبلون - الثالوث ببساطة الايمان التسليمى، **ومن ثم فإن اقرار عقيدة الثالوث فى هذين المجمعين لم يكن من الامور السهلة كما كان سببه المباشر ظهور الهراطقة الذين كانوا الباعث بالضرورة فى تحديد العقائد المسيحية بدءاً بعقيدة الثالوث ..!!**

* * *

هذا هو «قانون الإيمان» الذى تم تسليمه لنا سالماً وهو الذى يتلى داخل الكنائس الى اليوم، ليكون اعلاناً للعالم اجمع عن الإيمان الوحيد الذى يقبله ويردده جميع المسيحيين باعتباره تراث المسيحية الخالد عندما اكتمل ايمانها وفقاً للاعلان الإلهى، فأصبح الثالوث الاقدس نقطة بداية عقيدتها فى «الله» ...

ومن ثم فإنه وان كانت المجامع المسكونية هى التى أشرفت على اصداره بوضعها خطوطه الاساسية، إلا أن صدوره إنما كان لأجل اثبات عقيدة الثالوث، تأكيداً لحتمية الاتفاق على صيغة واحدة تتحد فيها الكنيسة الجامعة فى جوهر العقيدة المسيحية التى اضحى قانون الايمان اساسها الفريد - وبدونه تصبح لاشىء على الاطلاق وتنتهى رسالة الانجيل - وهذا هو سر تمسك الكنيسة به فى كل عصورها، مما يؤكد الحاجة اليه فى هذا الجيل بنفس ما كانت عليه فى الاجيال الماضية - لانه يتبوأ بحق ابجدية المسيحية وكلمة شهادتها كتحديد لمفهوم عقيدتها فى الله، واضحى بذلك صخرة ايمانها الوطيدة التى تحطمت عليها بدع الهراطقة منذ أقدم العصور الى الآن ... ولأجل ذلك فان النقاد المحدثين يتهربون من مناقشة قانون الايمان بل أن بعضهم لايتعرض له بتاتا، محاولين التفرقة بين المسيحية اليوم والمسيحية الاولى - وخاصة من جهة الثالوث - وهيهات !!

* * *

ومن الامور المستغربة هنا استناد شهود يهوه الى الهراطقة وتضارب اقوالهم واقتباساتهم البتراء، وتعمدهم استبعاد النصوص التى لاتؤيدهم، وتقديمهم بذلك البرهان القاطع على انهم اتباع الهرطوقيين «آريوس» «ومقدنيوس»، منكرى أقنومية الابن والروح القدس كما هو ظاهر فى كتبهم الفاسدة يتصدرها كتابهم :- هل يجب أن تؤمنوا بالثالوث؟ وهم يهددون المتمسكين بالثالوث بأشد العقاب بعد أن ينتهى نظام العالم الحاضر الشرير - على حد قولهم - رغم أنهم جماعة قد خرجت عن المسيحية وتتحدى بضلالها العالم المسيحى بأسره، وهى لاتشير الى هذين الهرطوقيين سالفى الذكر بالمرة ، رغم انهما المصدر الذى استقوا منه ضلالاتهم !!

* * *

الفصل الخامس

الثالوث الأقدس سر الأسرار

«السرائر للرب الهنا» (تث ٢٩:٢٩)
«سر الله الآب والمسيح» (كو ٢:٢)
«الروح يفحص كل شيء حتى اعماق الله» (١كو ٢:١٠)

الاسرار ظاهرة عامة ضمنها الثالوث :

لاشك أن أضخم مشكلة يواجهها الانسان بوجه مطلق هى مشكلة البحث عن الحقيقة، والمعروف تاريخيا أن المسيحيين القدماء، قاموا بدراسة عقيدة الثالوث - فى ضوء كتب الوحى المقدسة - وآمنوا بها واستقروا عليها ورسموا صورتها فى قوانين الكنيسة وابرزها قانون الايمان النيقاوى كما سبق أن ذكرنا، وهكذا عندما درست الجماعة التى آمنت بالمسيح حقيقة الايمان الذى وصلت اليه وضعت تعريفا لله أنه : "اله واحد مثلث الأقانيم" هذا، وقد حدثنا الوحى عن الحقيقة الإلهية هذه بأنها سر بل سر الاسرار لانها تفوق كل ادراك وكلام البشر عاجز تماما عن بلوغ عمق هذا السر والتعبير عنه - لانه اسمى الاسرار لكونه يتصل باللامتناه!!

ومن المعلوم أن فى الاديان بل فى الوجود بوجه مطلق : حقائق مفهومة وأخرى تفوق الفهم، وجها ظاهراً قابل للادراك وآخر غامضاً كله أسرار!! وكليهما موضوع من الله الظاهر والباطن على حد سواء :

فهناك أسرار فى الكون وفى الطبيعة وفى الانسان وفى الله تعالى، فلو كانت موضوعة من الانسان لفهمها بالطبع، لأن الانسان لايمكن أن يخترع شيئا لا يفهمه، فما بالك وعقيدة الثالوث بحث فى ماهية الله، والعلماء قاطبة لا

يدركون سر أدنى الكائنات فكيف يمكنهم ادراك ماهية الخالق الذى أوجدها!؟ فان قيل مادامت هذه العقيدة سرا فكيف نفهمه؟ قلنا أنه ليس مطلوب منا أن نفهمه، لأن هذا ليس فى مقدورنا بل أن لغتنا البشرية نفسها لايمكنها أن تمدنا بما يشرح لنا هذا السر ... اذ أننا نحن - البشر - لم نفهم أنفسنا بعد، ولم نفهم قوات الطبيعة المحيطة بنا فكيف ننتظر أن نفهم عمق أسرار اللاهوت!؟ فهل يستطيع المحدود أن يدرك غير المحدود!؟ ان الثالوث الوحدوى سر عميق، وهذا سيبقى هكذا مهما بلغ شأن دراسات أعاظم اللاهوتيين ...

* * *

فى كل بيئة محيطة بنا، هناك حقائق كثيرة نؤمن بها، لكننا لا نستطيع أن نوضحها أو نشرحها، مثلا، ما هو النور؟ ما الذى يعطى الجاذبية قوتها للجذب وفى أى مسار تعمل؟ كيف تسير عمليات التفكير فى المخ البشرى، بل ماهية الحياة؟ وما الذى يساعد جسم الانسان ليحول الطعام الى عظم ولحم وشعر وأسنان؟

هذه اسئلة قليلة من كثير مما لايستطيع الانسان الاجابة عليها، ومن المحتمل أنه سوف لايستطيع ذلك أيضا فى المستقبل اشياء كثيرة فى العالم هى حقائق معترف بها، لكن لايمكن أن نفهمها لكن هذا لايمنع حقيقة وجودها - فهى موجودة، ووجودها غير متوقف على فهمنا لها من عدمه، فلماذا لايكون الحال هكذا أيضا بالنسبة للثالوث، فيكون وجوده غير متوقف على فهمنا إياه أى على فهمنا سر طبيعته أى كيفية وجود الثلاثة اقانيم فى وحدة اللاهوت، علما بأن علم الثالوث من أصعب العلوم فهماً :

يقول د. دافيد كلارك : يجب أن نميز بين الفهم وبين الاستيعاب، فاننا نستطيع أن نعرف الله دون أن نستوعب كل ما هو الله - نستطيع أن نلمس الارض، لكن لانستطيع أن نحيطها بذراعينا .. يستطيع الطفل

أن يعرف الله ، بينما العالم الفيلسوف لا يستطيع أن يصل الى نهايته !!

يقر معظم الناس أنهم لايفهمون نظرية النسبية لأينشتين ولكن ليس هناك من يجاهر برفضها لهذا السبب، وكذلك لايمكننا أن نفهم مقدار وعظم القوة الكامنة فى الذرة ولكن القنبلة الذرية أثبتت وجودها - لامجال هنا للتناقض، فان كان علم الثالوث يبدى سراً لانفهمه، لكنه لايبدى تناقضاً، **بل كما قال البروفيسير فلنت : "حقا ان الثالوث سر لكنه سر يكشف باقى الاسرار ويلقى ضوءاً عجيبا على الله والطبيعة والناس"**.

وما ورد بكتاب الله عنه هو مجرد إعلان للسر وليس افصاحاً عن ماهيته لعجزنا عن ادراكه، الأمر الذى يوجب علينا عدم الخوض فيه بعد أن أثبتنا أن اعلان حقيقة ما، دون إدراك كيفيتها لايمنعنا من تصديقها، لأن الله الذى اعلنها يعرف كيفيتها - فكيف يمكننا اذاً أن نعلم الله ذاته أو ندركه !؟

ومن ثم فان عدم ادراكنا الكيفية لاينفى الحقيقة نفسها ولايجعلنا نرفضها ، لأنه ما أكثر الاشياء التى لاندركها ، ومع ذلك فانها ليست مرفوضة منا ... فان متعلقات الوجود الانسانى كلها أسرار حتى يقال عنها أن الجنس البشرى كله نشأ من أصل سرى ضئيل الحجم جداً ، فضلاً عن اننى وغيرى لايدرك أى منا كيف بدأ وجوده ؟ وكيف تشكلت عظامه ومن أين جاءت روحه وأخذت مكانها - وهو جنين فى بطن أمه لتحييه ، ولا حيلة لنا فى اختيار أبوينا ولا فى مكان ولادتنا أو وفاتنا ؟ وترى كم من السنين سنعيش وما سيحدث فى سنى عمرنا من جهة العمل أو السكن أو الزواج أو الذرية وما شابه ذلك من مكونات الحياة البشرية ، ناهيك عن سر الموت والرحلة القادمة للعالم الآخر المجهول ... **واذا كان هذا هو حال الانسان المخلوق يكشف عن أن وجوده مغلف بالاسرار ، فلم اذن الخوض فى الاسرار الربانية - اسرار الاله الذى لاوجه للمقارنة بينه وبينى - الا يدفعنا ذلك الى احترام وجود الاسرار وما تلقيه من هيبة فى رقعة هذا الوجود المتناهى !؟**

وهذا كله يكشف اننا نقف حيارى أمام عالم الاسرار الذى يكتنفنا حتى اننا بالنسبة لذواتنا قد نقف على بعض الأوصاف لها دون حقيقتها فان النفس لايدرك كنهها إلا الذى خلقها، وهكذا الحال بالنسبة لارواحنا غير المنظورة - فهل نقدر أن ندركها وكيف؟ **فما بالك بالاقانيم الالهية ألعلنا لا نؤمن بوجودها لعدم ادراكنا كيفية ذلك الوجود** ..؟ فان كنا نقبل حقيقة ما، رغم أن طبيعتها أو كيفيتها مجهولة منا لمجرد شهادة وجداننا أو حواسنا بوجودها - **فهل لانقبل هذه الحقيقة السامية بناء على شهادة الله الذى هو أعلم منا بذاته بالطبع!؟**

قبول المسيحيين لسر الثالوث :

لاشك أن الاعتقاد العام بوجود الله - جل وعلا - هو ملتقى الاديان قاطبة - على أن الايمان الحق هنا يحتم علينا - على كل انسان شخصياً - مواجهة عقائده وبحثها وادراكها على الوجه الصحيح ليكون على علم ودراية بها لأجل الوصول الى الحقيقة والتثبت منها ...

ونظراً لايماننا القويم عن الله فى وحدانية ثالوثه وثالوث وحدانيته كحقيقة اعلنها الوحى فى كتابه - وهى بالتأكيد أسمى الحقائق كلها لاتصالها بذات الله - فان ذلك ليوضح تماما لماذا كانت «عقيدة الثالوث» هى العقيدة المركزية فى المسيحية وجوهر ايمانها ...

ومن المؤكد لذلك أن هذه العقيدة ليست من اختراعات المسيحيين لكونها تفوق ادراك الآدميين، وهى لذلك ليست من وضع المجامع ولا من تفسير المجتهدين، ولا من رأى الفلاسفة - فانها ليست مجرد رأى أو فكرة ارتأتها المسيحية فيما ذهبت اليه بل هى تعليم الهى موحى به ... فليس الايمان بالثالوث اذاً أمراً تحتمه الوراثة أو يتمسك به التقليد، ولا هو موضوع قائم على الانسياق والعادة بحسب ما زعمه بعضهم على المسيحيين، فذهبوا فيه الى مثل هذه الظنون البعيدة عن الواقع والصواب!!

لكنه فى الواقع قد جاء باعلان واضح صريح تألق نوره بمجىء السيد المسيح، جاهر به الرسل فأعلنوه بأقوال لاتقبل الجدل مما يؤكد تماما بأن هذه العقيدة ليست من نسج خيال المسيحيين - فهى ليست بفكرة جديدة قامت المسيحية باختراعها عن الله، بل هى الاعلان الصادق تام الكمال عنه تعالى والذى تميزت به المسيحية!!

فاننا قد عرفنا هذه الحقيقة بعد أن كشفها لنا الوحى، ولم يكن لنا نحن البشر يد فيها، فما كانت المسيحية لتدرك كنه الله أو حقيقة ذاته بأكثر مما أعلنه تعالى فى كتابه من أنه : "**آب وابن وروح قدس فى جوهر واحد**" **واعتبرت ذلك سراً بحسب وصف الكتاب له، وهو بهذه المثابة يستوجب إما قبوله بالتسليم والخضوع باعتباره اعلانا الهياً أو رفضه باعتباره مما لايروق للمنطق والعقل ... ولكن الاعتراض هنا - على هذه العقيدة - ليس هو اعتراضا علينا نحن - حاشا : فاننا لم نخترع هذا التعليم من أنفسنابل أخذناه من كتاب الله، ومن ثم فاننا لم نقل عن الله ما لم يقله عن نفسه، فلو كنا نحن الذين اخترعناه لكان من الواجب الاعتراض علينا وحسباننا مشركين ومجدفين لاننا نسبنا الى الله أشياء لم يقلها عن نفسه فى كتابه، ولكن من حيث أننا اخذناه من كتابه، ففى هذه الحالة يصبح الاعتراض على الله ذاته لا علينا نحن!!**

وليكن مفهوماً إذاً، اننا لسنا مرتبطين بتفصيل وشرح الأسرار المتعلقة بعقيدة الثالوث، لكننا مرتبطون بتقديم التعاليم الكتابية الخاصة بها، وهى لاتقدم لغير المؤمنين اذ هى ليست للجدال والمناقشة، لانها عقيدة يقبلها فقط ايمان كل مقتنع بأن الله تكلم معلنا هذا الحق عن نفسه، ولذلك فاننا وان كنا لانستطيع أن نعطى تفسيراً كاملا لايماننا، لكن يجب أن نعرف ما هو الذى نؤمن به، وما الذى لانؤمن به، لكى يكون لنا إلمام تام بالحقائق التى يبنى عليها ايماننا هذا ... مع عجزنا عن الفهم الكامل بماهية الثالوث، وتسليمنا : بأن الثالوث سر عميق جداً، تصعب معرفة ماهيته ... الأمر الذى قابله بعضهم بنظرية التبسيط التى بها

خرجوا عن الثالوث وتسببوا فى نفيه لا إثباته!!

أما كلمة "سر" نفسها فقد وردت ٢٨ مرة فى الكتاب المقدس فى معان محددة لا يجوز التزيد فيها - بما اضافه التقليد من أسرار عليها - وليس معناها ما ادعاه "شهود يهوه" وخاصة على سرى "الثالوث والتجسد" بالذات، وهو "التعقيد والتشويش" مطبقين عليها بغير وجه حق ما أورده الوحى عن ضبط الاستخدامات الروحية فى الكنيسة ونصه : «لأن الله ليس إله تشويش» (١كو ١٤ :٣٣) وهم يبنون على ذلك الزعم المختلق الذى يقولون فيه : ان الربوبية النقية للمسيحيين الأولين تحولت تحت كنيسة روما الى عقيدة للثالوث لايمكن فهمها وتبدوا أقوالهم هنا متناقضة اذ انهم يؤيدون قولهم سالف الذكر بقول ورد فى قاموس كارل وهربرت - وهو دائرة المعارف الكاثوليكية - عن الثالوث : **"أنه سر ... بالمعنى الدقيق .. لايمكن معرفته بدون اعلان، وحتى بعد الاعلان الالهى عنه لايمكن أن يصير واضحاً كليا. ولكنهم اضطروا للتسليم بالتفسير المقابل لنظريتهم الباطلة السابق ذكرها بقولهم :- بأن هذه العقيدة الغامضة جداً تفترض مسبقا اعلانا إلهياً** وهكذا يتناقض موقفهم فيما بين غموض عقيدة الثالوث كسبب للطعن فيها، وبين احتياجها بالضرورة الى اعلان الهى وهكذا نجدهم حيارى بين غموض السر واعلانه بعد أن بذلوا أقصى الجهد فى اخضاعه لمفهومهم الخاص!! فى حين أن المقصود بمعنى السر هو أنه عقيدة كتابية خاصة بالوحى لانتعلمها من سواه - أى أنها أتتنا باعلان الهى لعدم امكان الوصول اليها بدونه، والحقيقة بشأنها ليست أنها كانت غير مفهومة سابقا وأصبحت الأن مفهومة، بل أن حقيقة فهمها يتجاوز حدود الادراك البشرى حتى بعد اعلان الوحى عنها، فإن الغموض لايزال يكتنفها وذلك بلا حد أو نهاية!!

ولذلك فاننا عندما نجىء الى كنه ذات الله، نجد أن سر الثالوث انما هو سر بمعنى مطلق لايمكن التجاوز اليه بالاختراق أو الاحاطة ، لأنه أسمى الاسرار كلها، وما اعلن لنا عنه انما هو على قدر طاقة ما يحتمله ادراكنا - وقد ورد عنه

فى العهد الجديد : «سر المسيح» (اف ٣ : ٤) ـ «وسر الله الآب والمسيح» (كو ٢ : ٢)، من ثم فلا مكان قط لقولهم أن الكتاب المقدس لايتحدث مطلقاً عن ذلك السر، لانه بحسب زعمهم غير موجود!!

ويتبين لنا من وصف الثالوث بالسر أن عقيدة الثالوث ليست سهلة المأخذ، ولم يكن ممكناً قبولها لولا أن الله هو الذى أعلنها لنا فى كلمته المكتوبة معلناً لنا بها حقيقة ذاته، فمن نحن حتى نبدل أو نعدل أو نحذف أو نضيف قى الذات الالهية ...!!

* * *

ولذلك فاننا اذ نتقدم الى تفسير المعلنات الالهية عن هذا السر لسنا نقصد أن نزيل عنه غموضه أو نوضحه تماماً، وانما نسعى بقدر طاقتنا نحو فهم المعنى الذى نصف به الثالوث الأقدس ب «السر» وما المقصود به!؟ ولماذا يتحتم ربط لفظة «سر» بالثالوث حتى أننا لانستطيع أن نتحدث عنه بدونها!؟ وذلك بعد أن أثبتنا استنادنا فى استعمالها الى تأييد من الكتاب المقدس بذلك، مما جعل هذا السر قدس أقداس المسيحية، وهو لذلك يمثل المكانة الاولى فيها، **لأنه اعتقاد بالله على نحو ما أعلنه سبحانه عن ذاته فى كتابه العزيز، اذ وجدنا ذلك الاعلان كاملا صريحاً تام الوضوح عن وحدة الكائن الالهى الجوهرية المعلنة فى نفس الوقت فى ثلاثة اقانيم : وبناء على هذه الوحدة الكلية من أقانيم اللاهوت نخاطب الله دائما كذات واحد - وذلك بدون مناقضة لكونه ثلاثة اقانيم**، ولا عجب اننا نقبل هذا السر المبارك بالايمان، لأنه ليس ممكناً أن ندرك اعماق اللاهوت هذه، لاننا لاندرك شيئاً بالتمام حتى ذواتنا، بل أننا مازلنا حتى الآن نجهل الكثير من نواحى الحياة البشرية مما لايجعلنا ندهش قط لكوننا لانستطيع أن نفهم الحقيقة كلها عن ذات الله الخالق، فانه يبدو غريباً حقاً الزعم بأن بمقدور كائن ما أن يفهم طبيعة الله التى لايمكن سبر أغوارها فى حين أننا لازلنا نتعلم كل يوم شيئاً جديداً عن أسرار شخصياتنا البشرية!! فكم بالحرى طبيعة الله وكنهه!!

وكل ما عرفناه عنه سبحانه قد جاءنا عن طريق الوحى، وكان اعلانه لنا انما على قدر ما ينفعنا، ليجلبنا بتلك المعرفة اليه، وقد ستر عنا ما لو ظهر لنا لأضرنا : وليدعونا بذلك الى العجب بما ستره عنا، ويجلبنا العجب الى الود، فيصيرنا الود الى صحة الايمان، ومن بعد ينيلنا مما ستره عنا بقدر ما نستوعب ونحتمل!! وذلك لأن أحداً لايعرف ماهو الله؟ ولا كيف؟ ولا أين هو؟ فذلك مالاتبلغه معرفة وغير جائز الطلب، وإن طلب لايوجد ، بل لايطمع فى طلبه - **"لانه لو عرف من هو لأدركته الصفة، أو كيف هو لبلغه الزمان، أو أين هو لحده المكان - ولكان الذى يبلغ ذلك من معرفته يكون مثله لقدرته على معرفة كنهه** - ولم يكن ينبغى لمن أدركه حد الصفة وحد الزمان وحد المكان أن يكون الها - **ومعاذ الله من هذا كله، فهو لايعرف بذاته لأن جوهره لايعرف، ولا يعرف الله الا الله!! ومن ثم فان الله سبحانه وتعالى لايدرك كنهه سواه**، ولا يمكن لأحد من خلائقه أن يعرفه حق معرفته، **ومن ثم فانهم يقولون عنه انه ليس هو جوهراً ولا عرضا فنقول لهم - فماذا يكون اذاً!! يوصف بانه الموجود بذاته لذاته، ورغم ذلك فلا أحد يعرف كيف هو هكذا!؟ ومع ذلك فانهم لايرفضون هذه الحقائق بسبب عجزهم عن ادراك كيفيتها، وهكذا الحال بالنسبة لوجوده اللانهائى وسرمديته واحكامه التى يجريها وهم يجيبون عنها بأنه لايسأل عما يفعل!! أهو اذاً أمر مستغرب قبول المسيحيين للثالوث!؟**

الثالوث الأقدس سر الأسرار :

رأينا كيف قبلت المسيحية سر الثالوث، ولم يكن من عيوبها بل من مزاياها - اقرارها بالعجز عن ادراكه وبالتالى عن شرحه وتوضيحه، واتهموا بأن الكلام فى شأنه قليل جداً ونادر، مع أن ذلك رد فعل طبيعى، اذ لايعرف احد امور الله غير روح الله الذى يفحص كل شيىء حتى اعماق الله - اى أسراره الخفية فى ذاته العلية - ومن هو كفء لهذه الأمور، ولكن الله سبحانه لم يشأ أن يبقينا فى جهل تام بالنسبة لحقيقة وجوده وكنه ذاته بل كشف لنا ما يمنعنا من السير فى

استنباطات وهمية، وابحاث عقيمة، وهكذا اودع لنا فى كتابه أسراره التى قبلتها المسيحية ورفضت أن تهملها وتجعلها من المناطق المنسية بل اعتبرتها أسمى الحقائق كلها ...

ونرى من ذلك كيف أنه فى الواقع ليس هناك ادنى استغراب تجاه اسرار المسيحية كلها، لأن الكون بأسره كله أسرار، فليس هناك من يعرف كيف تم صنع هذا الكون بهذا الاتقان والنظام!؟ وليس أحد يعرف كيف دعيت الاجيال وترتبت من أولها لآخرها على مدار الزمن!؟ بل ليس منا من يعرف ما هو الزمن سوى أنه الفترة المتوسطة بين الأزل والأبد!! بل أن الحياة الانسانية نفسها مليئة بالاسرار، فلا يعرف أحد من البشر سر وجوده وسببه والأسرار التى تعمل فى داخله اذ ليس هناك انسان يستطيع أن يدرك كنه نفسه وهى بين جنبيه، فلا يعلم لها ماهية ولا كيفية ولا اينية، ولا يدرك سر الحياة فيها ولا فاعليتها، مع انها ذات مخلوقة وهى أقرب الاسرار اليه، وكذلك يعترف كل منا بوجود اسرار كثيرة تحيط به دون أن يفهمها لانها تسمو فوق مداركه، فلا يعرف احدنا الأسرار الكامنة فى نفسه ولا أسرار الحوادث العارضة التى تحيط به، والتى تتحكم فى متغيرات الحياة، فضلا عما فى الطبيعة والفلك والعلوم من أسرار، فلماذا اذاً التطاول على الله الذى تجتمع فيه كل الأسرار، ناهيك عن أسرار تجديد الحياة والحلول الروحانى فى الكيان البشرى ومظاهره بما فيها من أسرار الارشاد والتوجيه!! وكل هذه الأسرار انما تنفتح نسبياً أمام الروحانية العالية التى هى الطريق الشرعى لفهمها بقدر معلوم والى حد ما ... **ولكن ذلك لايعنى قط أن هناك من بلغ الى ادراك كنه خالقه اذ كيف لايكون هذا الخالق - وهو رب العالمين - سر الأسرار كلها!؟ ولذلك تتملكنا الرهبة عند الاقتراب اليه - فمن هو هذا الذى يتطاول ليحيط بأسرار الألوهية .. ولذلك فان الذين يستصعبون سر الثالوث نجابههم بالقول : كيف تقبلون الاعتراض على هذا السر، وها هى الألوهية كلها أسرار!؟ وأسرارها لاأول لها ولا آخر، وهى ليست فى ذاته فقط بل وفى أفعاله وكلماته وصفاته!؟**

* * *

والألوهية بذلك هى بداية الأسرار كلها ولذلك كان مجمل عقائد المسيحية جمع أسرار ، فلم يكن بغريب أن تقبل المسيحية سر الثالوث وهى فى نفس الوقت متفقة مع جميع الأديان فى وحدانية الله ، اذ يستحيل أن يسع الكون بوجود المطلق سوى اله واحد لامتناه ، ولكن هذا ظاهر الألوهية فقط ، ألف باء معرفة الله ، أما باطنها فنجد فيه الأقانيم ، وكذلك الصفات - وهى متعددة - وهذه وتلك قد حيرت عقول المفكرين على مدى الزمن!! ولما كان الاقتراب منها أمراً مذهلا مما يتطلب معه الاخلاص والحكمة والوعى والانفتاح - وكل هذا أتانا فى العهد الجديد لكى نتلقى به اعلان السر الفريد ، فى حين أن التوحيد فى حد ذاته انما هو مطلع النور ، بصيص ضئيل منه رغم أن البعض يعتبرونه النور الأكمل بيد أنه ليس كذلك لدى من استناروا بنور الاعلان الكامل الذى أنار عقولهم وأبهج قلوبهم!! ورغم اكتمال الاعلان وبلوغه القمة فى الثالوث ، إلا أن ادراكه ضرب من المستحيل اذ ما اكثر الاشياء التى نعجز عن ادراكها ، فان معرفتنا بحقيقة الاشياء انما هى من الخارج وجزئية جداً ، أما حقيقتها من الداخل فلا نعلمها ، فبالاولى لانستطيع أن نفهم كنه الله وهو تعالى فوق الكيف وطبيعته لايحيط بها ادراك ، فليس لغير الله علم بذات الله ، وما أصدق القول هنا : انه كما علم نفسه وايضا الاقرار باننا : لم نعرفه حق المعرفة!! وأما بالنسبة لوصفه بتعدد الصفات على الحقيقة فى ذاته الواحدة فقد قال أحدهم : الأمر حيرة فى حيرة ، واحد فى كثرة وكثرة مردها الى الواحد - أليس هذا يوافق القول أن تعليم الثالوث سر!؟ فماذا يكون اعتراض المعترض اذاً!؟

* * *

وقد سبق القول أن الانسان يعجز عن ادراك أسرار عديدة فى الخليقة وفى كيانه مع أنه يعرف ظواهرها وبعض خواصها ، فهل يكون غريباً أن نقول أن الثالوث - وهو خاص بطبيعة الله سر يصعب فهمه وادراكه!؟ وذلك بعد أن رأينا أن كل صفات الله الاكملية هى غير مدركة كذلك : **وهى من الحقائق التى ينفرد بها سبحانه - فان كانت هذه الاسرار - غير المدركة - فى الله جميعها ، فكيف لايكون الثالوث سراً بل سر الأسرار!؟ ولا نذهب بعيداً**

بل نقول للمؤمنين بتلك الحقائق - ما هو الله؟ وأين هو؟ فهل فى مقدور أحد أن يجيب عن هذين السؤالين بعيداً عما جاء فى كتب الاديان!؟

ثم كيف تصدقون ان لكم ارواحاً وعقولا وانتم لاتعرفون ماهيتها وتقرون بها رغم قصر مداركم عن فهم كنهها - فلماذا إذاً ترفضون عقيدة الثالوث لمجرد عدم احاطة الادراك بها - فالذى يسلم بوجود اسرار فى الطبيعة وأسرار فى الكتب المقدسة وجب عليه ان يسلم ايضاً بهذه العقيدة اذ ان برهانها هو من الكتاب المقدس الذى اعلنها، كما انه مصدر الاعلان عن كافة ما نؤمن به من اسرار!!

واذا لماذا المخالفة فى التثليث، مع ان الاعتراض عليه جوابه هو ان ذاك السرمدى غير المحدود هو فوق الكيف وذلك من جميع الوجوه!!

* * *

فأنا لا اعرف روحى ولا كنه نفسى ولا كيفية تركيب كيانى، وطريقة تفكيرى ولا نبضات قلبى بدون توقف الى نهاية الحياة ولا كيف يعمل الجهاز التنفسى فى فاذ انا جاهل بنفسى، وكيانى كله اسرار، فلا استوعبها، وكذلك علاقاتى مع الآخرين، واسرار العناية الربانية من جهة خط سير حياتى وعملى ومصيرى - فكل هذه أسرار - انها اسرار ربانية فى ذات كيانى، **واذ انا حائر بالنسبة لهذه الاسرار، فماذا يكون موقفى من جهة الله من بعد حيرتى فى اعجاز الاسرار الوجودية والانسانية التى لايمكن لأحد التداخل فى شئونها - فما بالك بالحقيقة الإلهية ذاتها!؟**

نعم يحار المسيحيون فى هذا السر العظيم عند محاولتهم ادراكه، ولكنهم بنعمة الله يخضعون عقولهم المحدودة لإعلاناته السامية ولا يجرؤن على اخضاع السر نفسه لمستوى المنطق العقلى الضعيف وليس هذا بغريب، فقد قال أحد علماء المسيحية :

لماذا أقلق من جهة اسرار المسيحية ونحن محاطون بالاسرار، هوذا مجرد وجودى نفسه سر غامض، وكذلك العلاقة بين روحى وجسدى وكيفية اتحادهما، وكذلك اسرار العناية الالهية فى كل تحركات البشر، وهناك سر الموت وراء هذه الحياة العابرة - فما اكثر الامور التى يؤمن بها جميعنا دون ان نفهمها ولن تجلوا غوامضها تماماً الابدية نفسها، فلا غرو ان يكون التثليث وما يليه من التجسد والصلب والقيامة، **كل هذه من أعمق الاسرار، ولذلك لاينبغى أن يقلقنى مطلقاً عدم اقتدارى حل هذه الغوامض، وبالأولى ما هو مختص منها بالله جل شأنه، وهذا هو موقف المسيحيين منذ البداية!!**

* * *

ولذلك فاننا لمتحققون بأن العقيدة المسيحية فى الله بدءاً بالتثليث - ليست كغيرها - حتى يكون الوصول اليها سهلا بلا مشقة، ومن ثم فانها تستلزم من كل مسيحى ان يكون عالماً بدينه حتى يستطيع البحث فيها وفى غيرها من الاسرار، وخاصة أنه لم يعدم جيل من الاجيال من المعترضين على اسرارها هذه، الأمر الذى بازائه عكف علماء المسيحية على إثبات عقائدهم واحكامهم الدينية فى حدود الاعلانات الإلهية التى اعطانا إياها الله عن ذاته العليا ..!! **ومنها نرد على مؤلف كتاب : "الله واحد أم ثالوث" الذى ترك المسيحية بسبب تحديه لهذا السر وغيره، وهو يصفه بالقول : "لماذا هذا السر وهو لغز معقد .. انه انزلاق الى الشرك بل احتيال على تصور وحدانيته رغم اقانيمه المتعددة"** - فما حاجته الى تعدد الأقانيم الأمر الذى يحير عباده فيه - ولماذا لايكون بسيطاً بحسب التوحيد الخالى منها!؟

قال ذلك وقد فاته إدراك أن وجود الأقانيم ليس هو عن احتياج بل هو استلزام وجودى بطبيعة الجوهر مما لايمكن مجابهته ومحاولة انكاره بمثل هذا اللجوء الى العقل الفطرى للانسان - أى فى سذاجته وبساطته دون أى استخدام لقواه وملكاته الإدراكية، ومن ثم فإن عليه تقع مسئولية التجديف على الثالوث بوصفه له بالثالوث اللعين !!

أما شهود يهوه فى هجماتهم الدنيئة على جلال الثالوث الاقدس بالتهكم على كونه سر الاسرار وانه لذلك إله معقد شاذ التركيب - مع ان لاتركيب فى الذات الالهية مطلقاً - لكنهم يحاولون بأقصى الجهد الممكن لديهم الاحاطة بالجوهر الالهى وانكار وجود أقانيمه، زاعمين بطيش ان بمقدورهم اكتشاف حقيقة الله وإدراك كنه كيانه الذاتى عن طريق فحص هذا السر القدسى الرهيب، الامر الذى طوح بهم بعيداً عن السر، ودفعهم الى التشدق بانكاره، رغم انه اسمى الاسرار كلها التى اعلنها الله عن ذاته!!

أما نحن المسيحيين فاننا نؤمن بأن الله الواحد مثلث الأقانيم فى جوهر واحد بغير تجزئة ولا تركيب وبدون انقسام أو تعدد، فان المسيحية لم تقل ولا تقول بتعدد فى ذاته أو صفاته أو افعاله، فهذه كلها واحدة للاقانيم الثلاثة على اساس وحدة جوهرها، ولذلك فاننا نعتقد بالثلاثة الاقانيم دون ان يكون الله بذلك ثلاثة آلهة وذلك لوحدانية جوهرهم - **فلا محل إذاً لسؤال من يسألنا : هل إلهكم واحد أم ثلاثة!؟**

ونحن هنا انما نسأل عن ايماننا مستندين فيه الى ما أعلن بالوحى عن الحقيقة الإلهية - وهذا أمر لابد منه ان شئنا أن نحوز على الايمان الكامل بالله دون حاجة للبحث عن حقيقة ذات الله وكيفيتها باستنباط مناقشات عقيمة كتلك التى يحاول بها الغير عبثاً إدراك ما يتصل بالحقيقة الإلهية وهيهات لهم - بدون الخضوع لمعلنات الوحى - بلوغ ذلك!!

* * *

الفصل السادس

الثالوث اعلان الوحى وهو فوق العقل

«القدير لا ندركه ... لذلك فلتخفه الناس» (اى ٣٧:٢٣)

«لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله» (١كو٣:١٩)

الدعوى الى توحيد الأديان إدعاء باطل :

جاهر البعض مؤخراً بما أسموه الدعوة الى دين واحد - وهوالتسليم المطلق لله - مما يستتبعه حتماً خطأ الظن بانزال الله للاديان المختلفة العقائد والتسميات، وليست هذه الدعوة مجرد توسيع النطاق فى إدماج الاديان معاً، وانما هى مايرتئيه البعض بقصد تعلية التوحيد الخالص على حساب تصفية الثالوث، ولكن ذلك إنما هو من قبيل الترهات الباطلة الخطرة التى تمنع القدرة على الموازنة والتمييز، **وبالتالى الوصول الى التحقق من صدق مايقال عنه بأنه دين الله !!**

وما التسليم الأوجب هنا سوى الاقرار بقبول كل الحق المعلن، الأمر الذى من أجله نشأ علم تقرير العقائد ومقارنة الاديان. ومثل هذا التسليم ضرورة حتمية، لأن الحقيقة وحدها هى الباقية، وكل ماعداها الى فناء، وانما علينا ان نؤدى المهمة، ونوصل الأمانة، ونبلغ الرسالة الى أن نعود لرب العالمين !!

وهذا ليس بالأمر الهين أى الوصول الى التسليم الكامل، بل هو مما يستوجب ان يفطن اليه من يتمسكون بالجانب المبدئى من الاعلان - اى التوحيد - ويتوقفون عنده، لأن للاعلان مراحل تكميلية أكيدة متلاحقة

بعضها ببعض الى ان تكامل وصار ملزماً وقد ثبت به صدق الرسالة الجديدة التى أتت بها المسيحية!! إذ صار الاعلان الالهى بها متكاملا بحسب قانون التدرج الذى جاء اعلان الوحى المكتوب على نهجه!!

وإذاً فان الرجوع عن نور الاعلان المتكامل الآن إنما هو بمثابة نكسة أو ردة عن الحق الالهى الشامل!!

* * *

وهنا فى هذا المجال لافرض ولا إجبار، لاإرهاب ولا تخويف، وانما تفكير ودراسة فى هدوء وتعقل للوصول الى الحقيقة ... هذا صحيح فى حد ذاته ولكن لا انطباق له الا لدى المسيحيين، وما اختلافهم مع غيرهم حول قضية عقيدتهم إلا البرهان على ذلك، وما تمسكهم بها واعلان الحرومات على المخالفين إلا اثبات آخر لهذه الحقيقة، وانه فى سبيل البحث عنها لابد من استعراض كافة ماتحتوى عقائد الاديان لكى تتحقق مسئولية كل فرد فى طلب المعرفة بحثاً عن الحقيقة باختيار مايرتاح اليه ضميره من جهتها، متحملا فى ذلك النتائج الزمنية والمصيرية ...!!

وقد استوجب ذلك الاقرار بحق كل انسان فى اختيار دينه وعقيدته دون أية مؤثرات سواء الترغيب أو التهديد مما يمتنع معه التجريح باتهام من يتمسك بعقيدة معينة كالثالوث مثلا - بالكفر والشرك بالله، إذ لا ولاية لأحد من البشر على أحد فى هذا الشأن حيث لا إكراه فى الدين، مع ضرورة احترام العقائد بوجه عام وتقديس حرية العقيدة كالوسيلة الوحيدة المقررة للبحث عن الحقيقة!!

ومع انه قد ظهر مبدئياً أن التأمل فى عقيدة الثالوث ومايتصل بها أمر متعذر، إلا ان الحقيقة الخاصة بها، لابد أن تنكشف لنا بعد الدرس الدقيق لكى يطمئن اليها، مصداقاً للحكمة التى تقول : «ان المعلومات القليلة تخرج الناس من الدين والبحث العميق يعيدهم اليه»!!

ولن يجدى المنكرين هنا اعتراضهم على الثالوث باقتحامهم لهذا السر المبارك ومحاولة التخلص منه بشكل أو آخر كالعمل على تصفيته بالدعوة الى الدين الواحد الامر الذى ثبت بطلانه فى ضوء هذا البحث النزيه!!

عقيدة الثالوث مصدرها اعلان الوحى :

لاشك ان الكتاب المقدس - الذى يحتوى على اعلان الوحى المكتوب - هو ميزان الحق الذى نحتكم اليه فى كافة شئون العقيدة، وهذا سارى المفعول بوجه مطلق بلا تعطيل ولا تأويل أو استنباط تخريجات تخفى الحقيقة وتحاول استبدالها بما هو باطل ليحل محلها، رغم أن الباطل - أيا يكون شكله مدموغ بالبطلان، وليس له بقاء اذ ان البقاء انما هو للحقيقة وحدها ...

وواضح ان الله سبحانه لم يقدم لنا الاعلان عن ذاته للاستفتاء او المساومة وكأن من حق البشر ان يفحصوا هذا الاعلان ويقولوا رأيهم فيه بالقبول أو الرفض، لان هذا مبدأ فاسد ومرفوض أساساً، لأنه جل شأنه اعلم بنفسه منا ومن يقبل اعلانه عن ذاته فليقبل ومن أراد ان يرفض فليرفض، والأمر فى كلتا الحالتين يلقى المسئولية كاملة على الجميع، مع مايرتبط على كلا الامرين : القبول والرفض من آثار تصل فى النهاية الى المساس بالمصير الابدى!!

وقد سبق أن ذكرنا بان احاطتنا بالغيبيات والغوامض مما يشير اليه اشعياء فى اصحاح ٥٠ بالظلمات التى لانور فيها هو ما أكد حاجة البشر الى الإعلان فيما لايمكن للعقل ان يصل اليه أو يكتشفه، فكان لابد ان تأتى الينا هذه المعرفة من الله عن طريق الاعلان - ومن المؤكد أن وجوده تعالى يحتم ذلك ويستوجبه - والكتاب المقدس هو ذلك الاعلان الالهى بعينه - انه رسالة الله المباشرة لمد الانسان بالمعرفة فيما يتجاوز حدود وامكانيات قدرته!! **هنا يسمو الاعلان بتقديمه للانسان ما لايمكن أن يكتشفه العقل، مما يستوجب أن يقبله العقل دون أن يحيط به ادراكاً ...!! ويعتبر ذلك من أخطر قضايا**

العصر إذ هو اصعب صراع فى تاريخ البشرية، وهو يبدأ فى نقطة معلومة وهو من أين استقينا تعليمنا عن الله : إذ أنه تبارك اسمه معلن فى الاديان بوجه عام، ولكن بسبب الاعلان الكامل قامت الصعوبة الكبرى بين المسيحية والاديان الآخرى - لان المسيحية اختلفت عن غيرها بسبب هذا الاعلان الكامل الذى تجاوزت به حدود الوحدانية البحتة !!

* * *

ولا شك أن مانشهد به هنا هو الاعلان السماوى مما يجعل الثالوث العلامة المميزة للديانة التى أسسها المسيح .. ان الثالوث عندنا هو هكذا لا لأننا نميل الى هذا الاتجاه ولا لأى سبب آخر، لكننا نؤمن به لأنه تعليم كتابى - ونحن هنا لاننا قش ولا نجادل الذين يتنكرون لهذا الاعلان وانما نشير فقط الى التعليم الكتابى الموحى به فى اسفار الكتاب التى هى اعلان الله الموحى به - والمسيحى الحقيقى يرى الأدلة الكتابية انها مؤمنة ومقنعة ويقبل التعاليم الخاصة بالثالوث حتى لوكان فكره المحدود لايستطيع أن يستوعب كل شىء فيه على الوجه الاكمل، وذلك لأن الكتاب المقدس يتضمن الادلة الثابتة الخاصة بالثالوث بنفس الاسلوب الذى به يشمل باقى التعاليم المسيحية !! دون أن تكون مرتبة فى نظام مدرك - وهذا هو شأن الله فى جميع اعماله، فالترتيب متروك لنا، وبديهى انه من السهل ظهور تفسيرات كثيرة مزيفة لهذا السبب عينه ...

وان كان هذا العلم صعب الفهم والإدراك عند الذين صاروا متحيزين للتوحيد، إلا انه أخذ مكانته بين المسيحيين المؤمنين الذين قبلوه دون جدل أو معارضة وبتسليم كامل باعتباره أقوال الله - وهذه ظاهرة عجيبة فى تاريخ الفكر البشرى - ومن ثم كان علم الثالوث هذا معروفا لكل المؤمنين بالمسيحية، وشائعاً بينهم دون حاجة الى إثبات، فكان فيما بينهم حقيقة متداولة معترف بها، وقد أتم بها الوحى اعلانه الكامل فصارت هذه

الحقيقة رسالة العهد الجديد بعد أن كانت الوحدانية رسالة العهد القديم!! وهكذا وجد المسيحيون أنفسهم فى حالة قبول تسليمى للاعلان الذى رأى الله ان يعطينا إياه، وفى نفس الوقت اعترفوا بقصور اللغة عن التعبير عنه، ومع ذلك فهو ليس مناقضاً أو مخالفاً لأى حق متعلق بالله، وقد وجدوا ان هذه العقيدة كما وضحها الكتاب المقدس ليست عسرة الفهم، مع أنها لاتدرك ولا هى موضوع بحث واثبات اذ علينا قبول الاعلان الوارد عنها فقط، ومن ثم فقد تمسكت بها الكنيسة عبر كل العصور!!

* * *

ولذلك لايسأل المسيحى لم؟ أو كيف؟ لأنه يؤمن بأسرار ديانته ويقبلها بكل يقين وايمان لا لشىء إلا لأنها قد أعلنت لنا من الله ونحن نؤمن بها على الرغم من سموها الفائق للعقل البشرى لا لشىء إلا لأننا أيقنا انها من الله ووقفنا امامها متعجبين دون محاولة لاقتحامها لانها تخص ذاتية الله غير المحدود ومن المعلوم أنه ليس بامكان العقل البشرى أن يصل الى عمق الله ويقف على كيفية كنه ذاته لأن ذلك فى حكم المستحيل!!

ومن ثم فان الادعاء بمحاولة فهم الثالوث إنما هو فى الواقع اتجاه الى الاحاطة بالله فى حين ان اسرار ذاته وصفاته واعماله ستبقى بدون احاطة أو إدراك فى الزمان كما فى الابدية على حد سواء لانها مما يتجاوز حدود التفكير والمنطق!! وهى غيبيات مطلقة، الاستفتاء فيها محال!!

ومن ثم فان الذين رفضوا الثالوث واكتفوا بالوحدانية البحتة قد أخضعوا الكينونة الالهية لعقولهم القاصرة التى وقفت عند حد الوحدانية لانها توافق الفطرة والعقل البشرى فى سذاجته - وهى جانب بسيط عن الله يفتى فيه العقل حسب تصوره لها فى خياله المحدود، وهى لاتعدو عنده سوى أن تكون بأن الواحد هو من لا يدخل فى

وحدانيته آخر لكونه لامتناهياً ومن هنا جاءت المعرفة بالتوحيد تابعة للعقل المحدود لا متبوعة منه - على عكس التثليث - فكان هذا هو ناحية الخطأ فيه، عدم تمييز الفرق بين العقيدتين التوحيد والتثليث وكيف ان اللامتناهى ينطبق على كل اقنوم من ثلاثة الاقانيم لان لكل منهم الذات الواحدة اللامتناهية، وتسليمنا بذلك انما يجيء مطابقاً لاعلانه الوارد عنه، فأنى للعقل المحدود أن يحيط بغير المحدود!؟ ولكن له أن يميز الفرق بين العقيدتين فى كون : "ان عقيدة التوحيد تبعت العقل وخضعت له - مؤيدة من الخليقة والطبيعة والشعور العام لدى البشر فى وجود إله واحد للكون، على خلاف عقيدة التثليث إذ لايمكن استجلاؤها بغير اعلان الوحى فى كلمته المقدسة - ومن ثم فان لنا أن نستخدم عقولنا فى شأنها ولكن الى حد معين لايكون فيه خروج عن مفهوم نصوص الوحى!!

* * *

ومن هنا وجب بنا أن نقبل الله بحسب الاعلان الذى يقدمه عن ذاته، وليس بحسب المنظار الفكرى الذى نملكه فى ذواتنا، ومن المؤكد ان ذلك الاعلان لايحتاج الى بديل ولا الى تعديل، وما علينا نحن المتأخرين سوى الرجوع اليه!!

والخلافات هنا ايا كانت ومهما تعددت ليست بدليل على عدم الاقتناع، بل على عظمة العقيدة نفسها وصعوبة الاحاطة بها، كما ان وجود التناسب بين التوحيد المطلق والفطرة ليس بدليل على صحته، فالفطرة وإن كانت تضع فينا الاحساس أو الشعور بوجود الله، ولكنها لاتكشف لنا عن كنهه بغير معلنات وحيه - وهنا وجب تأدية الشهادة لحق الله والاكتفاء بما ورد فى كتابه وترك ما هو خارج عنه، ولكن مؤلف كتاب الله واحد أم ثالوث يريد دليلا ماديا لإثبات الثالوث استناداً الى قول برتراندراسل :

«ان العقيدة الدينية يجب ألا تقبل إلا اذا كان لها سند كالسند المطلوب فى القضية العلمية» (ص٧)

ولكنه قد أغفل أن لكل مجال برهاناً من اختصاصه، فالقول المتقدم انما يرد

عليه قول العقاد فى كتابه "عقائد المفكرين فى القرن العشرين" بقوله : "ان حقائق الدين مبنية على الايمان، والإيمان بها لا يأتى عن طريق البرهان، وان كان لايتعارض مع العقل .." وانه وان كان للبرهان قوة ترغم العقل على التصديق، ولكن الايمان لايأتى بارغام بل بطلب وشوق واجتهاد فى التحصيل، فان لم تشعر النفس بمكان الايمان منها فلا محل للبرهان بها، وان شعرت بهذا المكان فالبرهان متمم لشيء موجود يعاونه ويدعمه.

هذا هو الايمان الصوفى - الذى لايقبله العقل الفلسفى - ولكنه يستند فى قبول حقيقة الثالوث لما أعلنه الله عنها فى كتابه، ونحن لذلك ينبغى ان نصدقها وإن كنا لاندركها - وهذا شأن العلاقة بين الله غير المتناهى والانسان المتناهى !!

استحالة استعلاء العقل على الوحى :

لاشك أن معرفة الله أمر حيوى وهو اسمى مطاليب الانسان وخاصة لتعلقه بمصيره الأبدى ... على أن تلك المعرفة لايمكن استيعابها فى نطاق العقل البشرى اذ كيف يستطيع المخلوق ان يستوعب بإدراكه المحدود كيان الخالق وكنه وجوده !؟ فلا يسوغ اذاً فى هذا المجال الادعاء باننا قد أدركنا ذات الله وطبيعته، لاننا إنما نحاول فقط مجرد التعبير الصحيح عن ذلك بقدر ما تسعفنا ألفاظ اللغة البشرية، إذ ليس للغة البشرية أن تحيط به تعالى وهو الذى تحيرت فيه عقول الأنام !!

ولذلك فقد أجمع الرأى على التسليم بالعقائد الدينية بلا استدلال بحسب قانون الكريدو (أى التصديق)، لأن بعض الاشياء لايمكن ان تفهم إلا بعد الايمان بها، بل أن هناك أشياء أخرى لايصل اليها العقل بتاتاً ويجب أن نقبلها بالايمان - ولذلك قال جريجور الكبير : "لاقيمة فى ايمان يعتمد على العقل فى برهانه"، كما قال القديس اغسطينوس : "إنى اؤمن بهذا لأنه محال" ويقصد بذلك قبول الايمان لما هو فوق

العقل بدون بحث جدلى !! وذلك لأن المسيحيين لم يأخذوا عقيدة : الوحدانية والثالوث من مصدر بشرى وكأنها انتاج العقل بل آمنوا بها كحقيقة معلنة من الله فى كتابه المقدس من مطلعه الى نهايته - وهكذا قرروا الأخذ بالآيات والايمان بها كما وردت ومنع تأويلها موكلين أمر معرفة حقيقتها الى الله - فانها وردت على وجه لايحتمل التأويل فاذا حدث ذلك لايمكن قبوله لأنه شبيه بدعوى بلا برهان، وهذا هو أصل التحريف والبطلان، يتبع به اصحابه اسلوبا هو براعة الانشاء الذى به يحولون المجاز الى حقيقة والحقيقة الى مجاز حسبما يتمشى مع اهدافهم - فلما رأوا الحقيقة ناصعة حولوا عباراتها الى رموز وتشابيه وحرفوها عن معانيها الواضحة الى معان مضادة. واذا رأوا الرمز أو التشبيه يساعدهم على طمس الحقيقة التى تفزعهم، اعتبروا التشبيه هو الحقيقة وأخفوا الحقيقة التى ينطوى علها التشبيه ...

ولذلك فقد ترك آباء المسيحية اسلوب التفسير التسليمى المطلق من قيد البرهان أو الدليل وشرعوا فى فحص عقائدهم، وهى وان كانت بالطبع فوق العقل واسمى من كل إدراك، إلا أن ذلك هو مافات الذين يجهلونها أو يمتنعون عن البحث فيها فى حدود الاعلانات الإلهية ... وهم يرفضون التمييز هنا بين الامور التى تسمو فوق العقل - والتى لايجوز الاعتراض عليها لهذا السبب - وتلك التى هى ضد العقل لانها لا تتفق معه، فالأولى هى ماتتفق مع العقل فى أساسها لكن لسموها لايستطيع العقل الاحاطة بكنهها، أما الثانية فانها لاتتفق مع العقل إطلاقاً لا فى اساسها ولا فى كنهها ..!!

ومن ثم فاننا لا ننكر أن الثالوث يفوق إدراك العقل، لكنه يتوافق مع كمال الله المطلق كل التوافق وذلك بحسب الايمان المطابق للمكتوب، دون ان يقول قائل : لماذا كان هكذا. ولماذا لم يكن هكذا !؟. فان اقرارات الايمان تتجاوز حد الادراك العقلى الى التسليم الإيمانى تمثلا بقول الرسول : "ان الذى يأتى الى الله يجب أن يؤمن بأنه موجود" (عب ١١ :٦) فانه لم يقل كيف

هو موجود، انما قال فقط هو موجود ولاشك أن مثل هذا القول يخجل المتسائلين وإلا فليقولوا كيف يوجد الآب لكى يدركوا كيف يوجد ابنه وروحه!؟

ورغم سابق الاثبات بأن المسيحية تعلن عن الوحدانية التى لله بانها وحدة فى المقام تعلن انه لايوجد إله آخر نظيره فى الالوهية مطلقاً، كما انها قد أعلنت عن أن لجوهره الواحد ثلاثة اقانيم متساوية تساويا تاما فى السرمدية والقدرة ومن سائر الوجوه بلا تقسيم او استقلال او تفريد - وان الله لم يعلن لنا عن كيفية ذلك، ونحن لا نقدر ان نعرفها بمجرد عقولنا المحدودة، ولو رأى سبحانه بأن عقولنا قادرة على إدراكها لكان اعلنها لنا، ورغم كل الاشارات السابقة التى اوردناها عن تعذر البحث فى الذات الإلهية، إلا ان التساؤل لايزال قائماً لدى كافة المنكرين بقولهم: "كيف يؤمن المرء بعقيدة لا يفهمها!؟" يقصدون بذلك: كيف يمكن ان يكون فى الله اقانيم - وكيف نوحد الله ونثلثه فى آن واحد!؟ هنا العقل يحتار اذا لم ينجح فى قبول الاعلان الذى كشف عن وجود الاقانيم فى الله مع احتفاظه تعالى بوحدانيته!!

على أنه من المؤسف له أن بعض المنكرين تطرف هنا الى حد خطير بأن اعتبر المسيحية بلا عقل - لإيمانها الجامع بين الوحدانية والثالوث - بل تجرأوا الى القول بأنها عدوة العقل، وان من يؤمن بما تقوله فى هذا الشأن وغيره عليه أن يلغى عقله ... وهذا هو منطق الخطورة التى يتحدانا ويكشف عن وجهه القبيح بالادعاء باننا إما ان نكون عقلاء ونترك مسيحيتنا، وإلا فإنهم ينكرون علينا أننا قبلنا عقائد المسيحية ونحن فى تمام العقل وصحة الادراك - وهذا على المستوى العام الذى يقره الواقع - مقرين بأن ماوصل الينا عن الله لم يكن من استنباط العقل ولا من مصدر تخيلات مخلوق ما ولكنه اعلان اتانا من الله نفسه!! وقد قبلناه بمنطق القلب - اى بالايمان - الذى هو منطق الاديان كلها والذى على اساسه قبلته عقولنا وهى حائرة فيه لكونه من الامور الفائقة التى

يستعصى على العقل إدراكها، وهو مما لايحتاج الى أدلة اثبات أو نفى، مما لايمكن معه للعقل ان يتشامخ على الاعلان ويتحداه، لان كافة المسائل المتعلقة بالله لاقياس لها فى منطق او عقل اذ ليس للذات الالهية نظير ولا شبيه، وماجاءنا عنها لم يأتنا عن طريق العقل بل بالاعلان!! وهو فوق العقل ومن ثم فانه أبعد من أن يصل اليه الادراك البشرى بأى وجه من الوجوه، وقد سبق القول بانه ليس كل مالانفهمه مرفوض منا!! فاننا لانفهم شيئاً على حقيقته وان كنا نسلم بوجوده، ومن ثم فان كل الاعتراضات على الثالوث لاجدوى منها ولا فائدة فيها البتة وانما المقصود بها إحداث مواجهة بين العقل والاعلان وهيهات أن ينتج ذلك تفوقاً للعقل البشرى على الاعلان الإلهى!!

ومن المعلوم ان المسيحية الحقة هنا ليست مجرد دين من الاديان، لكنها الاعلان الالهى المقدم للبشر بالوحى المعصوم، وهو مايجب أن تنفتح له القلوب والعقول، إذ هو الاعلان الكامل الذى يملأ الافئدة بالسكينة والاطمئنان!!

ومن ثم فان الله سبحانه أعطانا عقولا لتفهم قدر طاقتها مضمون الاعلان وغايته، وليس لأجل الخوض فى الله وتفكيك أسراره وتحديد مايقبل من صفاته وما لا يقبل، لان كل ذلك تطاول على الذات الإلهية - أما اذا كان هناك تسليم ببعض جوانب عنها - فلماذا المخالفة إذاً فى أمر التثليث بالذات!؟

فإن من واجبنا أن نقبل الإعلان كإعلان فقط دون فحص محتوياته التى هى فوق العقل وتتطلب قبولها بالإيمان بدون إعمال العقل فيه بالتزيد عليه أو الإنقاص منه ... لضرورة تفوق الاعلان على العقل!!

* * *

وهذا يحتم بطبيعة الحال حتمية الالتزام بنور الاعلان واخضاع العقل له لانه

هو المتفوق، إذ هو النور المباشر الذى أتانا من الله، فى حين أن استنارة العقل اشبه بقدح الزناد لاستخراج شرار نار، سرعان ما ينطفىء، وهذا ما يمثل اضواء العقل المتقطعة والجزئية بخلاف نور الاعلان، وهذه هى المقارنة العجيبة التى يعقدها اشعياء فى اصحاح ٥٠ فيما بين الاعلان والعقل مستخلصاً منها الالتزام الكلى بالاعلان، فهو الذى يمنحنا المعرفة فيما يفوق مايمكن للعقل الوصول اليه عن طريق الغريزة والإدراك!! فشتان مابين الاضواء المتكسرة والنور الكامل : تلك ترتبط باختراعات العقل وهى تكشف عن غباوة عدم الايمان، فيمن يحيطون أنفسهم بالشرار ويسلكون بناره، ولكنهم من بعد فى الوجع يضجعون بعد ضياع مجهوداتهم!! والله يتحداهم بأن يسلكوا فى نور شرارهم وسيواجهون المرارة فى النهاية، وستكون نهايتهم الظلمات!!

فهل يقال بعد كل هذا ان الثالوث يجب أن ندركه بالعقل لا أن نقبله بالايمان .. مع انه قد اتضح لنا بان محاولة ذلك اى إدراك الثالوث بالعقل انما هو طريق الضلال المبين ... ولا شك ان السبب الوحيد الذى من أجله يعثر الناس فى الثالوث هو انهم يناقشونه بعقولهم - وهذه طريقة مضللة بالطبع!!

وهل يكون مقبولا حينئذ رأى بعضهم بان الثالوث محال لانه حسب زعمهم ضد العقل، وهذا تحامل غير نزيه، لان العقل الذى لايقدر أن يفهمه عاجز تماما عن إدراك أمور كثيرة غيره ولكنه يسلم بوجودها - فلماذا التوقف فى مسألة الثالوث إذاً!؟

تحديد دور العقل بالنسبة للإعلان :

حقاً ماأبعد الفرق بين من يقحمون العقل فى سر الثالوث المبارك، وبين حقيقة الثالوث نفسها كما أعلنها الكتاب المقدس .. وهنا تظهر الحاجة الى الاعلان المكتوب، لانه لايقدر أحد أن يعرف ما هو الله إلا الله وحده، لاننا إن كنا نفهم حقيقته كما يفهمها هو لما فاقنا بشىء، **ومن ثم فانه ليس من شئون**

العقل أن يتنافر مع عقيدة الثالوث ويستنبط لها مايتراءى له من تخريجات، فليس الحل هنا الهروب الى التعاليم البسيطة التى توافق عقل الانسان ومنطقه، لأن الاعلان عن الحقيقة الإلهية لايتعارض مع منطق العقل : فان قولنا بوجود الأقانيم فى الذات الواحدة لم يكن من ابتكارات العقل حتى يقال ان للعقل شأناً فى نقده أو اننا حددنا بذلك جوهره أو انتقصنا من كماله المطلق، إذ ليس هذا الذى نقوله بشأن الاقانيم مما يدركه العقل من نفسه ولكنه أتانا عن طريق الوحى المقدس، ولذلك فقط آمنا نحن به!! ووقفنا عند حدها ولم نجدها فى حاجة لمطالبة العقل بعد ذلك ببحثها أو إثبات أن تكون متفقة مع منطقه أم لا!!

والذين يقولون أننا بذلك نثبت قصور العقل عن إدراك الله، وهم يعلون شأنه لدرجة التأليه كما فعلت الفلسفة التى نادت بنظرية العقول العشرة ومن بعدها نسبت الى المولى قوله : «ماخلقت شيئاً اشرف من العقل» الأمر الذى يبنون عليه قولهم : ان الاديان إنما نزلت لذوى العقول، وأن لادين لمن لاعقل له ... ويتبين لنا من تراث المعتزلة فى الأمور الإلهية انهم جعلوا للعقل المكانة الأولى وللنص المكانة التالية، لأن العقل - فى نظرهم - هو أصل النقل، ومن ثم فان النصوص التى تخالف العقل عندهم يجب تأويلها وحملها على المجاز - **وهكذا قاموا بتعلية شأن العقل للدرجة القصوى وجعلوه فوق الايمان، وهذا يتنافى مع القول بأنه : "لاتجوز معرفة حقيقة الذات الإلهية عقلا أو شرعاً" وايضاً مع ماقاله ابن سينا : "ان الذات الإلهية لاسبيل الى إدراكها".**

ومن المعلوم ان هذه هى صدمة عصر العلم الحديث، البحث العقلى - غير المقيد - الذى قد انتهجه العقلانيون وذهبوا فيه الى تعلية شأن العقل فى شتى المجالات بما فى ذلك «الله» ذاته!! ولهذا السبب يتشدق منكرو الثالوث - كما هو واضح من كتاباتهم - بأن عقيدة الثالوث تخالف التفكير الطبيعى، وهم ينتقدون ماجاء فى دائرة المعارف الامريكية قولها عنه : **"ان عقيدة الثالوث**

تعتبر أبعد من إدراك العقل البشرى، فان محاولة إدراكها بصورة دقيقة أمر صعب المنال". وهم يحاولون التدليل على ذلك بانه رغم كل ماكتب فى تفسيرها، فان التوقف فى فهمها قائم كما هو، بل أن هناك من يتردد فى الكلام عنها خشية عدم التعبير عنها كما ينبغى!! وهم يستطردون الى القول : «ان اليهود قد تعثروا فى فهم فكرة الثالوث، كما ان المسلمين لايمكنهم قبولها ببساطة لانها لاترضيهم إذ يرونها تشوب الوحدانية وتبطلها»، وكل ذلك انما هو لسبب عدم تحديد دور العقل بالنسبة للاعلان!!

* * *

هذا هو رأيهم فى الثالوث وصلوا به الى استحالة قبول العقل له وظنوا بهذه المغالاة فى تعلية شأن العقل أن بامكانهم اخضاع الذات الالهى له، وقد وقعوا حيارى اذ وصل بهم التخبط بين العقل والاعلان الى الادعاء بان الاعلان الالهى نفسه لايسمح بمثل هذه النظرة - أى وجود الثالوث - وهذا زعم باطل قصدوا به تحدى الاعلان ومناقضته!!

ووجه الغرابة فى أمرهم هنا، انكارهم لعجز العقل القاصر عن تكييف الذات الإلهية وهى مبدعة العقل وفوق إدراك الحس، فان هوية الذات الإلهية استبطان مطلق فى وجود مطلق لايمكن لأية كفاية بشرية عرفانها ولا اخضاع كنهها للمناقشة والجدل العقيم : **وذلك لأنه كمال مطلق تعجز عقول البشر المحدودة أن تدركه فهو لايخضع لتجارب العلماء ولا يدخل فى حدود العقول!!**

ومن ثم فان القول بتعارض الثالوث مع «العقل»، وان الذى يؤمن به يستوجب ذلك منه إلغاء العقل انما هو قول باطل بلا معنى ولايصح الأخذ به، لان الثالوث فى الواقع لايتعارض مع العقل بل هو يفوقه، لأن العقل وان كان قد استطاع ان يفهم بعض نواميس الطبيعة، لكن هيهات له أن يتحكم فى خالقه محاولا تفهمه، وإلا هلم نمتحن طاقة عقولنا لا فى حقيقة ماهية الله فقط بل فى شىء من

متعلقاتها كمكان وزمان وجود الله مثلا لنرى مدى قدرة العقل البشرى فى هذا المضمار ! ؟

يقولون ان الثالوث يتعارض مع العقل وهو لذلك باطل، وقد نسوا أن كل مايرتبط بالله يتعارض مع العقل - فمن أين جاء الله ؟ ومامعنى أنه أزلى ؟ وغير محدود أيضاً ؟ فان القول بأنه لا أول لوجوده قول لايدركه العقل، ونحن والمعترضون على الثالوث نجيب الكفرة الملحدين قائلين : إن ذلك فوق كيف ! ! فان كانت وحدانية الله بالنسبة لوجوده الازلى باطلة لعجز العقل عن الانطلاق الى الازل السحيق ثم يسير الى الأبد المديد وليس حد فى الماضى يقف عنده ذلك الوجود ولا نهاية فى الآتى لسرمديته، وكذلك الحال لوجود الله فى كل مكان فى وقت واحد دون أن يتجزأ، فان قالوا ان هذا أمر غير ممكن، قلنا أن هذا هو الكفر بعينه ! ؟ لكنهم يقولون أن هذا فوق كيف لان وجود الله المطلق لايمكننا أن ندركه - وبالتالى إن كان التوحيد والتثليث باطلا لأنه فوق العقل فيكونون قد حكموا أن وجود الله اللامتناهى بصفاته المطلقة باطل أيضاً لأنه فوق العقل ! !

* * *

ومن ثم فان عدم ادراكنا الكيفية لحقيقة ما، لايجعلنا نرفض الحقيقة نفسها، اذ ما أكثر الامور المجهولة منا، ومع ذلك فليست مرفوضة، حتى ان عدم معرفة اكثر من نصف سكان الارض - فى الوقت الحاضر - للاله الواحد الحقيقى لاينفى وجوده تعالى، كما أن عدم نظر الذات الإلهية لاينفى وجودها .. ومن ثم فان السؤال : كيف يكون الله واحداً فى ثلاثة وثلاثة فى واحد - جوابه هو انه تعالى فوق كيف - والسؤال كيف هنا لايسأله المؤمنون بل يسأله الكفرة والمنكرون ! !

وكذلك الحال بالنسبة لمن يطالب بالبرهان العلمى أو المادى الذى يقوم عليه هذا الاعتقاد، فان طلبه هذا ليس له معنى فى هذا المجال - لأنه ما أكثر الاشياء

التى اذا طلب كافر بالوحى اثبات أمر واحد منها بالدليل المنطقى والحجج العقلية عجز المطالب - هو وجميع الراسخين فى العلم عن الإجابة - فلماذا المخالفة إذاً فى مسألة التثليث بالذات!؟

وقد أجاد ابن العربى فى كتابه : الهدية السعدية - فى قوله : ان الله ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول. ولذلك فانه مهما تكن المعرفة التى وصلنا اليها، فان مداركنا قاصرة هنا عن إدراكه تعالى والإ لما كان هو الله، فان معرفة كنه ذات الله أو ماهيته يقيناً هى من الامور التى لايصل اليها العقل، فمن الممتنع عليه بتاتاً ان يدرك سر الذات العظمى التى تهيمن على باطن الوجود وظاهره، **وإنما يدرك العقل وجود تلك الذات فقط!!**

وإذاً من السخف أن يزعم إنسان ما بأن فى مقدوره أن يستوعب موضوع الثالوث فى نطاق عقله، ولا غرابة فى ذلك لان عقولنا قاصرة عن إدراكه لكونها محدودة، فلا حجة اذاً لمن يرفضون الثالوث لعدم إدراكهم له، فان عقولنا لذلك ليست مقياساً للممكن ولغير الممكن فى هذا الأمر الفائق حتى تحكم بأن ثلاثة الاقانيم فى الجوهر الواحد أمر محال!؟ والواقع أن لادليل على استحالة ذلك، فتلك دعوى بلا برهان، إذ ليس فى مقدور عقولنا أن تدرك الجوهر الالهى وأقانيمه والنسبة الكائنة بينه وبينهم إدراكا تاماً حتى يمكنها أن تحكم باستحالة وجود ثلاثة الاقانيم فى الجوهر الواحد!!

أفبعد كل هذا يقول المعترض ان اعتقاد المسيحيين بالتثليث جهالة، أو أنه لايسلم به لأنه لايجد دليلا عقلياً عليه!؟ أليس لكل شىء برهان من نوعه : فالحوادث التاريخية لاتثبت حقيقتها إلا من علم التاريخ ليس إلا، كما أنه لايمكن اثبات أن الكل أعظم من جزئه بطريقة كيمائية!! ومن ثم فان المسائل الدينية لاتثبت من علوم الرياضة أو الفلك وغيرها وإنما من الكتب المنزلة بالوحى الالهى!!

* * *

ومن ثم فان الثالوث لن يدخل فى نطاق التفكير الطبيعى - حسبما يرتئيه المفكرون - لأنه اذا كان الانسان بحكم عقله المحدود يعجز عن إدراك اشياء عديدة لاحصر لها، فهل يكون غريباً أن نقول أن هذا لابد أن يكون موقفه بعينه تجاه الثالوث **إذ لماذا يستثنى هنا ويعترض عليه منكروه لكونه غير مدرك!؟ وماجدوى ان تقوم حوله شبهات ومزاعم زائفة مما لاتقول به المسيحية!؟ ولماذا يستشعر البعض صعوبة فى الايمان بالثالوث بالذات مع الاعتراف بالعجز عن إدراك كافة المسائل الإلهية التى يحار فيها العقول بما فى ذلك ما يختص بجوهر الله وكنهه، والعلاقة بين ذاته وصفاته كما سبق التنويه!؟**

ولذلك فانه من الغريب هنا ان يتصور المنكرون لعقيدة الثالوث بانها اهانة لله بموجب محاولاتهم اخضاعه للعقل، فى حين انه حقيقة تفوق الإدراك وتعلو على الفهم، فلا يمكن الوقوف عليها فى معنى الاحاطة بها اذ من المستحيل أن يدرك كنه الله سواه - **ولكن أى احترام وتقدير نقدمه لإله بلغ من البساطة بحيث ظنوا أن بمقدور العقل البشرى أن يفهمه ويستوعبه تماما ودون حاجة الى إثارة علم أو تحدى فكر، حتى ان البعض من أهل التوحيد المطلق أعلنوا بان الدين الخاص بهم هو الذى يعلم كينونة الاله وذلك بحسب تصورهم!!**

فان استمر المفكرون على جحدهم للثالوث لان العقل لايدركه - قلنا لهم من جديد ان عقول البشر عاجزة عن إدراك حقيقة الماديات ومحجوبة عن معرفة جواهر الروحانيات - فهى لاتدرك من الماديات إلا صفاتها وخواصها وتجهل حقيقة جواهرها وذواتها، ومثال ذلك الكهرباء فهى موجودة وآثارها ترى دون معرفة سرها وكنهها فكيف **إذاً يعرف الخالق غير المحدود مخلوق محدود وهو جاهل ذات نفسه وكيفية وجوده وسر حياته فى جسمه المتحرك والساكن، وهو ايضاً لايعلم سر القوة التى يخفق بها قلبه والدورة الدموية فيه بدون ارادة منه، وكذلك أكثر الوظائف العضوية** .. وإذن لم

تصل عقولنا ولن تصل الى تصور كنه حياتنا، وحيث ثبت عجزنا عن ادراك كل ماتقدم، فاننا عن معرفة ذات الحق تعالى أعجز، ومن ثم فليس فى وسع أحد أن يصفه وصفا تاما نهائياً حتى يجيز لنفسه الاعتراض!!

ضرورة تفوق الاعلان على العقل :

ان السبب الحقيقى الذى دعا المنكرين أن يرفضوا عقيدة الثالوث هو توهمهم انها تتعارض مع منطق العقل السليم - رغم اثباتنا باننا نؤمن بأمور كثيرة لانفهمها استنادا الى اعلانات الوحى عنها - **فلماذا التوقف عند الثالوث مثلا مع اننا آمنا به من نفس المصدر، فصرنا نؤمن بذات واحدة لله قائمة دائما ابداً فى ثلاثة اقانيم - ولم نجد فى ذلك ما هو مستحيل ولا ماهو مضاد للعقل ... وقد سلمنا بالوحدانية والثالوث معاً ، ثم قابلنا وسوينا بينهما وهما يجتمعان واستطعنا أن نجد بينهما كامل الاتفاق وتمام الوفاق** : لا الاستغلاق الذى يدعيه المنكرون ويبنون عليه استحالة التصديق واقناع العقل باستساغتها، والوصول بهم فى نهاية المطاف الى عدم العلم بحقيقتها الى يوم القيامة - يوم الحساب - زاعمين ان الله سبحانه وتعالى سيحاسب معتنقيها عليها، متجاهلين النداء الموجه اليهم فى القول : «وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله»!! وأيضاً : «بانه تعالى سيحكم فى يوم القيامة فيما هم فيه مختلفون». ومعنى ذلك ان الحساب على القضايا الدينية عام فى نهاية المطاف، ولذلك يجب الانتظار الى أن تنجلى الحقيقة ويظهر فيها حكم الله - ولكن المنكرين لا يستطيعون ذلك وفى تعجلهم للأمور نجدهم يقولون : "**بان اجتماع التوحيد والتثليث يعنى الجمع بين الخطأ والصواب، والنور والظلمة، والحق والباطل، وذلك لمجرد سمو هذا الاعتقاد على العقول بطبيعته، رغم انه من المقرر بالاجماع أن عقولنا محدودة القوى والوسائل ومحكومة بالعالم المادى المحسوس، ولذلك ينتزع العقل تصوراته وتخيلاته من عالمه هو - ومن هنا تكون احكامه صائبة فيما يقع تحت سلطانه وطاقته أما ما يخرج عنهما فمن العبث أن يطلب منا تحميله إياها، لانه بخروجه عن نطاق الحدود المرسومة له يقع فى الزلل والخطأ** ... فما

بالك فيما لو تعرض للبحث فيما لايجوز له فيه لانه متى فعل العقل ذلك فان نور الاعلان يطمسه بل يلاشيه!! ويصبح مثله كمثل من يحاول تفريغ البحر كله فى حفرة حفرها بيديه.

* * *

ويبدو تفوق الاعلان على العقل بالضرورة من اتفاق المفكرين بالاجماع على وجود الخالق، وهذا مجال العقل وقدرته وسلطانه ولديه مايكفيه من وسائل للبحث فى هذا المجال، ولكن ماحقيقة هذا الخالق؟ وما اسماؤه؟ وما صفاته؟ هنا يقف العقل إذ ليس هذا مجاله لانه فوق طاقته وفوق تصوراته، فاذا تجاوزه فلن يأتى إلا بالخطأ والضلال - ولذلك لم يتم الاتفاق بالعقل فى شئون الذات الالهية الداخلية، **ومن ثم كان المنتظر أن يخبرنا الخالق عن نفسه بتعريفنا بذاته وباسمائه وصفاته وذلك عن طريق الوحى المعصوم، اذ هيهات للعقل البشرى ان ينفذ الى الحقيقة الإلهية، فكل ماقيل عنها وسيقال لايمكن للقائل أن يقطع به ولا يقيسه السامع بقياس معلوم، فليس من حق العقل أن يعترض هنا وليس من حقه أن يجتهد فيما أخبر به - اذ لا اجتهاد فى النص - لان الذى أخبر به وأعلنه هو صاحب الشأن نفسه، واعلانه المباشر هذا هو فوق العقل بالطبع!! ولذلك فقد اعتاد مسيحيو القرون الوسطى أن يقولوا عن عقيدة "الثالوث والوحدانية" أنها المدرسة العليا للمنطق والكلام!!**

ولذلك نجد أن عدم فهم معنى التثليث هو الذى يجعل غير الفاهم يعتبره مناقضاً للتوحيد، والحقيقة غير ذلك، لان التوحيد هو الاساس الجوهرى الذى ترجع اليه عقيدة التثليث، والثالوث بوحدانيته هو العقيدة الجوهرية العظمى التى تعلمناها عن الله فى الكتاب المقدس من السفر الأول الى الأخير!! ومع اننا لا نستطيع أن نفهم سر الوحدانية والثالوث بعقولنا - اذ اننا تقبلناها بالايمان من اعلانات الوحى، ولذلك فاننا فى ضوئها **نعبد الله فى وحدانية ثالوثه وثالوث وحدانيته، فلا محل للقول بأن وجود الاقانيم الثلاثة يناقض وحدانية**

الجوهر الالهى، كما ان وحدانية الجوهر لاتنفى وجود ثلاثة الاقانيم فيه!! ومن المعلوم بالاجماع أن حقيقة ماهية الله وجوهر كيانه لاقدرة لمخلوق بالطبع على فحصها أو إدراك شىء عنها، فلا يصح لاحد أن يتطاول الى ذلك اذ ان قدرتنا محدودة والله منزه عن الحدود.

فيكفينا إذن الايمان بما أعلنه الله لنا فى كتابه والوقوف عند هذا الحد، إذ ما كنا نعرف عن ذلك شيئا من تلقاء انفسنا لولا ذلك الاعلان الذى فيه عرفنا ان الذات الواحدة هى جوهر واحد لايقبل الانقسام أو التفريق وان فى هذا الجوهر ثلاثة أقانيم - وليس فى ذلك مايضاد العقل لأن الاقنوم غير الجوهر، **ولذلك فاننا نؤمن بأن وحدانية الله هى من ناحية غير الناحية التى نعتقد فيها انه تعالى ثلاثة اقانيم - وهكذا يجمع ايماننا بين التثليث والتوحيد!!**

* * *

فاذا كان عدم ادراك كنه الثالوث - بعد كل هذا - موجبا لنفيه، لزم كذلك أن يكون عدم إدراكنا كنه الله الواحد موجبا للكفر به - وهذا مالايرتضيه عاقل!! مما يستوجب التسليم بأن الذات الالهية فى ثالوثها ووحدانيته حقيقة تفوق ادراك الخلائق بأسرها وذلك بوجه مطلق، اذ يستحيل على العقل المحدود الاحاطة بالجوهر الالهى الذى لايدرك كنهه سواه - فهو كما علم نفسه وإلا لما كان تعالى هو الاله!!

ومن ثم فان تابع التوحيد المطلق الذى يقول بأنه لايصدق عقيدة "التثليث" لانه لايقدر أن يفهمها قد فاته أنه يصدق امورا كثيرة يشارك فيها اليهودى والمسيحى كالخلق والمعجزات والقيامة والخلود والثواب والعقاب فكلنا نصدق هذه كلها بل ونؤمن بوجود الله أيضاً، ليس لاننا قادرون على اثبات هذه العقائد بل لانها وردت فى كتب نعتقدها منزلة صحيحة!! فاذا صح رفض التثليث لعدم إمكاننا إدراكه، لزم أيضاً رفض كل هذه العقائد السالفة وامثالها مما جاءنا به الاعلان الالهى وهو فوق طاقة إدراكنا - مثل كونه تعالى قائماً بالذات

وأزليا وعلة العلل، وغير معلول البتة، وموجود وجوداً مطلقاً لامتناهياً ... الخ

فاذا كان الله فريداً فى الكون فى طبيعته وصفاته، فهل هو بعيد أن يتميز عن كل ماسواه فى كيفية وجوده ووجود اقانيمه فى جوهره الواحد الفردى دون ان يستلزم ذلك انقسام الجوهر إذ هو كائن غير مادى بل روح مطلق والروح لايقبل الانقسام - ولذلك فان لكل اقنوم الجوهر الالهى كاملا بلا تقسيم أو انفصال!!

ومن ثم فاننا ونحن نثلث الاقانيم موحدون لأننا نوحد الجوهر الالهى، ولا نقول ان الله ثلاثة جواهر بل ثلاثة اقانيم فى جوهر واحد هو سر وحدة الاقانيم!! ولذلك فان جميع المسيحيين لايؤمنون بثلاثة آلهة لانهم فهموا معنى الثالوث بانه ليس ثلاثة ذوات أو وحدات، كما أنه ليس ثلاثة كينونات أو آحاد!!

* * *

ويتضح من ذلك ان عقيدة الثالوث لابد ان تسمو بطبيعتها فوق ادراك العقل - فليس بمقدوره أن يخترعها أو يبتكرها، وانما قد جاءتنا بالاعلان الذى هو فوق العقل بالضرورة، اذ هو وحى الله المقدس الكاشف للحقائق التى لايستطيع العقل أن يكتشفها أو يصل اليها من تلقاء ذاته، وانما هو يقبلها ويسلم بها باقتناع وارتياح تامين عندما يخضع لها بالايمان بموجب السلطان الالهى الذى أعلنها!! وقد شهد أحدهم عن ذلك بالقول : «إن كل ماعجز عنه العقل أفاده الله للإنسان عن طريق الوحى»!! وهذا بحد ذاته يلزم المعترض بموافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشىء!! **كما أنه يثبت تفوق الاعلان على العقل بالاطلاق، دون أن يكون ضده، مما يفند الادعاء على الثالوث مخالفته للعقل ويؤكد بطلان ذلك!!**

وهذا يؤكد ان وجود تعاليم فائقة للادراك فى الامور الدينية ومخالفة لكل تصوراتها ليس مضادا للعقل، بل أن العقل السليم ينتظر وجودها بوحى من الله

على نوع ما ... وقد شهد أحد المحدثين من غلاة المتمسكين بالتوحيد البحت هو ديدات فى خطاب موجه منه لاصحاب التوحيد المطلق فى كتابه رقم ٣٠ ص ٩٢ : «بأن الله سبحانه وتعالى ليست لديه دوافع شخصية، فهو لن ينتفع منا لمجرد اننا اتباع أو انصار وحدانيته.»

ارتباط العقل والايمان فى قبول الاعلان :

كان لابد أن يتساوى البشر جميعاً أمام الله بلا تمييز بين فريق وآخر، وان يكون هذا هو موقفهم الحقيقى بالنسبة لمعرفة الله فلا تكون لعقولهم - رغم تفاوت درجاتها - القدرة عليها تلقائياً ... ولكن العقل بنور الايمان يتيقن من وجود الحقائق المعلنة بالوحى، مع أنه يجهل كنه وجودها، فاذا لمح بعض التناقض الظاهرى لاينزله منزلة التناقض الحقيقى كما يفعل البعض لسوء الفهم ...

ولايؤخذ من ذلك أن الدين المسيحى يقول أو يبغى الغاء العقل، بل يريد أن ما لايطيق العقل الخوض فيه عليه أن يقبله كما هو لا أن يفهمه - فالعقل أمام الحقائق الالهية لايستطيع أن يدعى العلم بكل نواحيها، ولكنه يعلم منها ما هو فى نطاق الحدود الممكنة لديه، وهنا تنجلى الحقائق للايمان وهى فى غاية الثبوت، فان الذى أوحاها يضمن لمن يقبلها ثبوتها وهى عنده ليست محل مناقشة، ولذلك يكشف بالطبع مدى ارتباط العقل والايمان فى قبول الاعلان، فلولا العقل ما استطعنا أن نؤمن لأنه لو لم ير العقل مايستوجب الايمان ما كنا نؤمن به ...

والايمان المسيحى إذاً إنما هو إذعان صوابى للعقل يد فيه، لانى لا اؤمن إلا بعد إعمال عقلى تقصياً عن حقيقة مايوجب على الايمان، فالعقل والحق بينهما اتصال شديد .. إذ لا حظر من استعمال العقل على الوجه المستقيم ولكن الخطر فى استعماله على غير ذلك لضعف طبيعتنا وسوء احكامنا .. فاذا تقدم العقل باعتراض على الايمان من جهة كافة ما أثير حول الذات الالهية، فان الايمان يرد عليه بالقول : أين الدليل على استحالة ذلك؟ اذ لايوجد كائن آخر نظير الله فى

الذات والصفات والافعال - فهل يسوغ لنا أن نقول انه مستحيل وجود اله كهذا - بالنظر لعدم وجود كائن آخر نظيره!؟ فان كنا لانسلم باستحالة ذلك - أى وجود الله بحالة متميزة عن الكائنات من جميع الوجوه - فكيف نسلم باستحالة وجود ثلاثة اقانيم فى الجوهر الالهى الواحد لعدم وجود كائن آخر بهذا الوصف!؟ فى حين ان علماء التوحيد أنفسهم قد قرروا أن : **"الذات الإلهية مغايرة لسائر الذوات"** فان كانت مغايرة هكذا، فهل يستحيل أن تكون مغايرة لها فى هذا الأمر!؟ وما دام قد قيل بانه سبحانه لايدركه سواه فهل يسوغ لمعترض أن يحكم باستحالة مالا يدركه؟

قال الشيخ محيى الدين فى كتاب الباب ص ٣٢٢ : «وما أمر الله تعالى بالخوض فى معرفة ذاته لا النافى ولا المثبت». ثم قال : «أعلم ان الحق تعالى لايدرك بالنظر الفكرى أبداً - وليس عندنا أكبر من ذنب الخائضين فى ذات الله بفكرهم ، فانهم قد أتوا بأقصى درجات الجهل». (ص ٣٧٣)

* * *

ومن هنا لايمكن ان تتعارض حقائق الايمان مع العقل الراجح اذ ليس بين العقل والايمان ما يخشاه أحدهما من الآخر لصدور كل منهما من ينبوع حقيقة لاتتغير! فليس بينهما منافاة لان الله الذى أوحى باسرار الاعلان هو الذى نشر نور العقل على روح الانسان، فالعقل والايمان يتعاضدان، لان العقل المستقيم يكشف عن اسباب الايمان، والايمان يصون العقل من الضلال، ويغنيه بالمعارف ... فالعقل يهيىء العاقل - بالبحث - عن الاسباب الموجبة لتصديق الايمان!!

* * *

بطلان رفض الثالوث لعدم المشابهة

«فبمن تشبهون الله وأي شبه تعادلون به» «بمن تشبهونني وتسوونني وتمثلونني لنتشابه». «لأني انا الله وليس آخر الاله وليس مثلي». (اش ٤٠: ١٨، ٤٦: ٥و٩)

اعتراض عدم المشابهة ينعكس على أصحابه :

من بين الاوصاف التي يصف بها الله نفسه قوله : «انا الاله وليس مثلي» . الأمر الذي جاء التعقيب عليه بالاجماع - انه ليس كمثله شيء - ولكننا بعد أن مررنا في الفصل السابق بادعاء المنكرين للثالوث مخالفته للعقل، اذ بمنطقهم الغريب يتجه بهم الى اعتراض عكسي تماما وهو : «ان الثالوث مرفوض لعدم المشابهة» فقالوا بالحرف الواحد : «ان اعتبار الثالوث الهاً واحدا في ثلاثة اقانيم المساواة بينهم تامة أمر صعب قبوله»، لانه ليس مشابهاً لأي شيء ولذلك فهم يعترضون على مايقوله الاسقف يوجين كلارك : «ان الله واحد، والله ثلاثة»، وبما انه ليس هنالك شيء كهذا في الخليقة، فإن علينا قبوله فقط !!

ووجه الغرابة في هذا الاعتراض أن منكري الثالوث بينما هم يدعون إكرامهم لله بنفي الاقانيم حتى لايكون أحد مساويا لله - بحسب زعمهم - إذ بهم ينزلون هذا الاله من مركزه الحقيقي بتشبيههم الثالوث بثلاثة من البشر بقولهم :

«عندما اعتمد يسوع في الاردن جاء ذكر الله ويسوع والروح القدس، ولكن ذلك لايعني - في نظرهم طبعاً - ان الثلاثة هم واحد وان كلهم بالضرورة ينتمون الى الطبيعة الإلهية، ويملكون كرامة إلهية متساوية، فالمعنى لايذهب الى تأكيد شخصيتهم أو مساواتهم أو الوهيتهم أو أن الثلاثة متساوون في الجوهر والقدرة والسرمدية ...»

أما حادثة عماد المسيح - مثار جدلهم هنا - فهى ترينا ثلاثة اقانيم حاضرة موجودة تبدو متميزة لكنها غير منفصلة : فالابن باقنومه فى شبه انسان إذ تأنس بارادته لم يزل أقنوماً قائماً لايرى، والروح القدس بأقنومه شبه حمامة غير اقنوم الابن وهو غير منظور وغير متجسد وانما ظهر ليوحنا فى شبه حمامة ليحقق أن له اقنوماً خاصاً، كما ان للابن اقنوماً خاصاً، كذلك سمع يوحنا صوت الاب من السموات وهذا يدل على اقنوم، فاذا كان الاب لايحد بصوت إذ هو غير متجسد وليس له صوت غير الابن - الذى هو كلمته - ولكنه ظهر ليوحنا بهذا الصوت ليحقق أن له اقنوماً خاصاً غير الاقنومين الآخرين اللذين رآهما، وأنهما فيه بغير انفصال إذ كان الروح القدس نازلا من الاب على الابن وهو فى الاب والابن - وكل ذلك يحقق وجود الاقانيم!! أما التخاطب بين الاقانيم وتحدث أحدها عن الآخر أو معه فليس فيه أدنى غرابة لانها كائنات حقيقية تتميز بالضمائر العاقلة والصفات الشخصية بل وبالامكان ان يرسل احدها الآخر دون أن يعنى ذلك أى نوع من الانفصال فيما بينها سواء كان معنوياً أو فعلياً ...

والاعتراض بان حادثة عماد المسيح قد جعلت اللاهوت محدوداً مردود، لانه وان كان اقنوم الابن قد ظهر فى الجسد، ولكن ذلك بدون حصر أو تحديد، وكذلك الحال بالنسبة لظهور اقنوم الروح القدس بهيئة جسمية كحمامة، واعتقادنا من هذا القبيل لم نجعل به الله محدوداً ولا جعلنا الاقانيم مستقلة وكأنها منفصلة - اذا فان الاعتراض من هذا القبيل انما هو من لغو الكلام!!

وهو مابلغ اليه شهود يهوه بتشبيههم الثالوث الالهى بثلاثة من البشر بقولهم : **"كون الثلاثة واحداً امثلته ذكر ابراهيم واسحق ويعقوب معا، وبطرس ويعقوب ويوحنا، وان ذكر هذه الاسماء معاً لايجعلهم واحدا ... كذلك ذكر اسماء الاشخاص الثلاثة (الله والمسيح والروح القدس) كمن يؤلفون ذاتاً إلهية ثالوثية انما يشبه ادراج ثلاثة اشخاص من البشر - ايا تكون اسماؤهم -، وهذا لايعنى انهم واحد ..."**

والضلالة الكامنة فى اقوالهم نجدها فى تشبيههم الاقانيم الثلاثة بثلاثة من الناس،

واستخدام لفظة اشخاص فى تطبيقها عليهم وكذلك كلمة التأليف فى حين اننا لن نستخدم هذه العبارة عن الاقانيم - لان كلمة اقنوم تعنى الكيان الخاص المتميز بلا انفصال، بخلاف شخص التى تعنى الذات المنفصلة، كما ان اللاهوت لايعرف التأليف فى جوهره إذ هو جوهر بسيط لا تأليف فيه ولا تركيب، أما تشبيه اللاهوت بالناس فهو الكفر بعينه اذ ان مثل هذا التطابق الوهمى الذى لاوجود له قد وصل بهم فى نهاية المطاف الى اختراع ثالوث باطل لمجابهة الثالوث الحقيقى به الذى هو اسمى من ان يقارن ... ومن عجب ان ديدات قد أيد رأيهم الأخير، فزعم بان الثالوث نشأ عن المشابهة - **وهكذا وصل بهم اعتراض عدم المشابهة الى الوقوع فى عكسه أى مشابهة الله للناس بسبب التفسير الخاطىء الذى انتهجوه - فى حين ان الوحدانية التى تدين بها المسيحية فريدة بلا شبيه ولا مثيل على الاطلاق!! هذه الوحدانية تتمثل فى وحدة الجوهر والذات وذلك وفقاً للاعلان الالهى وتعريفه لجميع عقائد المسيحية بانواعها**، وهى فى مجموعها اسرار تفوق العقل بدءاً بسر التثليث والتوحيد - وليس بوسعنا - وقد أخذناها من كتاب الوحى - حل هذه الغوامض لانها مختصة بالوجود الإلهى الذى يفوق كل تفكير، وانما قد تحققنا من نفس الاعلان السماوى **بانه ليس للثالوث فى الوحدانية مشابهة قط، وكان هذا هو المنتظر بالنسبة لانعدام المشابهة التامة بين الله وخليقته، فليس هناك مايشبهه بل ان البون شاسع بين الذات الإلهية وكافة الخلائق!! ولذلك فان وحدة الجوهر مع مساواة الاقانيم أمر لا ولن يوجد نظيره بين ثلاثة اشخاص من البشر** : لان الاقانيم غير مستقلين فالابن يخرج الشياطين بالروح والآب الحال فيه هو الذى يعمل الاعمال ... ولذلك فان حقيقة ذات الخالق انما هى أبعد من كل تصور، ومن ثم قد وجدنا ان البيان جاء من الخالق نفسه بان حقيقته ليس لها شبيه ولا مثيل بقوله : «بمن تشبهوننى، فانى «انا الاله وليس مثلى».

وقد قام الدين على حقيقة لاسبيل الى مشاهدتها وفحصها علمياً ولذلك فان محاولة اثبات التفسير اللاهوتى فى المسيحية بالوسائل العلمية أمر واضح البطلان!!

ومهما كانت المحاولات هنا فان هناك أموراً يصح أن تجرى عليها عمليات التفكير، وأموراً أخرى لا يجوز التفكير فيها وفى مقدمتها واقع وجود الله - **ولذلك يقول ديكارت فيلسوف الايمان** : «ان مسألة الايمان بالله هى مسألة وعى لدى الانسان قبل ان تكون مسألة دليل، وعى يقينى بالوجود الاعظم والحقيقة الكونية، وعى متصل بهذا الوجود بل قائم عليه». **كما يقول اينشتاين عبقرى العصر** : «ان العقل البشرى مهما بلغ من عظيم التدريب وسمو التفكير عاجز عن الاحاطة بالكون ... وهذا بعينه موقفه من «الله» مهما بلغ من السمو والعظمة والتثقيف» . (ك.التأملات لديكارت والالوهية وفكر العصر ص ٢٢٦)

بطلان انكار الثالوث لمخالفته للمعهود :

فاذا ماقيل أن وجود الثالوث فى الوحدانية أمر يعتبر خلاف المعهود - قلنا من ناحية بان البحث فى كنه الله القائم بالذات أمر يقر الجميع بعدم جوازه ... فان وحدانية الاقانيم فى اللاهوت مسألة وان وقعت اطرافها تحت متناول أفهامنا فهى بكمالاتها غير المدركة تبقى سراً غامضاً تقف العقول قاصرة عن البلوغ الى ادراك كنهها، **اذ كيف يتسنى للانسان المتناهى ان يفقه اسرار اللاهوت اللامتناهى!؟ فالادعاء بأن الاقانيم مستحيلة محض جهالة نظير من يجعل أفق نظره حد الفضاء الذى يراه، مع أنه أبعد من ذلك بكثير، اذ هو فى نطاق غير المحدود!!**

هذا وقد وضع بعضهم تعريفا للمستحيل وهو أن يقول باستحالته عموم البشر وإلا وقع فيه الشك طبعاً ...

أما لماذا كان الله ثلاثة اقانيم فهذا سؤال لايسأله عاقل لاننا لانعرف علل الاشياء جميعا وخاصة ماكان منها فوق الطبيعة فكيف نتطاول الى البحث فى كنه ذات الله ...

ويكفى أن نقرر فى هذا الشأن ان العدد ٣ هو أول عدد فردى جامع، ولذلك

اعتبر أول الأعداد الفردية - لأن الواحد ليس بعدد بل هو أصل الاعداد - وفى الامثال : الحبل المثلوث لاينقطع وكل شيء بالثالوث يكمل. ومراتب الخليقة ثلاثة الجماد والنبات والحيوان، والانسان ثلاثى التكوين روح ونفس وجسد وكثير مثل هذه!!

والغرض من ذكر ذلك هو الاستدلال به على أنه اذ قد اعلن الوحى ان الاقانيم ثلاثة فلا سبيل للاعتراض على الاطلاق والادعاء بان هذا مستحيل - لأن هذه الحقيقة متفقة مع الواقع المعروف ...

أما عن وجود المغايرة بين الاقانيم فى وحدة الجوهر فلا تناقض فيه : لاننا نرى فى كل كيان عضوى الجوهر يعمل فى كل عضو عملا خاصاً ومع ذلك ينسب ذلك العمل الذى اتاه ذلك العضو الى الجوهر كله. فان كانت عينى ترى فانا كلى أرى فى حين أن اذنى لاترى .. ومع ذلك يصح القول باننى ارى ولا أرى فى آن واحد، وذلك لانى ارى بعينى ولا أرى بأذنى!! **كذلك لكل اقنوم عمل متميز ولكن الجوهر واحد هو الذى يعمل فى الاقانيم** - فاذا صح ان الجسم العضوى المحدود وحدة حقائقه واعضاءه تحيا فى بعضها وفى ذاتها العامة، **واذا صدق هذا فكم بالحرى الإله غير المحدود اذ اجتمعت فيه الوحدة العامة والمغايرة الخاصة!؟**

ووجود الوحدة والمغايرة ليس مستحيلا، لأن الوحدة هى فى الجوهر، أما المغايرة فهى فى الاقنومية - نعم ان كل اقنوم من الثلاثة هو غير الاقنومين الآخرين، ولكن ذلك ليس فى الجوهر لأن الجوهر واحد لثلاثة الاقانيم - ومن ثم فان قيام اى اقنوم بعمل من اعمال اللاهوت لايكون بالاستقلال عن الاقنومين الآخرين بل بالاتحاد معهما، وهذا بلا كيف ولا تفسير، وانما هو بالاعلان الذى امدنا به الله نفسه عن ذاته - وبناء على هذه الوحدة التامة بين اقانيم اللاهوت نخاطب الله دائماً كذات واحدة وذلك بدون مناقضة لكونه ذا ثلاثة أقانيم ولا

عجب فإننا لاندرك اعماق اللاهوت!!

صحيح ان كيفية ذلك هى فوق ادراكنا، ولكن ذلك لايجعلنا نرفضها أو نحكم بعدم امكانيتها، لانه هل يسوغ لنا القول بعدم وجود وحدة بين الاقانيم لوجود مغايرة بينهم فى الاقنومية، مع انه ليس فى مقدورنا ادراك ذات الاقانيم ولا الجوهر الواحد الذى لهم : فهذا بحث فى كنه القائم بالذات، وهو مما يقر المعترض نفسه بعدم جوازه، **فكيف به يحكم بأنه مستحيل أن يكون جوهراً واحداً ويكون ثلاثة اقانيم فى آن واحد، أو أن وجود وحدة بين الاقانيم مع وجود مغايرة فيما بينهم محال!؟**

وعليه ينتفى قول المعترض : كيف يكون هناك ثلاثة اقانيم فى جوهر واحد!؟ بزعم عدم امكانية قبول ذلك دون فهمه، لان المعترض نفسه لايستطيع أن يوضح لنا جوهر ومقر روحه وعقله ولا كيف يؤثران أو يحكمان جسمه!! ثم هو يؤمن بقيامة الموتى دون ان يستطيع توضيح امكانية ذلك!! وهكذا لديه الكثير مما يؤمن به دون أن يتمكن من فهمه أو توضيحه !! ولذلك يلزمه نفس الموقف تجاه الاقانيم الالهية فى الذات الواحدة الفريدة!!

* * *

أما عن القول بأن ذلك خلاف المعهود فردنا عليه انه اذا قام الدليل على صحة شىء ما فانه لايبطل اذا لم يكن له نظير من المعهود، وإلا لزم على المعترض أن يثبت شيئا ليس فى زمان ولا فى مكان ولا يشبهه شيئاً ولا يشبه شىء لان هذا كله خلاف المعهود!! فان وجب أن يثبت وجود الشىء اذا دل عليه الدليل من غير أن يكون له نظير، **صح وصف الله عز وجل باشياء يخالف جميعها المعهود، اذ ليس له شبيه ولا نظير، وبذلك يبطل الاعتراض على وجود الثالوث لاستحالة وجود الوحدة بين الاقانيم لوجود المغايرة فيما بينهم لكون ذلك خلاف المعهود، لان ذلك ضمن سائر الاشياء التى يصح وصفه به تعالى بخلاف المعهود!! فهو اسمى من أن يخوض فيه الفكر**

أو يتصوره الخيال : نعم ان الادراك لايستطيع ان يتصور هذه الحقيقة لكن لامفر له من التسليم بصدقها - لاننا لم نختلقها من عندياتنا، لكنها من خصائص الله الذاتية التى تسمو فوق الادراك، فالله عجيب فى ذاته ولا يمكن الاحاطة به إطلاقا، وذلك حسب ماجاء ضمن تسبحة الثالوث :

سر يفوق البشرية فبحسب الجوهر إله واحد
وأما بحسب الاقنومية فهم ثلاثة فى واحد

* * *

الله سبحانه بلا نظير ولا شبيه :

لقد اقر جميع من يبحثون فى المسائل الالهية بأن التسليم بها أمر يقبله العقل ولا يرفضه، لأن القياس انما يكون فيما يقاس عليه، والله جل وعلا بغير نظير ولا شبيه!! ولذلك قيل : «وما طلب الحق منا إلا العلم بوجوده وإلوهيته لاغير، أما حقيقة كنهه الذاتى فلا»!!

فاذا قيل أن وجود ثالوث فى الوحدانية أمر مستحيل لعدم وجود مايشابهه، فان هذا قول مردود، لانه إن كانت صفاته تعالى غيرها فى خلائقه التى فيهم ما يشبهها نسبيا - الى حد ما - فليس بغريب أن يغايرهم فى مسألة وحدانيته ذات الاقانيم بأن لايكون لها نظير بين الكائنات، وهى فى ذلك كغيرها من الإلهيات لا ينتظر أن يوجد ما يشبهه تعالى فيها - اذ لانظير ولا شبيه لله على الاطلاق من سائر الوجوه، فليس لله مثيل فى المخلوقات، لان الذات الالهية مغايرة لسائر الذوات بالنظر الى الفرق الشاسع غير المحدود بينها وبين بقية الخلائق - فانه لو كان الذات الالهى محدوداً - كالبشر والملائكة - لأمكن للعقل البشرى أن يعلل عنها أو يحكم باستحالة تعدد الأقانيم فيها، ولكن بما أن عقولنا لم تخلق لتحكم فى ذات الله أو لتدرك الجوهر الالهى واقانيمه، فلا حق لها أن تحكم بان وجود ثلاثة الاقانيم فى الجوهر الواحد أمر محال، اذ اين الدليل على صحة ذلك وليس فى الكون كله كائن آخر نظير الله فى الذات والصفات - ومن ثم لايجوز

لنا أن نتخذ من عقولنا مقياساً للحكم فى الإلهيات!!

* * *

إذاً فوصفنا الله بأنه ثلاثة أقانيم فى جوهر واحد ولو خالف كل مثيل فى الخلق، فلا يخالف ما ينتظره العقل السليم فى ذات الإله الذى لامثيل له، لانه لما كان الله فريداً فى الكون فى طبيعته وصفاته، كان غير بعيد أن يمتاز عن كل ماسواه فى كيفية وجوده، كما يمتاز فى صفاته السامية فان الله لايشبهه شىء لافى ذاته ولا صفاته ولا فى أفعاله!!

أما التساؤل : كيف يمكن ان يكون الله ثلاثة اقانيم ولا يكون ثلاثة جواهر أو ثلاث ذوات فانه مردود، لأن الاقنوم هو غير الجوهر - ونحن نؤمن ان ثلاثة الاقانيم هم فى جوهر واحد ، ففيه وحدة فى الجوهر وتعدد فى الاقانيم ... فلو كان كلامنا ان ثلاثة الاقانيم هم اقنوم واحد لكان ذلك محالا اذ هو مضاد للعقل والبديهة، ولو قلنا ان الله ثلاثة جواهر والثلاثة هم جوهر واحد، لكان ذلك محالا ايضاً - ومع ان عقيدتنا المسيحية تجمع بين التثليث والتوحيد، ولكننا لسنا بذلك نقول بتعدد الذوات أو انقسام الذات، فالذات واحدة لا ثلاث ذوات ولا ثلاث تركيبات فى الذات، وذلك لأن الذات الالهية لاتتعدد إذ هى بلا تركيب ولا انقسام!!

وهذا كله يدحض بحد ذاته الاعتراض بان الثالوث مرفوض لأنه ليس مشابها لأى شىء، إذ ليس هناك شىء مثله فى الخليقة بأسرها .. ومعنى ذلك أنه ليس هناك من يماثل الله ويناظره حتى يمكننا الاستدلال به للوقوف على حقيقته!! فادعاء مشابهة الله من أى وجه - لخليقة ما، أمر أبعد ما يكون عن حقيقة العقيدة المسيحية وهى التى قبلت التوراة - كتاب اليهودية - كجزء من الكتاب المقدس وساوت بينه وبين الانجيل، ولذلك فهى تتمسك بكلمات اشعياء الواردة بهذا الصدد، وهى التى تصدرت هذا الفصل ...

وهى الكلمات التى ردت اليهود عن عبادة الاصنام الى الأبد - ولم يكن المقصود بها ما تصوره المنكرون من أنها تتعرض لقضية الثالوث - الذى لم يكن قد تم اعلانه بعد - وانما اتجهت الى تنزيه الله عن الشبيه والمثيل بوجه مطلق اذ لايساويه أحد ولايدانيه شيء - ومن ثم فان القول : ليس كمثله شيء. الذى يتشدق به اصحاب التنزيه البحت، وكأنه اكتشاف جديد يخصهم مع وروده أصلا فى سفر اشعياء من قبل الميلاد بما يتجاوز الالف عام، كما خاطبه به داود النبى بالقول : ياالله من مثلك (مز ٧١ :١٩) - وهو فى الواقع خير رد على رافضى الثالوث لعدم المشابهة ...!!

* * *

وهذا يقطع بانه سبحانه ينفرد بجوهره الواحد واقانيمه الثلاثة دون ان يكون له شبيه أو نظير فى ذلك : فان قيل كيف يجتمع التثليث والتوحيد فيه تعالى وهما متناقضان، كان جوابنا أن هذا الاعتراض انما يجوز اذا طبقناه على البشر، أما الله فلا ينطبق عليه الحكم الذى يسرى على خلائقه وهذا ظاهر فى جميع الاشياء العديدة التى تختص به تعالى، وهى تفوق إدراك البشر مما يسقط ادعاء منكرى الثالوث تلقائياً بالاعتراض عليه لعدم وجود مايشبهه على الاطلاق!!

اذا فلا غرابة أن تكون الاقانيم الثلاثة واحدا فى كل الصفات كما فى الذات مع تميز كل منهم عن الآخر فى الجوهر الواحد، ولكنهم ليسوا ثلاثة آلهة لأن الجوهر واحد - ولا هم تجليات لجوهر واحد، لأنه حاشا لله من ان تكون اقانيمه مجرد اشكال أو مظاهر لأقنوم واحد - ولا هم اشباه لله، لاننا فى كل ذلك ننسب اللاهوت الى من ليس له ونسلب منه ما يستحقه من المجد والعبادة ونعطيها لغيره وذلك اذا لم تكن الاقانيم الثلاثة هم الله الواحد!!

والايمان المسيحى إذاً لايفصل الجوهر الواحد كما أنه لا يخرج الاقانيم المتميزة، ومع انه يكلفنا ان نعترف بان كلا من هذه الاقانيم بذاته إله، لكنه ينهانا عن أن نقول بوجود ثلاثة آلهة!!

* * *

الفصل الثامن

ربط الثالوث بالوثنية افتراء محض

«لايكن لك آلهة أخرى أمامى ... لاتسجد لهـن ولا تعبدهـن» (خر ٢٠: ٣، ٥)

الزعم بأن الثالوث مأخوذ من الوثنية :

يدعى ديدات فى كتابه عن «عيسى» فى الفصل الذى يتحدث فيه عنه كأسطورة بان دراسات علم مقارنة الاديان قد ادت - احياناً - الى التعليل الخاطىء بان المصادر والينابيع الأصلية للمسيحية هى العقائد الوثنية والديانات الشرقية .. وهو يتحول عن ذلك الى القول بأنه : عندما تعارضت المقالات المسيحية - التى يمكن تتبع أصولها الوثنية (على حد قوله) - مع التوحيد، لم يجدوا سبيلا الى التوفيق بين المسيحية وأبيها الشرعى (أى ديانة انبياء العهد القديم) بل وجدوا التنافر بينهما اكثر من الاتفاق (وهذا إدعاء باطل لايقوم عليه دليل) .. وهو يصل فى النهاية الى نتيجة ان وصف المسيح - فى المسيحية طبعاً - منقول عن مقالات الأمم الوثنية - مما أدى الى استنتاج - بان شخصية المسيح خيالية مخترعة من اساطير الأولين !!

وهو يبنى على هذا الوهم كل ما يقوله المسيحيون عن مسيحهم بأنه حديث خرافة وبان الاناجيل لم تحقق وجود السيد المسيح الواقعى وانما تم ذلك فيما بعد بايمان غير المسيحيين به كعيسى ابن مريم وكل ذلك لدحض عقيدة الثالوث وانكارها !! رغم ان هذا الذى يقوله بعيد عن محجة الصواب !!

* * *

وقد سبقه فى هذا المضمار شهود يهوه مركزين سهامهم - بالاكثر فى نبذتهم المشئومة المعنونة : هل يجب ان تؤمنوا بالثالوث ؟ - على نفى الثالوث المسيحى

على اساس الربط بينه وبين ثواليث الديانات القديمة (الوثنية) وهم يخصصون لذلك صفحات كاملة لعمل مقارنات بالصور للتدليل على هذا الربط، فقد نشروا فى الصفحة الثانية مثلا صورة لتمثال مصرى من الألف الثانية قبل الميلاد لثالوث آمون رع. رمسيس الثانى. وموت. والى يمينها تمثال ثالوث القرن الرابع عشر (ب.م) ليسوع المسيح، والآب والروح القدس (فى شكل مجسم لثلاثة اشخاص جالسين مع بعض) وهم يقدمون بعض الصور الاخرى فى الصفحة العاشرة تحتوى على ثالوث مصر : «حورس، اوزيرس، ايزيس». وثالوث بابل : عشتار، سين، شمش، وكلاهما من الالف الثانية قبل الميلاد ... ومعها ثواليث عديدة ابرزها ثالوث بوذى فى كمبوتشيا، وثالوث هندوسى فى الهند، وتحتها خط اسفله الثالوث المسيحى، الآب والابن والروح القدس. منسوبا لعدة دول أوربا : فهناك ثالوث فرنسا - وثالوث النرويج - وثالوثين لالمانيا وثالوث لايطاليا فى اشكال غريبة وبعضها يحمل طابع الغموض ومنها مايحمل ثلاثة وجوه ليسوع المسيح بأربع أعين!! واخيراً يوردون فى الصفحة ٣١ صورة لتمثال فى فرنسا يصور تتويج العذراء مريم من الثالوث!!

وهم يعقبون على هذه الصور بالقول : قبل زمن المسيح بقرون عديدة كانت هناك ثواليث من الآلهة فى بابل واشور القديمتين، كما وجدت فى كمبوتشيا والهند ... واشهرها كلها ثواليث مصر وبابل والهند ...!! وانه من مصر بالذات أتت افكار الثالوث الالهى أى تجميع ثلاثة آلهة واعتبارها كائنا واحداً إذ تجرى مخاطبتها بصيغة المفرد ..

ولما كان لموقف اثناسيوس العظيم تأثيره البالغ فى صياغة قانون الايمان لذلك وجدنا شهود يهوه يتهمونه بانه هو الذى صاغ افكاراً قادت الى الثالوث وانتشر تأثيرها بزعم أنه قد ربط بذلك بين التراث الدينى المصرى القديم والمسيحية، مما يحاولون معه الادعاء بان لذلك الدين المصرى الفرعونى صلة مباشرة باللاهوت المسيحى - فى حين ان التثليث المصرى القديم قد وجدنا فيه ايزيس تزوجت اوزيرس وانجبت منه حورس، فمثل هذا الثالوث يتكون من أب وأم وابن، وهو مما لاعلاقة له إطلاقاً بثالوث المسيحية!! ولقد كان ثالوث طيبة المصرى الذى وجد فى

مصر الفرعونية معروفا من قبل ظهور المسيحية، وقد ظن شهود يهوه انهم قد وجدوا ضالتهم المنشودة فيه فقاموا بربطه بالثالوث المسيحى ... واضافوا اليه ثواليث بابل والهند واليونان وغيرها فى محاولة فاشلة لتثبيت زعمهم بان عقيدة الثالوث فى المسيحية مقتبسة من الوثنية !!

وهم يسندون ضلالهم بالقول : انه فى كل مكان من العالم القديم كانت عبادة الآلهة الوثنية المجموعة فى فرق من ثلاثة .. كان ذلك سائداً فى مصر واليونان ورومية قبل وبعد المسيح وفى أيامه ويزعمون فجأة - بدون أى اسانيد - بان مثل هذه المعتقدات الوثنية بدأت تجتاح المسيحية، وينسبون الى ديورانت المؤرخ قوله : ان المسيحية لم تدمر الوثنية بل تبنتها .. وينتهى بهم الامر الى اعلان ما أخطره وهو : ان الثالوث فساد أستعير من الاديان الوثنية وطعم فى الايمان المسيحى ... وأن اصل الثالوث وثنى تماما، وهم يتشدقون عليه بالقول : هل الثالوث من الاسرار الإلهية أم من الخرافات الوثنية ؟

* * *

ربط الثالوث بالوثنية افتراء ليس له مثيل :

ولكن هذا الزعم الذى اختلقه شهود يهوه بتمامه فرية مردودة بدليل أن كل ثالوث مما سبق ذكره عبارة عن ثلاثة آلهة وليس باله واحد - فليوفر شهود يهوه اذاً جهودهم السفسطائية، فليس لاقوالهم التجديفية هذه ضد الثالوث اساس، اذ اننا قد رأينا فى الكتاب المقدس اسماء الله أطلق ذات الاسم الواحد منها على كل أقنوم من اقانيم اللاهوت الثلاثة - دليل الوحدة والمساواة التامة بينها، فقد نسبت صفات اللاهوت الخاصة لكل منهم - كذلك استعمل الوحى اسم يهوه لكل منهم - مما ينقض زعم شهود يهوه بأن الآب وحده هو يهوه دون الابن والروح القدس، وتزداد هذه الحقيقة تأكيداً باستعمال الوحى اسم الجلالة الله لكل اقنوم من ثلاثة الاقانيم !!

وفضلا عن ذلك فان كان وجود ثالوث كاذب يؤخذ دليلا على عدم وجود الثالوث الحقيقى للزم أيضاً أن يؤخذ وجود إله كاذب دليلا على عدم وجود الاله

الحقيقى ، وهذا ما لايقره أحد من أهل الاديان الاخرى المؤمنة بالله . . .

بل ان الاديان القديمة التى توصف بالوثنية - والحديثة منها على حد سواء - قد شهدت بصدق الحقائق التى دونها الكتاب المقدس مثل خلق الكائن البشرى الأول وسقوطه وحادثة الطوفان . .الخ فلماذا لايكون اعتقادها فى الثواليث التى ألفتها إنما هى كظل للاعتقاد الذى توضح تماما فيما بعد عن الثالوث الالهى وانما مرور الزمن قد أفسد تقاليد تلك الأمم وجعلها خليطاً من الحقائق والأوهام عندما تباعد البشر تدريجياً عن الله بتخليهم عن اعلان الوحى !

فاذا أضفنا الى ذلك أن عقيدة التثليث فى المسيحية تختلف كل الاختلاف عن عقائد الوثنيين فى آلهتهم (لان هذه كانت على وجه العموم مكونة من أب وام وابن أو من رجل وزوجتيه أو من رجل تزوج أمه فاصبح معها ابنها وزوجها) ، لذلك فان كل القرائن تدل على أن عقيدة الثالوث لم تقتبس شيئاً من العقائد الوثنية ، ومن ثم فان انكارها لهذا السبب المختلق ليس له نصيب من الصحة إطلاقاً . . .

ومن المعلوم أن المسيحية عرفت الثالوث منذ أن قدم المسيح لتلاميذه صيغة المعمودية المعروفة ، ولكن الى زمن عصر المدافعين وهو السابق لعصر المجامع كانوا يتحدثون عن ثلاثة اشخاص (الآب والابن والروح القدس) بدلا من حديثهم عن الثالوث ، وكان أحد هؤلاء المدافعين هو ثوفيلس هو أول من استخدم التعبير اللاهوتى «trias» «ثالوث» فى كتابه الى هوبليتس ، ومع التسليم بان عقيدة «logos» الكلمة هى التى مهدت الطريق للوصول الى عقيدة الثالوث إلا ان ذلك كان فى عصر بذلت فيه المسيحية أقصى الجهد للدفاع عما وصل اليها عن طريق الاعلان ، فكانت تعبر عنه باقصى طاقة ممكنة من التفكير والبحث ، الى أن ظهر الهراطقة واضطروها للدفاع عن ايمانها بعقد المجامع المسكونية لتحديد شكل العقيدة المسيحية فى الله ، وبحث حقيقة وجود الثالوث فى الوحدانية وصياغة قانون الايمان الذى تضمنها .

* * *

ولكن خلفاء آريوس الحدثيين يتحدون المسيحيين فى ايمانهم بالثالوث المبنى على اعلانات الله عن ذاته فى الاسفار المقدسة من أول سفر التكوين الى آخر سفر الرؤيا فيكذبون بجرأة هذه الاعلانات القدسية قائلين أنها إحدى اكاذيب الشيطان. وهذا مبلغ ما وصلوا اليه من افتراء !!

ليس فى الوثنية الاعتقاد باله واحد مثلث الأقانيم :

وخلاصة الرد على كافة المفتريات انه لم يكن لأحد من الشعوب الوثنية أو غيرها من الامم الحديثة مثل هذا الايمان باله واحد مثلث الاقانيم، لأن كل الوثنيين كانوا يؤمنون بآلهة متعددة .. وعلى مر الأيام اكتفوا منها بإلهين أو ثلاثة جعلوها أفضل من غيرها، أما السبب الذى دعا بعض الوثنيين الى الاكتفاء بثلاثة آلهة فيرجع كما يرى كل باحث مدقق الى انهم كانوا يعتقدون كما يعتقد غيرهم من الناس ان العدد ٣ هو أول عدد كامل .. (واما العقيدة المسيحية مصدرها الوحى وليس الاعتقاد سالف الذكر الخاص بعدد ثلاثة !!)

فقد كان الهنود مثلا يعتقدون بآلهة متعددة بلغت ٣٣ إلهاً يمثل كل منها صفة من صفات روح عظيم أطلقوا عليه اسم براهما ورفعوا براهما وفشنو وشيفا فوقها بدعوى انها تمثل صفات الخلق والرعاية والانتاج والتدمير .. كما انهم لم يخطر ببالهم قط ان يجعلوا هؤلاء الثلاثة واحداً، بل بالعكس كانوا يقولون ان كلا منهم منفصل عن الآخر ومختلف عنه كل الاختلاف! ولكل واحد من هؤلاء الثلاثة اسرار كثيرة وحوادث غرامية مخجلة ونوع خاص من العبادة منها ماهو مصحوب بالسرور والفرح، ومنها ما هو مصحوب بالرعب والخوف ... ومن ثم فان وصف المنكرين براهما بالآب، وفشنوا بالابن، وشيفا بالروح القدس ليس له أصل فى الاساطير الهندية، انما هو من تلفيق المعترضين، مع ان العقيدة الهندية تقرر فى شأنهم بان براهما اله الخلق وفشنو اله الحفظ وشيفا اله الدمار .. ويكفى أن اسناد التدمير الى الروح القدس بدلا من الاحياء انما يدل على عدم الدراية بالكتاب المقدس - فهل يمكن أن يظن انسان مابعد كل هذا ان ثالوث المسيحية مقتبس من الاساطير الهندية !؟

أما الثواليث المصرية فلم تكن تعرف الفاظ الآب والابن والروح القدس اذ أنه

ليس لهذه اساس فى عقائد قدماء المصريين، كما ان لفظة اقانيم من صميم التعبيرات المسيحية التى لم تكن معروفة من قبل - كما اننا لانجد أثراً فى تلك العقائد إلا اعتبار كل مجموعة من هذه الآلهة تكون إلهاً واحدا - بل بالعكس كانت تنص على الانفصال فيما بينها ... وفضلا عن ذلك فان بعض هذه الثواليث تحوى نساء !!

وأما ثالوث بابل وهو يتكون من أب وأم وأبن فهو ليس ما تنص عليه عقيدة التثليث المسيحية التى تقرر بانه تعالى : آب وابن وروح قدس، أما ثالوث بابل فقد وجد فيه الابن يشغل مركز زوج لأمه (اى انه ثالوث مكون من ام وابن هو زوجها فى الوقت نفسه) اذ كانوا يعتقدون أن نمرود مؤسس مملكتهم قد تزوج من أمه سميراميس فاصبح إلهاً ... هذا هو التثليث الذى يقول المعترضون ان المسيحيين اقتبسوا عقيدتهم منه !! فى حين ان هذه الالهة الوثنية منفصل احدها عن الآخر كل الانفصال، ومختلف عنه كل الاختلاف، ولذلك لايعقل مطلقاً أن تكون عقيدة الثالوث المسيحية مقتبسة من عقائد الوثنيين فى آلهتهم ...

وقد شهد لهذه الحقيقة العقاد فى كتابه عن الله صفحتى ١٤٩، ١٥٤ بقوله : «ان فكرة الله فى المسيحية لا تشبهها فكرة أخرى فى ديانات ذلك العصر الكتابية أو غير الكتابية ... فليس لها شبيه فى العبادات الوثنية باسرها، فالايمان بالله على تلك الصفة - التى تنفرد بها المسيحية - انما هو فتح جديد لرسالة السيد المسيح، لم يسبقه اليها فى اجتماع مقوماتها رسول من الكتابيين ولا غير الكتابيين، وهى لم تكن أجزاء مقتبسة من هنا أو هناك بل كانت كلاماً متجانساً من وحى واحد وطبيعة واحدة !! »

هذا هو الكلام الذى يعول عليه من كاتب منصف - ليس من أبناء المسيحية - لكنه شهد لحقيقة اعتقادها بما يهدم ترهات المنكرين ويحكم عليها بالإعدام والملاشاة مثل قولهم أن صورة المسيحيين عن الله هى التى ألصقتها الوثنية بها بقصد هزيمتها والقضاء عليها !!

* * *

الفصل التاسع

تفنيد الإدعاء بإسناد الثالوث الى الفلسفة

«انظـروا أن لايكـون أحـد يسبيكـم
بالفلسفة وبغرور باطل» (كو ٢:٨)

محاولة إرجاع الثالوث الى الفلسفة :

يصف مؤلف كتاب : الله واحد أم ثالوث العقيدة المسيحية فى الله بأنها رأى لفلاسفة المسيحية، ولذلك فانه لم يلتزم فى بحثه بنصوص اقوال الوحى ظنا منه بان اعلان المسيحية الفائق عن الله ليس سوى مجرد رأى فلسفى، وهو يفتح بذلك الباب لنفسه وأمثاله لشتى انواع الاقاويل والمتناضات التى ترمى لنفى الثالوث ورفضه ..

وهو يشترك فى ذلك مع شهود يهوه الذين لم يقفوا عند حد الإلتجاء الى المجموعات الثالوثية، فى الديانات التاريخية التى يقولون انهم وجدوا منها أن الله يعتبر ثالوثا، وانما تقدموا لما يصفونه بالنظرة الافلاطونية المحدثة الى الحقيقة الاسمى أو المطلقة التى هى ممثلة ثالوثياً متسائلين عن علاقة الفيلسوف اليونانى افلاطون بالثالوث - ماهى؟ وهم يجيبون عن ذلك بالقول : ان افلاطون الذى ظهر قبل المسيح بعدة قرون - وان كان لم يعلم بالثالوث بصيغته الحاضرة فقد مهدت فلسفته الطريق له ... فمن بعده برزت الحركات الفلسفية التى شملت المعتقدات الثالوثية، وهذه أثرت فيها افكار افلاطون عن الله - فينسبون اليه انه اخترع الثالوث الافلاطونى الذى هو بحد ذاته مجرد ترتيب جديد لثواليث اقدم يرجع تاريخها الى شعوب أبكر - ويبدو أنه الثالوث الفلسفى العقلانى للصفات التى ولدت الشخصيات أو الاقانيم الالهية الثلاثة التى تعلمها الكنائس المسيحية :

وينسبون كل ماتقدم لقواميس ودوائر معارف تخصهم دون سواهم،

ويقتبسون من كتاب عنوانه : «بيان الحجج» قول كاتبه : يمكننا أن نتتبع عقيدة الثالوث ونكتشف مصدرها لا فى الاعلان المسيحى بل فى الفلسفة الافلاطونية .. فى خيال مدرسة الافلاطونيين.

نظرة تحليلية الى الفلسفة الافلاطونية :

بهذا العرض الغريب أراد شهود يهوه دفع عقيدة الثالوث المسيحى الى بحر متلاطم من الفلسفات التى كانت قد تعددت خلال القرنين الأولين للمسيحية وذلك نتيجة نشر اللغة اليونانية مع فتوحات الاسكندر وامتزاج الديانة اليهودية بفلسفتها وظهور الترجمة السبعينية للتوراة من العبرية الى اليونانية - وقد رافق ذلك ظهور فلاسفة منهم فيلو وفيلون وكانت لهم آراؤهم لكنها لم تصل الى التثليث المسيحى بل على العكس ظهر منها فى الداخل بدع الهرطقات كالآريوسية والسبالوسية والمقدونية والنسطورية والاوطاخية .. كما ظهر جانب آخر خارج المسيحية يلقى عليها بأفكاره العقلانية كالمانوية والغنوسية والافلاطونية : وقد رأى منكرو الثالوث ان ينسبوا الى الأخيرة منها اى الافلاطونية اختراع الثالوث - وهى دعيت هكذا لانتسابها الى افلوطين (الذى ظهر بعد انتشار المسيحية بقرنين من الزمان) واقتبس عناصر فلسفته من فلسفة افلاطون (ولذلك سميت بالافلاطونية الحديثة) - وكان التثليث معروفاً كل المعرفة عند المسيحيين من قبل ذلك، حتى انه كان لهذا الامر اثره على افلوطين نفسه فاستعار الاصطلاحات المسيحية واستعملها فى التعبير عن الآراء التى اقتبسها من فلسفة افلاطون ... هذا هو الوضع الصحيح وليس ما يقوله المنكرون. فضلا عن ان آراء افلاطون تختلف كل الاختلاف عن عقيدة الثالوث، لأنه نفى عن الاقنوم الاول الوجود الواقعى فقال أنه ليس جوهراً وانه لايتصف بصفة ولا يتصل بغيره، وفصل الابن عن الآب إذ جعل للابن جوهراً وصفات خاصة، كما جعل الروح القدس نفس العالم، واكثر من ذلك جعل المادة التى صنع منها العالم أزلية - ولذلك لايعقل مطلقاً أن تثليث المسيحية قد تم اقتباسه من أراء افلوطين!!

هذا كل ماوصلت اليه الافلاطونية التى كانت قد ظهرت جنبا الى جنب مع

الغنوسية، ومن غير المقطوع به أن يكون لهما أثرهما فى تلك الفترة المبكرة قبل ان تكتمل صياغة عقيدة الثالوث فى المجمع المسكونى الاول والثانى والتى كانت تستند الى نصوص صريحة من الكتاب المقدس مما يسقط قولهم بأن : اصل الثالوث كان من مصدر غريب كلياً عن ذاك الذى للاسفار اليهودية والمسيحية .. وانه بنهاية القرن الثالث صارت المسيحية والفلسفة الافلاطونية الجديدة متحدين على نحو لاينفصل إذ صارت عقيدة الكنيسة - على حد قولهم - متأصلة على نحو راسخ فى تربة الهلينية (الفكر اليونانى الفلسفى) وهم ينتهون الى القول الباطل بان الكنيسة قد أسست عقائدها الجديدة على أراء وعادات خرافية للعبادة السرية الوثنية التى للفكر الهلينى!!

موقف الآباء الرسوليين من الثالوث :

لقد كان هناك أباء أطلق عليهم الاباء الرسوليين لانهم عاصروا الرسل وامتد بهم العهد الى القرن الثانى الميلادى كان من بينهم كليمنت وهرماس - واغناطيوس وبوليكاربوس ولم يكن قصد أى واحد منهم ان يقدم تحديداً للعقيدة المسيحية ولا ان يحلل التعاليم الخاصة بالله ولو انهم نبروا عن وحدانيته بسبب ضرورة مواجهة الآلهة الكثيرة عند اليونان والرومان فقد كانت الديانة الوثنية التى وجدت المسيحية نفسها فى وسطها تعتقد بتعدد الآلهة، ولذلك فقد أخذت المسيحية على عاتقها اتباع نهج اليهودية التى كانت قبلا اعلان وحدانية الله!!

ولذلك فأن كتابات العصر ما بعد الرسولى تفيض بأوصاف الله كالسيد الخالق القادر غير المخلوق الازلى الابدى ... الإ أنها فى نفس الوقت وصفته بالآب المهيمن ...

أما بشأن عقيدة الثالوث فهنالك عدة اشارات لها إلا انها اشارات بدائية تفتقر الى الوضوح، ومع ذلك فقد وردت فى كتاباتهم اشارات كثيرة الى لاهوت المسيح من بينها ماجاء برسالة كليمنت الثانية بالقول : أيها الاخوة يجب أن نفتكر فى يسوع المسيح كالله، ديان الاحياءً والاموات وقد ورد فى تشبيهات هرمس

(التشبيه التاسع الفقرة ١٢) عن المسيح القول : انه ابن الله وهو حقا أقدم من الخليقة حيث انه كان مع ابيه عند خلق كل الاشياء .

* * *

ومع ان آباء المسيحية فى ذلك الوقت - وكان معظمهم من المصريين ومن بينهم اكليمنضس الاسكندرى واوريجانوس كانوا قد تأثروا الى حد ما بتلك الفلسفة التى يسميها المنكرون التربة الهلينية ولكنها ما غيرت من موقفهم فى اتجاه الثالوث بشىء !

ومع ذلك فان المنكرين يسمونهم بالآباء اليونانيين وأحياناً يصفونهم: بالآباء الافلاطونيين لكى ينسبوا اليهم الانتماء لفلسفة افلاطون - التى نسبوا اليها - الثالوث الافلاطونى فى حين ان خلاصة آراء افلاطون هى فى تقسيمه العالم الى قسمين قسم - هو عالم الافكار (المثل) والقسم الآخر هو عالم الظواهر واعتبر العالم الاول هو الحقيقى - لان الثانى متغير ومستمد من الأول - واعتبر أن الله فى قمة عالم المثل هذا، وتحدث عن النفس البشرية ونشأتها فى عالم المثل وعن كيفية ارتقائها بالزهد والتطهر وخلودها ونادى بالفضائل الاربعة الاساسية وهى : الحكمة - الشجاعة - الاعتدال - العدل ... ولم تكن نظرياته تمت بصلة بما نسبوه اليه من تمهيده للثالوث ..!!

أما مايشير اليه المنكرون من اقتباسات مأخوذة عن أولئك الآباء ويطلقون عليهم آباء ماقبل مجمع نيقية مثل يوستينوس ١٦٥م وايريناوس ٢٠٠م وترتليان ٢٣٠م واوريجانوس ٢٥٠م ويقررون بشأنهم بانهم صحيح يتكلمون عن الآب والابن والروح القدس، ولكن ينكرون عليهم اعترافهم بانهم متساوون معا وبأنهم من جوهر واحد، وبأنهم ثلاثة فى واحد - وذلك لعدم وضوح الرؤية لديهم عن هذه الامور بالكفاية حيث لم يكن قد تم تجميع اسفار العهد الجديد للرجوع اليه - وهم ينسبون لاوريجانوس بالذات قوله ان الابن مولود من الآب بالمشيئة وليس بالطبيعة وهو لذلك أقل منه (وكان قد نقل ذلك من افلوطين وحاول ادخاله الى المسيحية، وقد أخذ عنه آريوس هذه الفكرة وبلور بها هرطقته) على ان الكنيسة وقفت ضده وشجبت بدعته وحرمته معلنة بذلك عدم قبولها لها ...

وتاريخ الفكر المسيحى حافل من بدايته بالكثير من محاولات الانحراف بالمسيحية، لكن المسيحية انتصرت فى النهاية عليها، الا أن تعاليم هذه الانحرافات لازالت تظهر بصورة أو أخرى حتى عصرنا الحاضر .. حتى انه اذا كان لشهود يهوه الامكانية الغريبة فى ان يقتبسوا عن أولئك الاباء أقوالا عن الثالوث ليس فيها مساواة الاقانيم، فان لدينا نحن أيضاً مصادر موثوقا بها فى تاريخ الكنيسة تنفى اقوالهم وتؤيد تأييداً مطلقاً حقيقة الثالوث المسيحى منها :-

يقول اكليمنضس : ليس كل اقنوم هو عين الآخر ومع ذلك فان الاقانيم ليسوا ثلاث ذوات بل هم ذات واحدة لأن جوهرهم واحد. كذلك قال غريغوريوس : اذا ذكرنا الله فانما نريد الآب والابن والروح القدس معاً لانهم ذات الله ووحدة كل اقنوم منهم مع الآخر هى عين وحدتهم فى الجوهر الإلهى.

وفى نفس الموضوع يقول اغسطينوس : الآب والابن والروح القدس جوهر واحد، ولكن ليس كل اقنوم منهم هو عين الآخر، وليس الله شيئاً رابعاً بل هو ذاته الآب والابن والروح القدس.

ويقول اثناسيوس العظيم : ان للاقانيم الثلاثة لاهوتاً واحداً ومجداً متساوياً وجلالا أبدياً فليس فى الثالوث اول وآخر، ولا اكبر واصغر لان اللاهوت واحد ووحيد، لا يتفكك ولا يتجزأ على الاطلاق.

ويقول يوحنا الدمشقى : الاقانيم متحدون دون اختلاط أو امتزاج ومتميزون دون افتراق أو انقسام، لانهم هم الله الواحد.

ويقول توما الاكوينى : لاينفصل أحد الاقانيم عن الاخر على الاطلاق، لأن جوهرهم الواحد وهو اللاهوت غير قابل للانقسام.

واخيرا يقول انثيمس برهمة الله : ان جوهر الله مستقر فى ثالوث الاقانيم لاجل كماله وهو جوهر واحد ليس فيه كل ولا جزء!!

الآ تكفى كل هذه الشهادات وغيرها لردع بدعة شهود يهوه وأمثالهم الذين هم عنوان الارتداد عن المسيحية فى زمن النهاية هذا ..؟

بحث المسيحية الأولى عن نقاط المناقشة مع فلسفات عصرها :

صحيح ان الفلسفة فى ذلك العصر كانت اشبه بديانة عامة، وكانت افكارها قد

غمرت العالم المعروف حينئذ - ولم يكن موقف المسيحية منها موقف الترحيب والتسليم، لانها كانت تدافع فى شخصية الآباء عن الحق الذى وصل اليها ضد الغنوسية والفلسفة اليونانية بعكس مانسبه المفكرون للمسيحية من تأييدها للفلسفة وتأثرها بها، فى حين ان المبادىء المسيحية كانت فى طريقها للظهور والتكوين حتى جاءت المدارس العظمى لتفسير الكتاب المقدس كمدرستى الاسكندرية وانطاكية وغيرهما - وكان العهد الجديد فى طريقه للوقوف فى صف العهد القديم مكونا معه كتاب المسيحية المتكامل من العهدين معا والمعروف منذ ذلك الوقت بالكتاب المقدس!!

ولكن المسيحية مع ذلك لم تر مانعاً من استخدام بعض التعبيرات التى يمكن الاتفاق فيها مع الفلسفة، فلم يكن بغريب اقتباس الرسول يوحنا لفظة «LOGOS» «الكلمة» من الفلسفة اثباتاً لحقيقة ان ليس كل ماتقوله الفلسفة باطل بالاطلاق، لكن بالنسبة للعقائد الاساسية فى اللاهوت والفداء لم تأخذ المسيحية من الفلسفة شيئاً بل كثيراً ماردت على الافكار الفلسفية ورفضتها ...

* *

وهكذا نرى كيف أن المسيحية كانت تبحث عن النقاط التى تصلح أساساً للمناقشة بين ايمانها وفلسفات عصرها وكان ذلك للدفاع عن المسيحية نفسها فى مواجهة الفلسفة الافلاطونية وغيرها ولذلك فان المسيحية فى عصر المدافعين قد وجدته أمراً مناسباً استعمال لفظة (لوغس أى الكلمة) التى وردت فى الفلسفة الافلاطونية اذ رأوا انها تمثل الفكر والمنطق وهما لله بالضرورة منذ الأزل - فالكلمة هى كلمته الذاتية (التعبير عن ذاته) ولها كيان خاص دون ان يصيب الله أى تغيير أو نقص!! وبذلك تجاوزت المسيحية نطاق الوحدانية المطلقة البحتة!!

وثبت من وجه آخر بأن لاصحة لقول المنكرين بان عقيدتى اللوغس (الكلمة) والثالوث قد أخذتا شكلها من الآباء اليونانيين الذين تأثروا - على حد قولهم - الى حد بعيد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالفلسفة الافلاطونية. فانما ذلك من قبيل الترهات التى تبنى على الاوهام ومغالطات الباطل الكاذبة!!!

* * *

اتفاق فى التثليث لا يجيز المخالفة

«بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة
فيه كل جنودها». و«ترسل روحك
فتخلـق» (مـز ٣٣:٦، ١٠٤:٢٩)

الاعتراف بالله وكلمته وروحه :

نؤمن بان الله - هو الاله الواحد - كائن عاقل حى، ونقول أنه تعالى عاقل - لأن الكلمة فى اللغة اليونانية تعنى العقل - ونصفه بانه حى لان له روحه الذاتى الخاص وليس من المنطق المقبول ان يكون الله سبحانه بدون عقل وبدون روح، وإلا فلن يكون إلهاً على الاطلاق، **اذ كيف يكون متكلماً بدون كلمته أو حياً بدون روحه!؟ لأن الذات والنطق والحياة خواص متميزة مختلفة عن بعضها البعض فى المعنى لكنها بدون انقسام ولا انفصال، لذلك فهى صفات ذاتية ثبوتية فيه!! وأيا يكون الأمر فان الذات الإلهية لابد لها من كلمة ذاتية يتمثل فيها العقل الالهى وايضاً حياة ذاتية تتمثل فى روح الله - وهذا تفكير مقبول يثبت اعلان الوحى عن : ذات الله وكلمته وروحه والمعترض نفسه يعتقد معنا بذلك دون أن يفهمه، لكون الاديان تسلم بالله وكلمته وروحه فى اجماع عام لديها على السواء وان اختلفت فى التعبير عنه - ونحن المسيحيين لانقول باكثر من هذا - وهو مما لايقتضى الشرك بالله وان لا اله إلا هو ...!!**

ويبدو ان المعترض على التثليث هنا موقفه غريب لانه يعترف بوجود بعض جمل فى كتابه محجوبة المعانى وستبقى هكذا الى يوم الدين - فلماذا لايسلم اذا بان أمر التثليث هو أيضاً من الامور المتشابهة عنده - وبذلك لايكون هناك مجال لإنكاره!؟

وإذاً لماذا المخالفة فى مسألة التثليث مع وجود الاتفاق فيه لأن المعترض وهو يقول : الله وكلمته وروحه يقبل التثليث الذى نعلنه اذ نقول : "الآب والآبن والروح القدس" !!

فاننا نعتقد ان لله كلمة وروحاً، ولكن لانعلم ما هو الله ولا ماهو كلمة الله، ولا ماهو روح الله ؟ كما ان المعترض نفسه يعتقد بهذا أيضاً معنا دون أن يفهمه - **وهنا لابد من التسليم بموجب اجماع الاديان بأن كل مافى الله هو الله، وبحسب ذلك يكون كلمة الله، وروح الله كل منهما الله ولهما صفات الله - وليس القول بالله وكلمته وروحه الإ تعبيراً مرادفاً للثالوث!!**

* *

ومن ثم فان المعترض - أيا كان - ملزم بان يعترف بالله وكلمته وروحه : وهذا هو نفس التثليث المسيحى - فاذا لم يرق هذا التفسير فى نظره، فانه بذلك يجعل الله يقبل التقسيم كالمواد التى لا حياة فيها، فى حين ان كلمة الله وروحه لا ينفصلان منه، ذاك الذى فيه وجودهما ..!!

فان كانت الكلمة لذلك فى الله، وكذلك الروح - اذ لايمكن ان يكونا خارج الله، لأن الله حينئذ يكون بلا كلمة وبلا روح - فانهما لن يكونا شريكين مع الله اذ هما واحد معه لان جوهرهم واحد - وأليس هذا افضل بكثير من تقسيم الله باعتبار ان كلمته وروحه هما منه وفيه، ولذلك فانهم بحسب رد يوحنا الدمشقى اذ يتهموننا زوراً بالمشركين فاننا ندعوهم حقا بالمقسمين لله!! وذلك لأن ذات الله لها نطق وحياة ذاتيان كيانيان غير متجزئين من الذات ولا متبعضين من الكيان :

وبالطبع فان كلمة الله وروحه أزليان لا حادثان وهما واحد مع الله ... لانهما لاينفصلان منه، **إذ هما فى نطاق الاستلزام الوجودى لله - وهذا تسليم واجب لأن الله حى متكلم، وهو كذلك لانه حى بروحه متكلم**

بكلمته : واذن فان الكلمة فى الله هو حينئذ الله وكذلك روحه فانهما بذلك لايمكن ان يكونا إلا اقنومين لهما ذات الله، لأن كل مافى الله لابد أن يكون هو الله اذ لايدخله سبحانه شىء ما - مخلوقا - ولايكون فيه، لأن الجوهر الالهى الفريد منزه عن اتصال الخلق به، فليس منه ولا فيه شىء مخلوق، ولا يتصل بسرمديته شىء حادث!!

* *

هذا هو اساس ايماننا بأن الله - الاله الواحد - كائن عاقل حى، ونقول انه تعالى عاقل - لان الكلمة "LOGOS" تعنى فى اليونانية "العقل"، ونصفه بانه "حى" لأن له روحه الذاتى الخاص، لأن هذه - اى الذات والكلمة والحياة - خواص متميزة عن بعضها فى المعنى، فمعنى كون ذاته حية غير معنى كونها ناطقة، ومعنى كونها ناطقة غير معنى كونها حية، ومعنى كونها موجودة غير المعنيين السابقين وذلك رغم اتحاد هذه الخواص المتميزة فى الجوهر!!

كل هذا يسقط الاعتراض على الثالوث إذ ينكشف من هذه الاقوال التى هى مرآة المقارنة بين الاديان فى هذا الشأن بأن لا اختلاف فى جوهر العقيدة، فالمعترض وهو يقر بالله وكلمته وروحه يقول بالتثليث، والمسيحى يضع لهذا الاقرار تعريف الآب والابن والروح القدس!!

محاولات اخراج معنى كلمة الله وروحه عن التفسير الصحيح :

لقد دارت مناقشات كثيرة لاخراج معنى كلمة الله عما بلغناه، وكذلك جاءت المجادلات فى شأن روح الله، وذلك لنفى التثليث، رغم قولنا :

بأن اقنومى "الكلمة والحياة" صادران من الذات أو الكيان الإلهى بطبيعة الجوهر، لانه - جل شأنه - لايقبل شيئا من الخارج، لان الله مثلا لايعقل ذاته بأقل مما هو عليه اذ ان عقله هو وجوده، ولذلك كانت كلمته هى

ذاته، وهى واحدة فى النوع وفى العدد، لأن كل شىء فى الله واحد - إذاً فليس الله وكلمته إلهين اثنين بل إله واحد وذلك بحكم انه رسم جوهره والمعادل لله، ولما ليس لله معادل غيره، كان معنى ذلك ان الكلمة فى اقنوميته هو "الله" ... وكذلك الروح القدس فقد وصف بانه "الروح الاعظم" الذى لايمكن إدراكه أو حصره - وهكذا نجد الاتفاق واضحاً حول «الثالوث» أما الاختلاف فلفظى فقط!!

وإزاء هذه التفسيرات التى سنزيدها أيضاً فيما بعد نرى انه مع عدم قبولهم ان الله هو الآب والابن والروح القدس، إلا انه ليس هناك مجال للظن بان نقدهم للثالوث يتجه الى عقيدة التثليث المسيحى!!

اما الفكر المبلبل من جهة كلمة الله - وروحه فإنما هو خشية الاقرار باقنومية كل منهما، وبانهما من الله رأساً اذ هو مصدرهما، فروح الله وكلمته لهما كل الصفات الإلهية التى له فهذا الذى ذهبوا اليه من تخريجات وتأويلات ماهو إلا تكلف لاسبيل الى الاخذ به، فى حين ان الذى منعهم عن معرفة امرهما هو سر الاقانيم الالهية فى ذاته تعالى، ولذلك فانهم يحاولون جهدهم التخلص من عقدة التثليث، فيحولون العبارات من الحقيقة الى المجاز، وقد أتعبوا أنفسهم فيما لاجدوى فيه!!

فمثلا عندما نبدأ بما ورد عندهم فى وصف المسيح بانه كلمة منه (أى من الله تعالى) وكلمته فانما يدل ذلك على ان مصدر الكلمة هذا هو الله ذاته، وما كان من الله بغير طريق الخلق والابدع كان هو الله ذاته لا محالة!! وفى القول الوارد عن المسيح ايضا : «وأيدناه بروح القدس» نجد المؤيد والمؤيد به - فان المتكلم هنا هو «الله المؤيد» والمؤيد هو المسيح الكلمة، وهو غير المؤيد به هو الروح القدس، وهذه هى اقانيم الثالوث عندنا!! اى الخواص التى تجتمع فى الجوهر الالهى، فيكون الله موجوداً بذاته ناطقاً بكلمته، حيا بروحه : فالمسألة هنا إذاً ليس مجرد تصور

عدم امكانية وجود الآب والابن والروح القدس، بل أن هذا الوجود هو الحقيقة الالهية ذاتها!!

وان كان الانسان قد تميز بما جعل الله فيه من العقل والكلمة والروح، وبذلك فضله على جميع الخلائق وخلقه على صورته، فاذا عرف الله بعقل وكلمة وروح، فلا ينبغى أن يكون ذلك فيه تعالى على ما هو فى الانسان المخلوق، بل نقول ان عقل الله هو خالق العقول وكلمة الله خالق الكلام وروح الله خالق الارواح - فهو اله واحد ذو عقل وكلمة وروح ليس منه ولا فيه شىء مخلوق - وانما علينا ان نؤمن بما انزله فى كتابه مقرين بانه ليس ما فى الله مثلما فى الانسان - لان الخالق أبعد من ان يكون متشابهاً مع المخلوق أو ان يكون الانسان متطابقاً معه!!

وانما هو الواحد الذى يجمع عقله وكلمته وروحه جوهر واحد بلا فرقة بينهم فى الصفات الأكملية، فيما عدا ما يميز بينهم كاقانيم، لانه حيث العقل هناك الكلمة وحيث العقل والكلمة فان معهما الروح!! هذا هو الوجود - والنطق والحياة - وهى الامور التى يجمع على صدقها كل واحد وهى الصفات الذاتية الثبوتية التى اعلنت ان الله سبحانه هو هكذا - أى ثلاثة اقانيم - حسبما أعلنه لنا، ومن ثم فليس هناك وجه للاعتراض!!

أما الاستخبار عن سبب قصر اقانيم الله على ثلاثة هى "الذات والنطق والحياة"، فجوابه ان هذا استلزام وجودى قائم على صدورى "الولادة" و"الانبثاق" وهما صفتان ذاتيتان ثبوتيتان تختلف عن الصفات النسبية والادبية، وصفات الافعال - لان هذه على وجه خاص هى "صفات الذات" اى ما ينتظر ان تكون عليه الذات الالهية، ولذلك نطلق عليها "استلزام وجودى" وأيضاً "انها هكذا بطبيعة الجوهر"!!

فلابد إذاً ان تكون حياة الله ونطقه منه لا من غيره، وأن يكون

أزليين بأزليته، وإلا لكان سبحانه مخلوقا - وهو الخالق - وهذا محال، فالله موجود بذاته، حى بروحه، ناطق بكلمته، وهذه صفات جوهرية فيه وليست اعراضا لان ذلك محال!!

توضيح حقيقة معنى كلمة الله وروحه :

من الايات الكتابية التى وردت فى التوراة عن الثالوث ورود ذكر الله وكلمته وروحه عند سرد قصة الخلق **فى فاتحة سفر التكوين**. ولقد جاء ذكر الكلمة أيضاً فى سفر المزامير فى اكثر من موضع كما فى القول : **"الى الابد يارب كلمتك مثبتة (أى تدوم) فى السموات"** (مز ١١٩ :٨٩) **والكلمة هنا هى كلمة الله الذاتية اى ابنه المساوى له فى الجوهر ... وكلمته هذه تدل على وجود الاقنومين الأول والثانى إذ هى قائمة بذاته تعالى ليس بحرف ولا بصوت منزهة عن التقدم والتأخر** .. وواضح من (مزمور ٨٢ :٦و٧) ان الذى يجعل إلهاً من غيره لايكون إلهاً حقيقيا فى ذاته - **أما "الكلمة" فان تسميته "الله" أو "إلهاً" - ليس هو بالمعنى المجازى الذى تسمى به غيره بل بالمعنى الحقيقى لان وجوده من ذات الخالق أزلياً ...**

وقد جاء اعلان عن "الروح القدس" الخالق أيضاً فى (مز ١٠٤ :٢٩) "ترسل روحك فتخلق (أى فيخلقون)"

وهذه الآيات تؤكد وجود الاقانيم الثلاثة الشريكة فى الابداع .. لكنهم ليسوا ثلاثة خالقين، بل خالقاً واحداً هو الاله الواحد!! لكون طبيعته الواحدة - منظورة فى الاقانيم - هى بداية لحركة واحدة لانه من اللازم ان يكون ذوو الطبيعة الواحدة ذوى فعل واحد أيضاً .. وكذلك الحال بالنسبة لارسالية الابن وعمله المعجزات بروح الله والاب الحال فيه كما بإرادته الشخصية مما يدل على اتفاق الاقانيم فى كل ارادة وعمل واتحادها فى العمل مما تمتلىء به صفحات العهد الجديد!!

ويواجه المنكرون لهذه الحقيقة الموقف بالادعاء بان الكلمة كيان منفصل عن

الله ومستقل عنه، كما يزعمون بان تمييز اقانيمه انما يعنى انفصالها، وهذا غير صحيح، لان الزعم بان ألوهية كل من الابن والروح القدس لاستناد فيهما الى استدلال أو حجة كافية انما هو باطل وكذلك قول المنكرين بان الثالوث فكرة عرضت على العقل المسيحى!!

يضاف الى ذلك ما استباحه لنفسه مؤلف كتاب : «الله واحد أم ثالوث» من ان السيد المسيح لم ينفرد وحده ببنوة الله - بل ان لفظ ابن الله الوحيد أطلق على غيره - وهذا قول فارغ من المعنى إذ لايقوم على اى اثبات - والادعاء بانه ليس هو الابن الوحيد ألحق به بالتالى انه ليس الكلمة الوحيدة، واعتبرهما كيانين اى وصفين ليسا هما الله ولكنهما من مخلوقات الله - **وهذه كلها تجاوزات ليس لها أساس من الصحة ولا تستحق الرد عليها لوضوح بطلانها!! وذلك لان الكلمة هنا هو الاقنوم الناطق فى اللاهوت والذى به يتصل الله بنا وبالكون بأسره - قال عنه علماء التوحيد انه شأن من شئونه أو صفة من صفاته قديمة بقدمه، وهم بذلك اقتربوا من اعتقادنا بأقنوميته الى حد بعيد**، لكنهم تراجعوا حاسبين اياه مجرد فكر أو حديث نفسى، لكن مثل هذا القول يجعل الله يتحدث الى نفسه فى الازل بغير نطق أو لفظ الى أن خلق الملائكة والانبياء مما يجعل رب الكمال الذاتى فى حاجة الى وجود سبب خارجى يكمل صفاته ويجعله ناطقاً فعلا - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - لكنها وحشة الوحدانية المطلقة التى ليس فيها ناطق ولا سميع!!

ورغم ذلك فانه من المسلم به ان الكيان الالهى يتكون من الوجود والعلم والحياة، وهذا ما يتصف به الله سبحانه، فالآب هو اقنوم الوجود، والكلمة - الابن - هو اقنوم العلم، أما اقنوم الحياة فهو الروح القدس!!

وأما من جهة صفة العلم - وهى مرتبطة بالكلمة - فهى من الصفات التى تعد كمالا فى الوجود، فكم وكم ينبغى بداهة ان تكون

للواجب، إذ هى قاضية بان العلم كمال فى الموجودات الممكنة - فلو لم يكن الواجب الوجود (الله) عالما لأصبح الموجودات الممكنة اكمل من الموجود الواجب، وهذا محال - ثم هو واهب العلم فى عالم الافكار ولا يعقل ان مصدر العلم يفقده - فان العلم كمال وفاقد الكمال لايمكن ان يهب كمالا لأن فاقد الشىء لايعطيه.

كذلك صفة "الحياة" كمال وجودى وجوبى، وكل كمال وجودى يمكن ان يتصف به الواجب، وجب أن يثبت له، فواجب الوجود حتى، وان تباينت حياته مع حياة الممكنات، ولو لم تثبت له هذه الصفة لكان من الموجودات الممكنة الوجود ماهو أكمل منه وجوداً، فى حين أنه أعلى الموجودات وأكملها ... وهو واهب الوجود وما يتبعه، فكيف لو كان فاقداً للحياة يعطيها؟ واذن الحياة له، كما أنه هو مصدرها!!

وهكذا وصفوا الله بالعلم فقالوا أنه صفة ذاتية لازمة له تعالى لايخلو منها قط ولا يتصور انفكاك ذات الله عنها، فالقول بانه ليس له علم كفر، والقول ان علمه محدث وليس بقديم كفر ...

وكذلك الحال بالنسبة لصفة الحياة فهى من صفات الذات اللازمة لها، والتى لاتنفك عنها، فالله حى لأن صفة الحياة الدائمة مختصة به تعالى، فهو الحى القيوم اى أن لحياته الدوام لانها حياة ذاتية سرمدية ...

ولذلك جاء فى رسالة الاصفهانى : «ان الله متكلم بكلام قائم بذاته، وكلامه غير مخلوق، بل هو منه واليه يعود، فهو صفة لذاته قديم بقدمها - وهو من أوصاف الكمال ...»

وقالوا فى هذا الشأن ان جميع الصفات تجر معها جوهرا آخر غير جوهر البارى : فقادر تجر معها جوهراً آخر هو المقدور عليه، والجواد معه الجود،

والسميع معه السمع، وهكذا، أما اذا قلنا انه تعالى موجود فما تجر هذه الصفة معه جوهرا سواه - كذلك الحال اذا قلنا انه حى ناطق - فهذه ثلاث صفات جوهرية كيانية متميزة فى ذات الله الواحد دعوناها اقانيم، وأما بقية الصفات الاخرى فهى صفات لاحقات ليست جوهرية.

* *

أما من جهة الروح فالمنصف من غير المسيحيين يرى اتصافه بالازلية لان الله اضافه الى نفسه مع نسبة النفخ اليه - ومن المعلوم أن ذاته منذ القدم فتكون الروح منذ القدم كذلك - وهو لذلك خلاف الارواح الانسانية الحادثة لانها مخلوقة ... وهذا يسقط قول من يقول : ان هذه الاضافة هى اضافة مخلوق الى خالقه ومصنوع الى صانعه تقتضى تخصيصاً وتشريفاً له عن المضاف لغير الله تعالى - ولاتقتضى قدمه!!

فى حين ان البعض الاخر يصف الروح القدس بانه روح الارواح، وهو المنزه عن الدخول فى محيط (كن)، فلا يجوز ان يقال فيه انه مخلوق - فهو روح لا كالارواح، وهو المنفوخ منه فى آدم، فروح آدم مخلوق، أما روح الله فهو غير مخلوق ولا هو منفصل عن الله!! فروح آدم وحياته هما نفخة من روح الله، وهذه الروح الانسانية المخلوقة هى نسمة الحياة التى تدب فى الكائنات، ولكننا لانعرف ماهى ولا أين هى فينا - "فانك لست تعلم ماهى طريق الروح ولا كيف العظام فى بطن الحبلى" (جا ١١ : ٥)

ورغم وضوح الفارق الكبير بين روح الله غير المخلوق وارواح البشر المخلوقة نجدهم يخلطون بينهما بالقول : لان الروح (أى روح الله) لو كانت جزءاً منه لكان كل انسان الهاً، بمقتضى ان فى الفرع (الروح الانسانية) ما فى الاصل (روح الله) والخطأ هنا مركب بقولهم ان روح الله هو جزء من الله - وبذلك يدخلون على الله التجزئة التى تقتضى التركيب وحاشا لله من ذلك، فانه ايضاً يخالف اعتقادنا بان روح الله هو الله - لاجزءاً منه - بحكم ان له كل الجوهر الالهى كاملا اذ لاتقسيم

فيه ولا تفريد .. ثم من قال ان الروح الانسانية صادرة من الله كجزء من جوهره على النحو الذى ذهبوا اليه؟ لاننا عندما نسألهم : هل معنى ماتقولون ان روح الله هو نفسه الروح الانسانية!؟ يجيبون بغير تبصر : نعم الله حى بروحه، كما أننا نحن البشر احياء بارواحنا. مع ان هذا تشبيه لا يحوى معنى ما قالوا به اذ شتان مابين روح الله وارواحنا المخلوقة التى جاء فى وصفها بان الله خلقها فى القول : "جابل روح الانسان فى داخله" (زك ١٢ : ١) ولا وجه هنا للتطابق بين الروح الخالق والارواح المخلوقة!!

وهكذا نجد كيف استبدت الحيرة ببعضهم فيقولون ان روح الله هو ما استأثره بعلمه، بينما يندفع البعض الاخر فى اتجاه الخلط بين الروح الانسانية وروح الله!!

* *

واذ ثبت غموض معنى الروح لدى من حولنا، فقد جعلوا له ١٥ تفسيراً تبعث على الدهشة لكثرتها واختلافها وذلك تجنباً لما قد تدل عليه مما يماثل صفة المسيح بالذات الإلهية وهى قائمة على هذا النحو المشترك وليست كالصلة العادية بين الخالق والمخلوق وكذلك ليست بالصلة التى تدعو اليها دواع يخترعها المفسرون اختراعاً... فاننا - وهذا واجبنا مكلفون بان نلجأ الى الكتاب المقدس نستوضحه، فاسألوا اهل الذكر (الكتاب) ان كنتم لاتعلمون، ومع ذلك فان لديهم فى وصف الروح ما يكفى لاثبات الوهيته بلا شك اذ هو موصوف بانه هو الذى يقف الكل أمام عرشه صاغرين، وما الملائكة إلا مبلغون وحيه، يحرك القلوب بالكلمة - وبيده الحكمة والحياة ...

فكيف تدعون معرفة الله دون معرفة عما اذا كان لله روح فى ذاته ام هى ذات مجردة من الروح - فكيف يكون حيا بدون روحه!؟ اذ لم يجد مفسروكم اى تلميح أو رأى فى ماهية الروح - وهل هو معاصر لله أو مشارك له فى الازلية فيلجأون الى القول انه سر خفى لم يعط لنا ادراكه - وبينما يقولون عنه انه منقطع النظير وفوق جميع المخلوقات

الأخرى، ومتصل بالله بنوع خفى وغريب وانه غير مخلوق، إلا انهم مع ذلك قد احجموا عن الاعتراف بأزليته!؟ وذلك خوفاً من اعتباره إلهاً - ولكن هذا التوقف يكشف عن ورطة اذ كيف تكون هذه اوصافه وتصل الى الاعتراف له بالسلطة السامية والحضور فى كل مكان اذ هو الموصوف بانه وجه الله ومنسوب له الصدور عن الله والحلول فى البشر وانه ازلى ومن يتجاسر على القول بانه مخلوق يعتبر مبتدعاً، ثم يأتى التوقف دون التسليم بحقيقته - فنرى لماذا كل هذه الحيرة وهذا الاضطراب؟

فانهم يقولون انه غير مخلوق ولكنهم يرفضون القول انه قديم لئلا يعترفوا بأنه هو الله - وبالتالى يعترفون بحقيقة الاقانيم الثلاثة فى ذات الله الواحد - وبعد أكثر من ١٥ معنى جعلوا الناس حيارى لايدرون ما هو الروح، هل هو اله حسب قول الائمة إذ يقولون انه غير مخلوق، أم ليس بإله لانه غير قديم على حد قول نفس هؤلاء الائمة؟!!

* *

وأما اليقين الذى لدينا فهو أن الروح القدس - وهو حياة الآب والابن لانه روحهما - اذ ان الله لابد أن يكون حيا بروحه، فانه ايضاً مصدر الحياة وباعثها فى الكائنات، ولذلك فقد جاءت كلمة نسمة الحياة بمعنى الروح كما نرى ذلك فى القول : "**روح الله صنعنى ونسمة القدير احييتنى**" (أى ٣٣ : ٤) **وقد وردت كلمة "النفخ" و"المنفوخ" فى عدة مواضع فى اسفار الانبياء الكبار ولكنها تتصدر خلق الانسان فى القول : "ونفخ فى أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية"** (تك ٢ : ٧)، ومن ثم فقد جاء القول : «ونفخنا ... من روحنا» - ولذلك فانهم يقولون عن روح الله بانه سر من الاسرار، وان الله انما شرفه لاضافته اليه، ويقفون عند هذا الحد خشية الاتفاق مع الثالوث المسيحى وذلك بسبب سوء فهمهم للاقانيم والظن بأنها تتعارض مع وحدانيته ...!!

* * *

الفصل الحادى عشر

أوصاف خطيرة بعيدة عن الحقيقة

«تمسك بصوت الكلام الصحيح ..»
«وأما انت فأثبت على ما تعلمت»،
«مفصلا كلمة الحق بالاستقامة»
(٢تى ١:١٣، ٢:١٥، ٣:١٤)

أ - تفنيد الادعاء الباطل بأن الاقانيم أعضاء فى الثالوث :

حين حرك الروح القدس كتبة الوحى ليكتبوا الاشياء التى تتضمنها كلمة الله المكتوبة لم يقصد ان يجلو لهم اسرار الطبيعة والكائنات وكذلك الطبيعة السرية التى للثالوث الاقدس - لان هذا كما سبق أن رأينا فوق طاقة إدراك العقل، ولكن وان كان خلاص النفوس يتطلب الايمان البسيط بما اعلنته كلمة الله عن الكفارة، إلا ان الكتاب المقدس يعلن لنا بانه من المهم جداً التزام الايمان بما أعلنته كلمة الله بوجه التحديد، ومعنى ذلك ان المؤمن الحقيقى يجب ان يحصل على صورة واضحة من الكتاب المقدس عما يمكن إدراكه عن الله !!

وواضح ان ماتم اعلانه هنا عنه سبحانه فى صورة التوحيد والتثليث انما هو قلب المسيحية النابض، ولذلك وجب امتحان اعتقاد المسيحية فى الالوهية للوقوف على حقيقة مفهومه على ضوء معلنات الوحى عنه فى كتاب الله ...

ويفسر احدهم ذلك بالقول :

ان عقيدة الثالوث تعنى بان الله يتكون من ثلاثة أقانيم أى ثلاثة عناصر أو اجزاء (ص١٠ من ك الله واحد أم ثالوث) والمؤلف هنا لم يستطع ان يلتزم بنصوص أقوال الوحى فحسب أن الاقانيم الالهية مجرد عناصر أو اجزاء فى الذات الالهية، وهذا تفسير باطل، ومع ذلك فقد درج

عليه كثيرون! ولا شك ان نقطة بداية التفاسير الباطلة هنا هى وصف الاقانيم بأنهم أعضاء فى الثالوث!!

ولا شك أن البعض قد قبلوا هذه العبارة - بحسن نية - إذ ارادوا بها تبسيط عقيدة الثالوث دون أن ينتبهوا الى معناها وهو : الجزء من مجموع الكل وفعلا أضافوا الى كلمة أعضاء كلمة أجزاء أيضاً ... ومن المعلوم أن العضوية هى مما يصح اطلاقه على الاشتراك فى حزب أو جماعة، وكذلك على أية اجزاء تنضم معاً فى كيان واحد، **وهى بالنسبة للاهوت محال لانه لا تجزئة فى الجوهر الالهى ولا تقسيم مما ينتفى معه التفريد والاستقلال فى الذات الالهية بسبب الأقانيم حتى يوصف كيانها فى الجوهر الإلهى بالعضوية ..!!**

وفضلا عن ذلك فان فكرة وجود أعضاء فى اللاهوت تفيد مبدأ المفاضلة بين هذه الاعضاء، فقد يكون بينهم مثلا عضو مهم وآخر متوسط الاهمية مما دفع بعضهم الى أن ينسبوا للاقانيم التفاوت فى الحجم والمقام والعلو ...الخ مما يشجبه الاعلان الإلهى فلا يقره ولا يوافق عليه بتاتاً!!

* *

ولذلك فان وصف الاقنومية بانها عضوية فى الثالوث مما لا يجوز فى هذا المجال اذ هو ينفى عن الذات الإلهية وحدتها، لانه يفيد الاتحاد بين ذوات، فى حين ان وحدانية الله ليس بها ذلك لأن ذات الله واحدة فلا هو تعالى ذوات فى ذات، ولا ذات فى ذوات - **وهو القائل سبحانه : "بذاتى اقسمت يقول الرب" (تك ٢٢ : ١٥) مما نتبين منه أنه ليس فى الذات الإلهية تقسيم يجيز هذه العضوية المزعومة!!**

ومن ثم فليست الأقانيم اعضاء فى اللاهوت، لأن العضوية تفيد تعدد الذوات أو تجزئة الذات، والله ذات واحد غير مكون من أعضاء أو

أجزاء كالبشر والخلائق - فوحدانيته الفريدة السامية لاتجتمع من أجزاء - لاأجزاء كمية، ولا أجزاء معنوية - فالاقانيم إذاً ذات واحدة لأن الجوهر واحد وهو اللاهوت. ومن ثم فان وصف الاقانيم بانها اعضاء فى الله إنما هو وصف باطل!!

ولذلك فهو ليس ماتقول به المسيحية لأن اعتقادها بالثالوث من جهة الاقنومية، هو غير اعتقادها بوحدة الجوهر من الجهة الاخرى، ولا مناقضة فى ذلك، بل ليس فيه ما هو مستحيل ولا ماهو مضاد للعقل، دون أن يحتاج الامر الى ادعائهم الباطل بأنه لايمكن ان تكون هناك أقانيم فى الذات الواحدة الا بالتقسيم والتفريد - لأنهم هكذا يتصورون الذات الالهية حتى يكون لها اقانيم، الامر الذى لم يقل به أحد سواهم!!

ب - استعمال ألفاظ التجزئة والتركيب :

مما لايحتاج الى برهان أن القول بالعضوية فى الثالوث يفيد الانفصال والتركيب فى الذات الإلهية وادخال الحدوث والتغير على الله، ولذلك فهو نفى للاقنومية نفسها وفصل للاقانيم وادعاء على الجوهر الإلهى بالتقسيم .. وقد أدى الى وصف الاقانيم بأنها أجزاء أو عناصر فى الله!! وأمتد الى الادعاء على يسوع بانه كان له قبل بشريته وجود منفصل عن الله، وانه لم يكن قط مساويا لله لكونه جزءاً من الذات الإلهية!!

ويتسائل بعضهم عن وحدانية الله باسلوب التهكم بالقول : هل الله إله واحد أم عدة آلهة - وان كان هو واحد، فما هى نوع وحدانيته، أبسيطة هى أم مركبة؟ وان كانت مركبة فمم تتركب تلك الوحدانية؟ ويصل أحدهم فى تهكمه الى القول : هل الله إله واحد مقسم الى ثلاثة آلهة أم هو ثلاثة آلهة مستقلة؟ مع أننا نقول بأن الذات الإلهية واحدة وهى غير قابلة للقسمة أو التأليف؟!

ولا شك أن وصف الاقانيم بانها عناصر أو اجزاء انما هو وصف خاطىء لأنه

تعبير عن اللاهوت بلغة التجزئة والتركيب - لغة الأجسام المادية - ومثل هذه التعبيرات وان كانت قد انزلقت اليها بعض المكتوبات المسيحية - ولكنها تظلم الحقيقة : فالقول الذى ورد فى بعضها عن الوحدانية المركبة قد فتح الباب للادعاء على الاقانيم بأنها مجرد عناصر أو اجزاء فى الذات الإلهية وقد نتج عن ذلك أن ظهر من يزعمون الفصل بين الاقانيم وحسبان كل اقنوم منها إلهاً قائماً بذاته - ومن المعلوم أن وصف التركيب أو الاختلاط أو الامتزاج فى الذات الإلهية إنما هو وصف بعيد تماما عن الصواب ولا يستند الى أى نص فى الكتاب المقدس : **وهو لايتناسب مع اللاهوت إطلاقاً إذ أن الشىء المركب لايتم تركيبه إلا من العناصر والاجزاء التى يتركب منها، ويتطلب التركيب وجودها قبل تركيبها وكذلك وجود من يقوم بتركيبها وربط اجزائها وضمها بعضها الى بعض وهو ما يسمى "العلة الفاعلة للتركيب" فى حين انه سبحانه كما جاء فى تسبحة الثالوث :**

ليس له علة ولا معلول صفاته تفوق العقول

كما أن المركب محدود متناه له قبلية وبعدية، وهو حتماً مرتبط بالزمن ومحدد بالمكان، مرئى ممكن أن تراه الأبصار، كما أنه معرض للانحلال والفساد !!

ولذلك فان المسيحية لاتؤمن بوجود تركيب فى الله - وعن ذلك قال أباؤها الأولون أقوالا واضحة نوردها فيما يلى :-

يقول أثناسيوس : «التركيب مبتدأ المضادة، وهذه مبتدأ الاختلاف، وهذا مبتدأ الانتقاص - والانتقاص ليس من ذات الله.»

وقال اوريجانوس : «يجب أن لانظن أن الله مركباً لانه لايكون عندئذ بسيطاً - والبسيط لاتركيب فيه.»

وكذلك يقول توما الأكوينى : «الله بسيط كل البساطة ومنزه كل التنزيه عن أى نوع من أنواع التركيب.»

ولذلك فان ايماننا نحن المسيحيين فى الله هو : بانه تعالى واحد

واجب الوجود، قائم بذاته، لاعلة لوجوده، وهو علة الوجود - وهو روح بسيط سرمدى لاتركيب فيه. وليست الاقانيم إذاً تركيبا فى اللاهوت لانها لو كانت كذلك لأضحت ثلاثة آلهة - اذ ان التركيب يفيد الانفصال، وحاشا لله أن يكون كذلك!؟

وإذاً ما بدأه سابليوس وابتدعه عندما كان يسأل المسيحيين : هل الهكم واحد أم ثلاثة ؟ ونتج عنه من يتساءلون اليوم كيف يكون الواحد ثلاثة ؟ وكذلك التحدى بالقول إما أن يكون هناك ثلاثة آلهة، واما أن يكون هناك إله واحد أحد ؟ فهذا كله مما يقف عاثراً فى طريق المسيحية، وهو مبنى على اتهامها باطلا بانها تقول بالتجزؤ والتقسيم فى ذات الله الأحدية، وهذا ضد ايمانها الصحيح فى وحدانية الله مع عدم وجود تركيب فى ذاته!؟ يؤيد ذلك ما ورد عن اثناسيوس فى شرحه لهذا الأمر إذ قال : **"ان الاقانيم الثلاثة معا هم الله الواحد، لأن جوهرهم وهو اللاهوت واحد - ليس فى الثالوث أول أو آخر، ولا أكبر ولا أصغر، فالآب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله .. ولا يوجد ادنى تمييز بين الاقانيم لا فى الذات - لان ذاتهم واحدة - ولا فى زمن الوجود لأن كلا منهم أزلى وهم جميعاً متساوون فى القدرة والعظمة"**.

واثناسيوس بأقواله هذه يقرر بأن وجود ثلاثة اقانيم متميزة فى الجوهر الالهى لاينفى وحدانيته، ورغم اشتراك الاقانيم فى الصفات الإلهية الواحدة اذ هم متساوون فى السرمدية وغير المحدودية وسائر الكمالات الإلهية، إلا أن ذلك بغير تفرد ولا تقسيم، ولذلك فانهم ليسوا ثلاثة سرمديين وغير محدودين بل واحداً سرمدياً وغير محدود - إذ هو واحد فى الذات والصفات والافعال ... **ومن ثم فان الحق المسيحى ينهانا عن أن نقول بوجود ثلاثة آلهة!!** وهذا ما استطاع العقاد أن يدركه فأثبته فى كتابه عن الله بقوله : «ان الاقانيم جوهر واحد ووجود واحد، **وانك حين تقول الآب لاتدل على ذات منفصلة عن الابن أو الروح القدس لأنه لا انفصال ولا تركيب فى الذات الإلهية"**. والعجيب هنا أن يقدم هذا الكاتب - وهو من غير المسيحيين - هذا التعريف الدقيق فى حين انه

قد فات البعض ممن كانوا ينتسبون للمسيحية قبلا، ولكنهم تركوها لعدم التعمق فى بحث حقيقتها!! وليس فى موقفهم هذا ادنى استغراب بعد أن وصلوا - وأسفاه - الى حد انكار المسيحية للعجز عن اثبات عقائدها عن طريق الاستدلال العقلى المجرد الأمر الذى اثبتنا من قبل عدم صحته وانعدام جدواه!!

وقد بلغ انتقاد مؤلف كتاب : «الله واحد أم ثالوث» لما سلف بيانه ادعاءه بانه اكتشف بان المسيحية تقول بان الله واحد فى المظهر الذى يظهر به، لكنه فى حقيقته وداخليته - اى فى باطنه - هو ثلاثة آلهة - يقول ذلك وهو يعلم أن المسيحية تعتقد بالثلاثة الاقانيم دون أن يكون الله بذلك ثلاثة آلهة لوحدانية جوهرهم، ولذلك لا يمكن أن ينفصل أحدهم عن الآخر حتى انه لايمكن أن يوجد اقنوم منهم بمفرده مستقلا عن الاقنومين الآخرين، وذلك لأن الايمان الحق فى المسيحية هو الذى لايفصل وحدة الجوهر كما انه لا يمزج الاقانيم المتميزة - **وهذا بعينه ماقرره اثناسيوس بقوله : "أننا لانفصل الجوهر، كما أننا لانخلط الأقانيم."**

وبازاء المساواة التامة بين الأقانيم فانه لايكون هناك تفاوت فى المراتب أو الدرجات، فلا علو ولا هبوط فيما بينهم حسبما توهم هذا الكاتب الحديث مردداً أقوال من انحرفوا عن حقيقة الثالوث المسيحى على مجرى التاريخ!!

أما الثالوث الحقيقى فهو الذى تقرر بشأنه وحدة الجوهر الالهى، فهو واحد ووحيد مستقر فى الاقانيم ويلبث دائماً غير مقسوم ولا محدود لانه غير متناه وغير المتناهى فى غير المتناهى يكون منزها عن التركيب فالاقانيم بحسب جوهرها الواحد هى بعضها فى بعض ولذلك فليسوا هم اجزاء مفرزة ومنفصلة وإلا من الذى قسم بينهم والزم كل واحد منهم مكانه - فان ذاك اولى بأن يكون هو الاله عليهم!!، ووصف اللاهوت هنا بالمطلق انما ينطبق على كل من الاقانيم الثلاثة لكونهم متحدين فى الجوهر الواحد لأنه كما أنه لا يتجزأ بحسب الامكنة،

فكذلك هو موجود بكماله فى كل أقنوم بدون تجزئة - فليس فيه كل وجزء لانه لاينفصل ولا يتجزأ. ومن ثم فلا محل للقول بان الآب يختص بجزء، والابن بجزء آخر، والروح القدس بجزء غيرهما لأن الخاصة الوجهية ترسم اللاهوت جملة وليس جزءاً منه - غير أن العقل البشرى لسبب ضعفه لايستطيع ادراك ذلك فيتصور غير المتناهى (أى الجوهر) متناهى (أى انه يحسب الأمر هكذا عند التمييز بين الاقانيم) مع أن هذا التمييز بين الاقانيم هو سر اللاهوت المطلق الذى لا ولن تبلغ الخلائق الى معرفته (كتاب الهداية لانثيمس برهمة الله)

ولذلك فان كيفية وجود الاقانيم الثلاثة فى جوهر واحد من المستحيل أن تدرك بأى نوع من الإدراك، إذ هى نفاذ الى كنه الله، الأمر غير الممكن بالطبع للخلائق المحدودة، اذ ان المعرفة المباشرة للذات الالهى أمر محال بالنسبة للكائنات، فهيهات أن يدركه من جهة الجوهر والأقانيم سواه. وإذاً لايمكن أن يعرف أقانيمه غيره - هذا ماوصل اليه الأقدمون وأوجبوا الوقوف عند حده إذ اعتبروا أن ذلك سر مطلق كامن فى طبيعة الله تعالى ولا يمكن الافتراض باختفائه لأية عوامل خارجية، ولذلك فهو لن ينتهى بل سيبقى سراً على الخلائق باسرها فى اجيال دهور الابدية اللانهائية ..

ويقول هارتزلر من قادة الفكر المسيحى : "اننا قد لانستطيع أن نوضح كيف يكون الثلاثة فى واحد، وكيف يحوز كل من الثلاثة الكمال المطلق، مع انه متميز عن الاثنين الآخرين - ولكن هذا الذى نحاول الاحاطة به وتوضيحه هو سر اللاهوت الفائق المعرفة : والذى يصدق عليه القول : هو كما عرف نفسه!!"

* * *

الفصل الثانى عشر

أساليب ملتوية ابتدعها المفكرون

«قلب مخدوع قد أضله فلا ينجى نفسه» (اش ٤٤: ٢٠). «سيكون فيكم أيضاً معلمون كذبة الذين يدسون بدع هلاك» (٢بط ٢: ١)

الاعتراض على الثالوث لعدم ورود لفظته فى الكتاب المقدس :

لاشك أن الثالوث هو أسمى واعظم اعلان قدمه لنا الوحى عن الله والاجتهاد فيه هنا انما هو استجلاء له لقبوله باعتباره قد أتانا من الله وقد قبلناه بالايمان ولسان حالنا انك انت يالله هكذا كما أعلنت عن ذاتك ... وهذا الاعلان عن ثالوثه الوحدوى إنما قد جاءنا بالدرجة التى يمكن أن نحتملها، ولذلك فاننا قد قبلناه معترفين باننا لانعرف كيف نتكلم عنه، فما كان بمقدورنا نحن البشر أن نعرف حقيقة الله من جهة ثالوثه ووحدانيته بدون أن يعلن لنا هو ذلك - ولذلك فان على المنكرين رافضى الاعلان تقع مسئولية رفضهم له، أما نحن المسيحيين فقد قبلنا اعلانه وآمنا به وخضعنا لحقيقة الوجود الالهى بحسب هذا الاعلان الفائق!!

والمفروض - والاعلان قد تكامل الآن - الاقرار بانه لايقبل التناقض ولا الزعم بأنه قد تم نسخه بما يقال انه جاء بعده ليعدله ... مع انه فى الحقيقة ينكره ويخفيه بحجة ان الايمان بالثالوث تكليف فوق الطاقة وهو قول مردود لان هذا ضمن شئون الإلوهية بأسرها وهذه هى الصفة الملاصقة لها، ولذلك لم يكن هناك ادنى غرابة فى ايماننا بالثالوث بحسب الاعلان الذى جاءنا من الله عنه وهو الذى تفضل الله علينا به ووقفنا امام جلاله مبهوتين مكتفين بان هذا هو ما اعلنه الله ومن يقبله يصدق الله وإلا فانه يجعل الله كاذبا كنص شهادة الوحى عن ذلك!! ومن ثم فاننا قد تطرقنا الى هذا المبحث خطير الشأن ليس فقط لأن واجبنا

ان نفحص عقائدنا - كما تفعل سائر الاديان - بل وللكشف عن هذا الموقف الشائن الذى اتخذه المنكرون لمساندة افكارهم وهو تسفيه عقيدة الثالوث ووصم المسيحية بسببه بالاحتقار والازدراء ..!! وذلك رغم كل الجهد الذى بذله قادة المسيحية بما كتبوه عن الثالوث ... فقد تركوا لنا ثروة فكرية رائعة فى شرحه أقوى من كل اقوال المنكرين.

* *

وإزاء ذلك لم يجد المنكرون احتجاجاً على الثالوث مثل اعتراضهم عليه لأن لفظة ثالوث لم ترد فى الكتاب المقدس - وان كانت لفظة ثلاثة قد وردت فيه ... وعدم ورود لفظة -الثالوث أمر مسلم به، إلا ان عقيدته واضحة جلية لكل ذى بصيرة روحية بموجب الإعلان نفسه - **وهذا يبطل الادعاء بأنه ليس من حقنا استعمال لفظة ثالوث الذى يقصدون به نفى وجود الثالوث واخفاء حقيقته** فاذا مافسرناه على حقيقة مفهومه أيقال أننا أضفنا شيئاً الى كلام الله - **فان عدم ورود نص يصف الآب والابن والروح القدس بانهم ثلاثة أو ثالوث، لاينفى حقيقة ان الموصوفين بذلك مذكورون فيه فى عدة أماكن - فهل لايسوغ لنا أن نقول عنهم ثلاثة أو ثالوثا!؟ وهل يقال عن قولنا هذا انه اختراع بشرى ليس له أصل فى كتاب الله أو أنه تعليم بشرى غير معلن فيه!؟ ويسقط هذا الاعتراض** لأن قبوله يعنى ايقاف ومنع التحدث عن الالهيات بأسرها بأى شرح أو تفسير بغير ألفاظ الوحى وفى حدودها فقط، الأمر غير الواجب بالطبع شكلا وموضوعاً ... وإذاً فلماذا التعثر فى لفظة الثالوث بالذات!؟ ولماذا السعى للتخلص منها بدعوى أنها ليست موجودة بحروفها، مع أن حقيقتها موجودة وبشكل واضح فى الكتاب المقدس من أول آية فيه فهى تحوى اسم الجمع ايلوهيم!!

وكل ماجاء عن الثالوث لنا فى الكتاب المقدس ما يوضحه، **وانما لحكمة لم يوردها الوحى تحسباً لابتداع الظن على المسيحيين بانهم يعبدون ثلاثة آلهة - الامر الذى أشيع عنهم رغم عدم استخدام الوحى لكلمة ثالوث!!**

فان كان المسيحيون بغير ورود لفظة الثالوث فى كتابهم المقدس، قد اعتبرهم الغير مشركين، فكيف يكون الحال فيما لو وردت فعلا، فضلا عن أنه رغم عدم ورودها سوى فى حالة المعنى، فقد قام المنكرون بالطعن فى كتاب الله ونسبة التحريف له بالباطل - فكيف يكون الحال لو أعلن الوحى حقائق الأمور بحروف ناطقة بها، وهى مما لا يقبله من هم خارج المسيحية!؟

وفضلا عن ذلك فان لفظة «ثالوث» نفسها لم تكن لتأخذ مكانتها إلا بعد تجميع العهد الجديد وانتشاره، لانه لم يكن فى يد أحد العبارات الكافية الخاصة بهذه العقيدة للتعبير عنها على الوجه المطلوب ...

ومن ثم فان القول بأن كلمة ثالوث قد بدأ ورودها فى كتابات ثاوفيلس الانطاكى ثم ترتليان قبيل نهاية القرن الثانى الميلادى ليس فيه أدنى غرابة، لأنه انما ظهرت كلمة ثالوث فى ذلك الوقت حين بدأت البدع تتحرك وتأخذ مكانها على مسرح التاريخ، ومن المعلوم أن لافراغ من أمر العقيدة الى آخر الزمان!!

* * *

الخروج عن المعنى الحقيقى للفظة اقنوم :

أ - الفهم الخاطئ للفظة اقنوم -

مع أن مداركنا قاصرة عن إدراك حقيقة الثالوث، ولكنها ملزمة من الجهة الأخرى بقبول ما أعلنه تعالى عن ذاته ...

ومع أننا قد وجدنا أن لفظة "الاقنوم" فى غاية الملاءمة فى وصف الله بحسب ماأعلنه عن ذاته اذ إن المراد به مايكون على غاية الكمال متميزاً بكيانه الخاص، وذلك هو أعظم الشرف لاقانيمه تعالى - فهذا اللفظ وكذلك لفظ الثالوث وإن لم يرد ذكرهما فى الكتاب بعهديه إلا أن معناهما كثيراً ما ورد مقولا عليهما ...

فلو كان من الواجب إلا يقال عن الله لفظ غير ما أورده الكتاب لما ساغ لأحد بتاتاً أن يتكلم عنه تعالى إلا فى تلك اللغة التى أنزلها الوحى .. وفضلا عن ذلك فان ضرورة مناظرة أهل البدع قد قضت بايجاد ألفاظ معينة للدلالة على الايمان القويم، وليس هذا الإحداث مما يجب اجتنابه، **لأن العبرة فيه عدم مخالفته لنصوص الوحى ومعانيها. ومن هنا فاننا لا يمكن استبدال لفظتى الاقانيم والثالوث بالفاظ أخرى تحل محلها - لإخفاء حقيقة وحدة الثالوث لمن يريدون ذلك، لكونهما - عند المسيحيين - اصطلاحاً لاهوتياً يتفق تماما مع ما أعلنه الكتاب المقدس عن وحدانية الله الجامعة!!**

ومن ثم فقد أقر الاعتقاد المسيحى منذ البداية بأن "الاقنوم" هو "عين خاص" - أى "وجود متميز" فى ذات اللاهوت الواحد ... وهذا هو نفس ماتعنيه كلمة «أقنوم» فى اصلها السريانى وكلمة ايبوستنرى اليونانية المعادلة لها وكل منهما تعنى «الخاصية والتميز» دون تفرد أو استقلال - **ومن ثم فان اصح وصف للاقنوم هو أنه الذات المتميزة غير المنفصلة، ولما كانت كلمة شخص لاتفى بهذا المعنى ولذلك آثر المسيحيون استعمال لفظة الاقنوم عليها.**

* *

ولقد كان من اخطاء هذا الكاتب الحديث قوله : "ان الله يتكون -" وهو ينسب هذا القول لنا ليوهم به اننا نقول بان الله كينونات أو كائنات فى حين اننا نقول بانه كائن واحد وانه هكذا بطبيعة الجوهر، كما أنه يقوم بالخلط بين "التعين" وهو وصف للاقانيم بان كلا منهم "عين خاص" - أى موجود حقيقى فى اللاهوت - وبين "التجزئة"، الأمر الواضح البطلان!!

ولكن مما يؤسف له انه رغم وضوح معنى الاقنوم المتقدم ذكره لدى المسيحيين فإن منكرى الثالوث اذ يتنكرون لتعبيراتنا اللاهوتية التى تستخدم فيها ألفاظاً مثل

الثالوث و الاقانيم - رغم ثبوت صدقها واستنادها الى كلمة الله - فانهم يخترعون الفاظاً أخرى عكسية لتخدم غرضهم فى انكار الثالوث وتؤيد موقفهم الباطل منه، وقد أدى بهم ذلك الى مفهوم خاطىء عن الاقنوم فاعتبروه شخصاً منفصلا قائماً بنفسه، مما قادهم الى تصور الأقانيم فى حالة انفصال كوجود ثلاثة اشخاص مع بعضهم فى مكان واحد، وهم بذلك يشبهون ثلاثة الاقانيم بثلاثة من البشر ويزعمون بانهم اشبه بادراج ثلاثة اسماء معاً - **وهذا مادفع البعض الى تصور الأقانيم كثلاثة اشخاص يجلسون على ثلاثة كراسى ويتشاورون فى ادارة الخليقة، وكأن الله فى نظرهم مجلس شورى، واننا كمسيحيين لانقبل ذلك طبعاً، بل أننا لا نستطيع أن نتصور الله فى وحدانيته جالساً على عرش واحد ولا ان هذا العرش الواحد تتنازعه ثلاثة آلهة حسب تهكمات المنكرين، كذلك لانتصوره فى ثالوثه كثلاثة اشخاص جالسين على ثلاثة عروش، لأن هذا التصور وذاك انما هو تحديد وتجسيم لله ويدخله تحت الحصر - وهذا محال بالنسبة للجوهر الإلهى، أما كيفية الجلوس على العرش فقد تحيرت فيه الافهام وتاهت فى محاولة إدراكه فحول العقول!! وقد قيل فى شأنه ان الكيف غير معقول، الايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة** - وقد ورد عنه ضمن أبيات للغزالى القول :

كيف تدرى من على العرش استوى لاتقل كيف استوى كيف الوصول

أما المسيحية فقد رفضت هذا الموقف السلبى واعلنت الهاً واحداً جالساً بأقانيمه الثلاثة بحكم جوهرها الواحد على العرش وهو عرش الإلوهية وعرش التجلى ايضاً أى ظهور الله فى المسيح للكائنات.

* *

أما عن تشبيههم الاقانيم نفسها بثلاثة اشخاص من البشر، فهو مرفوض أساساً لأن : **"الله واحد بلا نظير ولا شبيه، لاتدركه الحواس ولا يقاس بالناس ولا يشبه الخلق، فلا يشبهه شىء ولا هو شبيه بشىء، وكل ما خطر بالبال عنه فانه ليس كذلك"**، ولذلك فقد أمسكت المسيحية عن

الخوض فى تفسير العرش وهو الامر الذى اصطدم جميع المفكرين فى الاديان بمشكلته واكتفوا بان سماء السموات هى عرش الله الذى وسع كرسيه السموات والارض. فكيف بهؤلاء المنكرين يصل بهم الحال الى تشبيه أقانيم الله بثلاثة اشخاص من البشر - أيا يكونون سواء كان الوحى قد ذكرهم أو حتى اذا اختاروهم من الناس العاديين - وذلك فى سبيل التخلص من ثالوثه المبارك، وما كان ذلك ليجديهم نفعاً اذ ان القياس هنا انما هو فى حكم المستحيل!!

إذاً فقد انتهى الزعم باستقلالية الاقانيم وانفصالها واعتبارها مجرد أشخاص، وكذلك انتفى الادعاء بعدم وجودها وجوداً حقيقياً متميزاً ... ومن ثم فان الاقانيم الثلاثة لاتنفصل، لأنه لو فصلناها تبقى ثلاثة آلهة مستقلة - وهذا مالاتقول به المسيحية على الإطلاق!!

· أما لماذا وصل المنكرون الى هذا الحد من الابتداع فمرجعه تصورهم بأن معنى الاقنوم هو شخص، مع أن هذه اللفظة غير كافية فى هذا المجال لانها وان كانت تعنى مجموع الصفات التى تميز الفرد عن غيره، إلا انها مع ذلك تعنى ذاتاً منفصلة، بينما تدل لفظة اقنوم على الذات المتميزة غير المنفصلة كما سلف البيان - أى «الشخص المتميز عن آخر ولكنه متحد به»، فهو إذن واحد ولكن بلا توحد، ولذلك أخذت هذه الكلمة - وهى سريانية - مكانها، بدلا من كلمة شخص العربية نظراً لما تحمله من معنى حقيقى مناسب للتمييز بين اقانيم اللاهوت اذ يدل معناها على طبيعة عامة مع حالة معينة من الوجود يكون فيها الأقنوم قائماً بنفسه متميزاً عن سواه - أى انه الشخص الذى يوجد بوجه مخصوص فى جنس الجوهر، فهو قائم بنفسه باعتبار وجوده فى نفسه لافى غيره وهو متميز بذلك!!

وهذا يسقط قولهم ان : الفكرة عن الثالوث أنه مؤلف من ثلاثة آلهة منفصلة ولغة الانفصال مستحبة لديهم جداً ويستخدمون لأجلها لفظة «شخص» تعمداً، وذلك لانهم يعتبرون التمييز - وهو بين الاقانيم بلا انفصال - لكنه عندهم

يتضمن معنى الاختلاف والانفصال معتبرين اياهم كمجرد اشخاص بشريين منفصلين عن بعض، فيصفون يسوع - مثلا - بان له شخصية فردية متميزة ومنفصلة عن شخص الله، واما بالنسبة للروح القدس فانهم ينفون عنه حتى الشخصية المشار اليها!!

وهم وان كانوا لم يستطيعوا انكار ورود ذكر الآب والابن والروح القدس فى الكتاب المقدس - إلا انهم جعلوهم اشبه بثلاثة اشخاص من البشر ممن يحتاجون الى موجد يوجدهم - هذا وقد حسبوا أن التمييز يقوم بينهم باختلاف اسمائهم فحسب، وبذلك وصلوا الى مشابهة الاقانيم الإلهية بالبشر المخلوقين لكى ينفوا عنها وحدتها الجوهرية - وهذا هو محور هرطقتهم!! وقد بلغ ضلالهم اقصى مداه فى اعتبارهم التجسد نفسه انفصالا لجزء من الذات الإلهية - منكرين بذلك ماورد فى كلمة الله القول : **"فانه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً"** (كو٢:٩)، وهم فيما ذهبوا اليه دون سند من كتاب الله ينفون الوحدة عن الذات الإلهية التى تحتم استحالة قابليتها للقسمة ولا للتركيب!! **وهذا ينفى القول : "وجعلوا له من عباده جزءاً" وذلك انما يعتبر مستحيلا بسبب وحدة الجوهر الالهى!!**

وقد سبق لفيلون من فلاسفة اليهود أن قال عن ذلك بأن : "الله واحد وهو بسيط غير مركب، لانه لايمكن أن يضاف اليه شىء لا اسمى منه ولا أقل ولا متساوى معه .. وثابت انه لايوجد اسمى منه ولا مساوى له، فاذا أضيف اليه من هو أقل فان هذا ينفى كماله تعالى» - **ومن ثم فاننا لانعتبر ان اقنومى الابن والروح القدس مخلوقين مضافين لله!! ولكننا نؤمن انهما مع تميزهما فى الاقنومية، إلا انهم واحد فى الجوهر بكل خصائصه وصفاته لأن لكل منهم ذات الجوهر الإلهى الواحد!!** ولذلك فان تعدد الاقانيم لايقدح فى وحدة الذات، ولا هو شرك فيه خروج عن التوحيد، لأن ما بينهما انما هو اتحاد بلا اختلاط، وتمييز بلا انفصال، وتعدد بلا استقلال!!

ب – تفنيد الادعاء بأن الاقانيم مجرد ظهورات أو تجليات :

كان من وراء البحث عن معنى الاقنوم أن ظهر قوم يسألون عنه بالقول : هل الاقنوم ذات؟ وهل هذه الذات شخصية (أى موجود حقيقى) أم انه ظهور فى شكل ما وصورة معينة؟ وقد تراءى لهؤلاء المتسائلين بأنه ما دام المسيح قد وصف فى تجسده بالعديد من الألقاب – وهذه الألقاب صفات ذات اعمال وخدمات خاصة، ومع ان الشخص واحد ولكن الوظيفة والعمل ليسا كذلك، ولذلك فانهم على هذا القياس عينه يتصورون ان هذا هو الحال بعينه بالنسبة للأقانيم التى يرون أنها ليست سوى ألقاب أو وظائف لمراكز متميزة فى اللاهوت، **وقولهم هذا يؤدى الى اعتبار "الاقنوم" اسم معنى لا اسم ذات مما ينفى عن الاقانيم وجودها الحقيقى، إذ كيف تكون الاقانيم ألقاباً مجردة أو مراكز قائمة فى الله وفى نفس الوقت تكون أقانيم لها كيانها!؟ اذ ان وجودها الحقيقى ينفى عنها أن تكون مجرد صفات أو اسماء معانى أو ألقاب لمراكز فى الله أو مظاهر لأدوار متعاقبة، فالله قد دعى – على حد قولهم – "بالآب" عدة مرات وكان عصر الناموس عصره، كما هو نفسه دعى "بالابن" عند التجسد، ودعى "الروح القدس" فيما بعد ذلك وكان المفروض ان يقف عند حد التسمية الاخيرة ما دمنا فى عصر الروح القدس الى نهاية الدهر!! أما هم فيقولون ان الله اله واحد قد أعلن نفسه كالآب (الخالق) والابن (المخلص) والروح (المقدس).**

وليس لزعمهم هذا سوى تفسير واحد وهو أن معنى الاقنوم عندهم هو الشخصية التى تمثل دورا فى الدراما الإلهية العظمى، وان لكل دور وقته وينتهى الامر الذى يؤدى الى نتيجة خاطئة هى : خلط الاقانيم فى الجوهر ونفى التمييز فيما بينها فيه، وهو اعتقاد باطل مرجعه بدعة سابليوس الذى أدعى بان الاقانيم مظاهر أو تجليات لله الواحد، رافضاً بذلك الإقرار بوحدة الاقانيم فى الجوهر الإلهى الواحد **وهذا ما اجتهد مؤلف كتاب : "الله واحد أم ثالوث" ان ينسبه باطلا الى المسيحيين، مع ان هذا ليس اعتقادهم بل هى نظرية سابليوس الهرطوقى فى القديم وكل ذلك انما هو لحجب وحدانية**

الثالوث - ولكن البدعة نفسها لم تنته فقد عادت حالياً فى شكل هندسى برسم دائرة مقسمة الى خانات مقدارها ١٦ خانة وضعوا فى كل منها صفة من صفات الله وطبقوها على يسوع ثمانية لكل منهما وهى :-

"الله الخالق - الفادى والمخلص - الراعى - الملك - أنا هو - الأول والآخر - الصخرة - الآتى".

وقصدوا بذلك لا مجرد اثبات الوهية المسيح فى حد ذاتها، بل أنه هو الله بالاطلاق - **وهذه هى بدعة سويدنبرج اعتنقوها واستخرجوها تحت عبارة يسوع وحده، ثم تنكروا لهذه التسمية ليخفوا هذه الوحدانية المشبوهة تحت ستار هذا الانكار!! وبعد ان استبدلوا اسم الثالوث الاقدس الآب والابن والروح القدس باسم يسوع وربطوه بالاعتماد، غير مراعين القرائن ولا تدرج الاعلان، قصدوا بذلك حصر الثالوث فى يسوع المسيح، الأمر الواضح البطلان، فان المعمودية باسم الرب انما هى لتمييزها عن المعموديات السرية فى الديانات القديمة وكذلك عن معمودية الدخلاء الذين كانوا يدخلون اليهودية!!**

أما الوحدة التى هى لله فأمرها يختلف عن وحدة الشخص البشرى التى يعرفها كل أحد لكل أحد ولا ينازع فيها عاقل، أما وحدة الاقانيم فى الجوهر فهى الاقرار بوجود حقيقى لها متميز بدون أدنى انفصال أو استقلال!!

أما المنكرون فقد وصل بهم الحال الى اعتبار الاقانيم مجرد ظهورات خلطوا فيها بين استعلانات الله فى العهد القديم وظهوره فى الجسد فى ملء الزمان ثم ظهوره بعد القيامة - الأمر الذى انتهى بهم الى إنكار التثليث والاعتقاد بالوحدانية المجردة والخروج بذلك عن دائرة الايمان المسيحى القويم وقد وصل بهم الحال الى القول بان الروح القدس ليس هو الاقنوم فى اللاهوت بل هو اظهار روح الله (الخالق) وروح المسيح المقام، لذلك لاتوجد ثلاثة آلهة بل ثلاثة اظهارات لإله واحد ... (نبذة التعاليم الرسولية)

أما كونهم لايقبلون الايمان بالثالوث، فليس بمبرر لما ذهبوا اليه من بدع تخالف ما اتفق عليه الايمان المسيحى - فمن جهة قد عدوا من الظهورات أكثر من خمسة وعشرين ظهوراً، الأمر الذى نتبين منه أن هذه الظهورات ليست هى الأقانيم بعينها، وإلا كان عدد هذه الاظهارات التى يعتقدون بها بعدد أقانيمهم ..

فضلا عن ذلك فان قولهم هذا يفيد بأن الاقانيم ليست أزلية بل حادثة ومتغيرة، وحاشا أن يكون ما يقوم فى الله مظهراً حادثاً متغيراً بحسب مقتضيات الأحوال، فان هذا يدخل الحدوث والتغير فيه تعالى ...!!

وقد انتهت سلسلة أخطائهم بالتركيز على عصر ظهور الله فى مظهر الابن فانهم يجمعون صفات الألوهية التى وردت عن الله ويطبقونها على يسوع بقصد حصر الإلوهية فيه، وهذا ما ذهبت اليه شيعة سويدنبرج واتباعهم فيما بعد وهم مذهب يسوع وحده، وهم يعتبرونه ذات جوهر الله ويفسرون الأمر بالتعميد باسم الآب والابن والروح القدس بأن هذا الاسم هو الرب يسوع المسيح!! ظناً منهم ان اللاهوت كله قد ظهر فى يسوع المسيح فهو الآب الابدى والابن الوحيد والروح المحيى، وهذا واضح البطلان ولو انه عاد للظهور مختفياً أو ظاهرا عند بعض الفرق الحديثة!!

ولقد اقتفى اثرهم مؤلف كتاب : الله واحد أم ثالوث. ليوهم القارىء الساذج بان المسيحية تقول بهما، وهذا افتراء على حقيقة الايمان المسيحى فى مفهومه الصحيح!! ونجده فى اقتباساته يؤمن ببعض الايات وهى التى يقتبسها ويكفر بالبعض الاخر وهى التى يتجاهلها ويتجنبها، والتى يقتبسها يقوم بتفسيرها على هواه بادخال تغيير فى ألفاظها لتحريف معانيها، ومع ذلك فكأن هذه التى يقتبسها هى وحدها الموجودة فى التوراة والانجيل دون سواها كتلك التى تثبت تثليث الاقانيم!!

وهذه الصورة من الافكار انما تعزى الى عقول قد ضاقت عن فهم

الحق - الحق المجرد، والوصول اليه :

ومن المؤكد هنا انه عسير على المرء أن يقف على رأى يخالف رأيه لكى يتحرى مع هذه المخالفة تصويره كما يجول بخاطر صاحبه - فما بالك اذا كانت المخالفة فى عقيدة تعتنق مما لايمكن فهمها إلا بالنزاهة التامة وعدم التحيز ... والحذر من التزيد فى شأنها ..

فان التزيد إحداث، والاحداث فى الدين لاريب أنه بدعة، وهو مايسميه المسيحيون هرطقة ... وهو ليس من شيمة العلماء ولا تأويل عقيدة الغير بغير حقيقتها، لأن ذلك لايجعل العقل يدرك الأمور كما هى فى ذاتها!!

ج - استخدام طريقة العد الحسابى :

يتقدم منكرو الثالوث فى غيهم الى بدعة الاستناد الى العد الحسابى بالنسبة للثالوث بقولهم : أن ثلاثة الاقانيم لايمكن أن يكونوا واحداً، ظناً منهم أننا نقول بالنسبة لهذا الثالوث انه (١+١+١)، مع أننا لانقول هذا، لاننا لوقلنا ذلك لكان الناتج ثلاثة، وتكون معنى وحدانيته تعالى إنما هى مجرد توحيد الله فى العدد فى حين أن اقانيمه تعالى ليست بالزائد بل بالفى أى (١X١X١) فهى تساوى واحد وذلك لان كل وحدة منها هى نفس الاخرى فى الجوهر وهى فى مجموعها واحد غير متجزئى. ولذلك فان معناها الحقيقى إنما هو : كونه المتوحد بوجوده لا يشاركه فيه شىء قط أى انه سبحانه إله واحد لا ثانى له فى إلوهيته، ولا شريك له لكونه غير متناه - وهذا هو معنى تفرده بالنوع أى انه تعالى متميز بهذه الوحدانية النوعية الفريدة التى تميز وحدانيته عن سواها وتوجب التسليم التام بها .. وهذا هو أهم معانى التوحيد : الاعتراف لله وحده بالألوهية أى أنه الموجود الذى ليست حقيقته حاصلة لغيره، فوحدانيته تعالى تتركز فى تمييزه الكلى عن سائر الكائنات المخلوقة، ومثل هذه الوحدانية تميز اللاهوت وتجعله فريداً ...

وفى ذلك تأكيد الفرق بينه وبين الآلهة المتعددة، ونفى التعدد فى وحدانيته، دون المساس بتلك الوحدانية الفائقة للطبيعة التى لاتعارض فيها، لأنها تتعامل مع الطبيعة الداخلية التى للجوهر الإلهى - **ومن ثم فان قولنا أن الله واحد بهذا المعنى لاينفى القول بوجود ثلاثة أقانيم فيه!!**

ولكن ذلك قد جعل فكرة الله فى المسيحية فريدة لا تشبهها فكرة أخرى فى باقى الديانات، لانه فى الواقع لايوجد شبيه للاعتقاد المسيحى فيها مما استشكل على بعضهم فزعموا أن المسيحية ديانة شرك بالله، ولكن معاذ الله لأنه لو كان فيها آلهة غير الله لفسدت من زمن بعيد وتلاشت، بل أن روح المسيحية فى ادراك فكرة الله هى فى الحقيقة روح متناسقة تشف عن جوهر واحد!!

فلم تقل المسيحية بالتعدد فى ذات الله ولا هى تعتقد الشرك بالله، وها كتابها العظيم ينطق بالحق بوحدانية الله ويشهد عنها بالصدق بانها ديانة التوحيد بأجلى بيانه، فلا محل إذن لهذا الاتهام الباطل الموجه اليها!!

* *

غاية ما فى الامر أن المسيحية قررت بأن التوحيد الصحيح لايقوم أساسه على ناحية العدد، فهو ليس مجرد إثبات أن الله واحد فى الكم، بل أنه تعالى الموجود الأوحد الذى ليس كمثله شىء وهو القائل : أنا الله وليس مثلى (اش ٤٦: ٩)

ووحدانيته هذه فائقة بالطبع تسمو فوق الإدراك فتتعالى عن العد وتسمو فوق حد الحصر. إذ هى لاتخضع لقانون الكم والكيف كما يزعم شهود يهوه قائلين : كيف يكون الثلاثة واحد والواحد ثلاثة - متصورين بذلك وحدانية الله كشبه وحدة مادية مما لايمكن القول عن الواحد فيها أنه ثلاثة!؟

واعتقاد المسيحيين هنا بحسب ما ادركته المسيحية من كتابها هو أن هذه الاقانيم هى أصول ثابتة فى الذات الإلهية المتوحدة فى الجوهر الواحد دون أن تمس وحدته، وذلك لأن كل أقنوم منها هو بالضرورة وبحالة سرمدية فى كيان واحد مع كلا الأقنومين الآخرين، أى أن للثلاثة أقانيم وحدة فى الجوهر الإلهى الذى هو جوهر الذات الإلهية الواحدة!!

ولذلك فاننا نؤمن بوحدة الجوهر - أى الذات - وكذلك بوحدة الصفات أيضاً وعدم التعدد فيها بتعدد الأقانيم .. وإذن فان وحدانية الله ليست عددية وإنما هى فى كون الاقانيم الثلاثة واحدة فى كل الصفات كما فى الذات!!

ومن ثم فاننا نقول ان الله واحد ولا نعترف بتعدد الذوات فى جوهره الواحد، وثبت ملاءمة اطلاق اسم الثالوث على الله باعتبار معناه الخاص الذى يدل على عدد أقانيمه تعالى دون تعدد جوهره!! وأما افتراض وجود ثلاثة آلهة - على اساس استخدام طريقة العد الحسابى، فانه يعنى أن تعريف الإله لاينطبق على أحدهم!! ولذلك فان قولنا أن الله واحد بهذا المعنى لاينفى وجود الاقانيم فيه فهو واحد فى وجوب الوجود وفى سائر الكمالات اللائقة به، ولكن وحدانيته تعالى هى الوحدة الداخلية التى للجوهر والذات، فهو واحد ووجوده عين وحدته، والوجود والوحدة فيه عين ذاته وذلك لحتمية وحدانية ذاته القدسية غير المدركة!!

ويقول انثيمس برهمة الله فى كتابه الهداية المطبوع سنة ١٧٩٢ : "بأنه ليس فى اللاهوت كل وجزء لانه لاينفصل ولا يتجزأ، بل هو موجود بكماله فى كل أقنوم بدون تجزئة"!!

* * *

تفسير الثالوث بمنطق المحبة الالهية

«شاكرين الآب ... الذى نقلنا الى ملكوت ابن محبته» (كو ١٢:١). «اطلب اليكم بمحبة الروح ان تجاهدوا» (رو ١٥:٣٠). «روح المحبة» (٢تى ١:٧)

رأى الكاثوليك فى ربط الثالوث بالمحبة الالهية :

رأينا فيما سبق كيف ان الالتزام باحكام العقل بالاطلاق يستلزم واحداً من أمرين إما ان الثلاثة تساوى الواحد وهو ضد الفهم العام، واما وجود آلهة متعددة وهو ضد نور الطبيعة والوحى نفسه لانهما يشهدان بوجود إله واحد - ومن ثم فقد وجد المنكرون تناقضاً فى هذه العقيدة لانها تجعل الثلاثة واحداً والواحد ثلاثة فتخالف الضرورة البديهية ان الكل أعظم من جزئه فاعتبروا هذا الاعتقاد محالا - لكن التعارض الظاهرى هنا لايصح الأخذ به، لانه وإن كان الانسان قد استطاع أن يفهم بعض نواميس الطبيعه لكن هيهات له أن يحكم فى خالقه محاولا تفهمه، والتعارض هنا لايعنى أنه ضد العقل بل أنه فوقه ويسمو عليه !!

أما الكاثوليك فيبدو أن لهم رأيا آخر فى هذا المضمار فيه ربطوا الثالوث الاقدس بالعقل والارداة الإلهيين، فقالو عن ولادة الابن :

"... إن الابن هو صورة الله الآب الكامل التى صورها على ذاته بمشاهدته نفسه فهو أزلى كما أن مشاهدة الآب نفسه هى أزلية ... وأما الولادة الأزلية للابن فهى معرفة الله لذاته ومشاهدته لها بفعل العقل الالهى. (حواشى العهد الجديد ص ٤٩٧) وهذا اعتقاد غريب لأن رؤية

العقل يتقدمها انفعال اذ ان العقل يتأثر عند قبوله صور ورسوم الاشياء السابق وجودها، ولكن الله ليس فيه انفعال، أيضاً الشيء الذى يراه العقل ينبغى أن يكون أقدم وجوداً من الرؤية - وأما الآب والابن فليس فيهما أقدم، كذلك فى الولادة ينظر ثلاثة اشياء : والد وولادة ومولود، فان الاب برؤيته لذاته يلد فيكون هو بذاته الوالد والولادة فأين يكون الابن؟ فان قيل ان الرؤية هى المولود فأين تكون الولادة؟ (رد انثيموس فى كتاب الهداية) ثم عادوا فربطوه بالمحبة الالهية، يعبر عن ذلك مؤلف كتاب يسوع المسيح بقوله : بأن الثالوث قد وجد تنزيهاً لله عن محبة الذات حتى تتجه محبة الاقنوم الإلهى نحو الاقنوم الآخر، لأن المحبة تفترض شخصين على الاقل يتحابان وتفترض وحدة تامة بينهما، تدفع المحب الى أن يهب ذاته شخصاً آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته، ويكون بالتالى صورة ناطقة له - ولهذا ولد الله الابن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه ووهبه ذاته، وان ثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الآب والابن إنما هى الروح القدس!! ويأتى فى إثره مؤلف كتاب : "منطق الثالوث الأقدس" ليقول : ان الله يمتاز بصفة المحبة وبدرجة مطلقة ... وهو يرى أن الاعتراف بان الله محبة لاينفصل عن الاعتراف بان الله ثالوث، وذلك لأن المحبة تقتضى ثنائية ... وهى لذلك تبعد الله عن محبة نفسه، لأن حب الذات عكس المحبة ونقيضها، ولأن المحبة تحتم وجود علاقة عطاء وتبادل ومشاركة - وهذه لايمكن أن يفيضها الله على البشر المحدودين فى الوجود والزمن - ومن هنا هو يستطرد الى وصف ولادة الابن بقوله : بأن الله قد عبر منذ الازل عن هذه المحبة بان فرغ ذاته وكيانه فيكون الابن - الشخص المتمايز عن الآب - هذا ما نعنيه بخروج الله من ذاته وبدافع من الروح القدس، فقدرة الله الآب هى أن يحب بدون حدود ... وفى أن يكون منذ الأزل أباً لأبن يعطيه كل ما له، وأن يلد هذا الابن من ذاته ولادة روحية واحدة وحيدة أزلية لاتتكرر، بها أعطى الآب الابن كل شيء بالكامل لدرجة انه صورة مطابقة للأصل ... هذه هى حركة الحب فى الله حركة غير محدودة كاملة بها أفرغ الآب ذاته كلية فى الابن، ولم يبق لديه شيء آخر ليعطيه بعد ذلك ... على أن هذه الولادة هى بلا بدء فلم يكن هناك

وقت لم يكن الآب قد ولد الابن أو أن الابن المولود من الآب قبل كل الدهور كان بدون الآب!!

وعاد يصف الولادة كعملية تحدث الآن - مع أنها تمت فى الماضى - وذلك لأنه ليس عند الله ماض .. ومن ثم فان الولادة تحدث الان كما كان من قبل - ولذلك لا يجوز أن نقول ان الآب ولد الابن لان ولد تشير الى الماضى!!

ومع أن "الآب" هو المصدر وله فضل على الابن من هذا الوجه إلا أن الآب ايضاً لايستطيع أن يحقق ذاته إلا بفضل الابن، اذ ان وجود الابن ضرورى لتتوافر صفة الأبوة فى الآب لانه بدون ولادته هل يمكن للآب أن يعيش المحبة المطلقة ..الخ!؟

وإذاً فوجود الابن ضرورى لتتوافر صفة المحبة فى الآب، ومن هنا وجدنا أن هناك مساواة كاملة بين الآب والابن، لانهما لايتواجدان إلا معاً!! أما قولهم ان معرفة الآب لنفسه افاضت تلك الصورة - الابن - كأنه هى وكأنها هو .. ومن هنا هو يحب صورته وهى تنجذب اليه والروح القدس الحب المتبادل بينهما فهو مما لايجوز ان يكون تفسيراً صحيحاً ونستكمل بحثه فيما يأتى بعد ...

الرد على هذا الرأى بربط الثالوث بطبيعة الجوهر :

وازاء هذه الدوائر الغريبة التى ترسمها تلك الأقوال للثالوث الاقدس فاننا نبدأ أولا بالقول : "ان الصدور الذى فيه تعالى هو بطبيعة الجوهر - وهو صدور سرمدى صدور الواجب من الواجب ذاتياً وطبيعياً بموجب الاستلزام الوجودى وهو ليس من افعال علم الله وإرادته وقدرته ولا هو أيضاً كنتيجة لفيض محبته .. بحسب رأى الكاثوليك الذى نمحصه هنا - لانه صدور داخلى صدور غير المحدود ولا متناه من غير المحدود ولا

متناه، فهو صدور فيه تعالى ومنه واليه، دون أن يقتضى ذلك فصلا أو تفرقة بين الصادر ومصدره ..."

صدور الابن بالولادة السرمدية ومعناه :

هذا الصدور ليس لسبب احتياجه تعالى كأن يقال بأنه مادامت قدرة الله هى أن يحب بدون حدود ... فانها أيضاً تجعله يلد هذا الابن من ذاته ... لأن هذه هى حركة الحب فى الله وهى حركة غير محدودة وكاملة .. والوصول فى هذا المجال الى حد القول أن الآب فرغ ذاته وكيانه فكان الابن وانه بذلك خرج من ذاته : **إذ أن هذه تعبيرات خاطئة بل هى وقوع فى حق الله، لأن التفرغ من الذات واعطاء كيانها للغير إنما هو ضياع للشخصية الأصلية فى حين أن الذات لكل من الآب والابن واحدة والجوهر لكليهما واحد دون حاجة الى تفريغ وتحويل بحسب التصور الباطل سالف الذكر!! كما أنه لايجوز تصور الاشتقاق فى هذه الولادة الفريدة النوع** (بحسب الظن بالتبعيض أى أخذ شىء من شىء) ... ومن ثم فليس هناك تقدم للوالد ذاتاً ووجوداً على المولود - مع أن حقيقة ولادته ليست هى حدث كان فى الماضى أو الحاضر - على حد قولهم - بل أنه : مولود من الآب بغير انقطاع أو انفصال ميلاداً سرمدياً بطبيعة الجوهر، فهو دائماً معه ثابت فيه، وحتى بعد تجسده لم ينفصل عن أبيه ولا انقطع، ولم تفرغ ولادته قط بل هو دائماً مولود منه أبداً، لأننا اذا قلنا انه ولد وفرغ من ولادته فصلناه عنه، بل نقول انه والده أبداً وهو لم يزل ولا يزال أبداً مولود منه!!

وهذا لايجعل الباعث على ولادة الابن المحبة الالهية لأن هذه الولادة تلقائية بطبيعة الجوهر وهى استلزام وجودى حسب طبيعة الله نفسها - وفضلا عن ذلك فان المحبة نفسها لاتزيد عن كونها صفة موجودة فى طبيعة الله وهى من صفاته العديدة التى تعتبر شيئاً آخر غير الاقانيم - كما انها ليست جوهر الذات الإلهية - ولو كانت هذه الصفة أقنوماً، فماذا كان يمنع من أن تكون كل صفات الله أقانيم وهذا محال، وهذا ما ارتآه مؤلف كتاب الله واحد أم ثالوث متسائلا : «لماذا اقتصرت الأقانيم على ثلاثة ولماذا لايكون

فيه تعالى اقنوم رابع وخامس وسادس . ! ؟ ، وهو يصل الى القول : «لماذا لايكون فى الله من الاقانيم بعدد صفاته التى لاتحصى ! ؟ »

وأما ردنا على ذلك فهو : «ان السؤال عن وجود ثلاثة أقانيم فقط فى الله سؤال لايتفق مع العقل، لاننا لانعرف أسباب الأشياء جميعاً وخاصة ما كان منها فوق الطبيعة - فكيف نتطاول الى البحث فى كنه ذات الله الذى لايدركه سواه، وانما عرفنا انه ثلاثة أقانيم على اساس وجود صدورى «الولادة» و «الانبثاق» فيه فقط، وقد عرضنا للصدور الأول منها ونتوجه الآن الى الصدور الثانى الأنبثاق» ! !.

* *

قضية الانبثاق تحت الفحص الشامل :

أما عن الروح القدس فيصفه الكاثوليك بانه السهم ذو الاتجاهين أى الحركة المزدوجة بين الآب والابن أى الحركة المتبادلة بينهما ... حركة الحياة الانطلاقية - حركة الانبثاق الذى يقولون عنه أنه الدفقة أو النزعة لتحقيق العطاء والمحبة - فالروح القدس ينبثق (بحسب وجهة نظرهم) بقدر ما تتحقق المحبة بين الآب والابن بالعطاء المتبادل بينهما ، كما أن حركة الانبثاق هذه قد تمت عن طريق الارادة - ولذلك فان الولادة شرط الانبثاق كما أن الانبثاق شرط الولادة .. ومن ثم لايمكن أن نتصور وجود الآب والابن بدون الروح القدس : لذا يتواجد الثلاثة معا كشرط تواجدهم كاله واحد ، وهم معاً كشرط لتحقيق الالوهية الواحدة ، ومن هنا نجدهم يقولون ان الثالوث قمة الوحدانية ، لأن الذات الإلهية لاتقبل أى تجزئة ولا تفرقة ولا ابتعاداً ولا انفصالا ولا تعدداً ! !

ولذلك يصف الكاثوليك الانبثاق بانه "من الاب والابن" ، وبحسب تعبير الروم الارثوذكس : "المنبثق من الاب خلال الابن" ، وقد أضيفت عبارة «والابن» فى القرن الرابع عشر ، وهم يرون انها سليمة لأن انبثاق الروح تم عن طريق ولادة الابن ، وهذا ماجعلهم يقررون بان الانبثاق هو من الآب والابن ، ظناً منهم بأن هذا هو المنطق الذى يثبتون به «الثالوث» **فى حين أن الولادة هى إبراز**

طبيعى فى اللاهوت أى أنه بحسب طبيعة الجوهر ، وأما الانبثاق فهو انبعاث طبيعى كذلك بطبيعة نفس الجوهر ، وهما سران إلهيان غير مدركين إذ ليس للعقل هنا الحكم لأنه أضعف من أن يتصور صانعه وباريه :

والولادة ليست عملية بفعل القدرة وكذلك الانبثاق ليس هو حدث بفعل الإرادة ، فلا تدخل للإرادة والقصد فيهما ، ومن ثم فليس هما عملا مستمرا فى الجوهر الإلهى بنشاط قدرة الآب ومشيئته ، بل هما وروردان مصدرهما الكيان الطبيعى للجوهر ، أى أن جوهر كيانه تعالى فيه هذان الصدوران تلقائياً بحسب طبيعة الوجود الإلهى - فهما ليسا من فعل قدرة الله وارادته ، لأنهما أى قدرة الله وارادته ليسا علة لوجود وكيان الأقانيم .. فالإرادة فى الاقانيم ليست خاصة أقنومية لكنها خاصة جوهرية ، فما تختلف ارادة الآب عن ارادة الابن عن ارادة الروح القدس **كما لم يختلف جوهرهم .. أما وجود الاقانيم الذى هو بحسب الجوهر فانه استلزام للوجود الإلهى وليس باختيار الارادة - وجود بالطبيعة وليس بالفعل الذى يتوقف على المشيئة وينفى عنه وصفه "الازلى"** - ولهذا فاننا لانقول الابن ولد والروح انبثق بل نقول الابن مولود و الروح منبثق ، لأن العبارة الأولى تعنى الحدوث لكن الثانية تفيد الأزلية ..

. .

ومن ثم فان الولادة والانبثاق ليسا هما حدثين ، بل هما صدوران طبيعيان سرمديان استمراريان لامتناهيان فى اللاهوت بلا مكان أو زمان أو اوان وليس فيهما قبلية ولا بعدية ، فليس للابن أو الروح جوهر آخر مخلوق بل جوهرهما هو نفسه جوهر الآب - الجوهر الإلهى الفريد الذى ليس منه ولا فيه شىء مخلوق ولا يتصل بسرمديته شىء حادث - فلا يمكن أن يكونا مخلوقين لكونهما من ذات الله وليسا هما بالمشيئة !!

وهذان الصدوران متميزان اذ انه مقول عن الابن تحت لفظة "مولود" بينما ورد عن الروح القدس تحت لفظة "منبثق" : ومن ثم فقد تميز صدور الروح عن صدور الابن بالانبثاق - وهو صدور متميز يدل على دوام الانبعاث ، وهذا

هو معناه فى الأصل العبرى - وهو يختلف عن الولادة اذ ان به يتميز اقنوم الروح عن اقنوم الابن ! !

ولولا ذلك لكانت الولادة والانبثاق يجوز اطلاقهما على أى من الاقنومين، ولذلك فاننا نتمسك بتمييز هذين الصدورين ولا نخلطهما لئلا نجعل الوالد مولود والمولود والدا، والباثق مبثوقاً والمبثوق باثقاً - واذا لا مكان للتساؤل لماذا دعى الواحد الابن والآخر الروح !؟ وبالتالى يكون الآب آبا والابن ابناً والروح القدس روحاً قدساً دون فحص ! !

ولذلك لايمكن أن يكون الآب ابنا، كذلك لايمكن أن يكون الابن آباً، أما الروح القدس فلم يطلق عليه فى الكتاب المقدس اسم الآب ولا اسم الابن لكنه دعى روح الآب وروح الابن أيضاً إذ هو حياتهما حالا فيهما بغير افتراق، وهو مع الآب والابن بغير انفصال وبوجوده فيهما علمنا انهما معا إله واحد وجوهر واحد لوحدة الروح الذى هو الحياة ! !

وكل اقنوم من الثلاثة يدعى باسمه بحصر اللفظ، وهكذا يكون الثالوث الأقدس غير قابل للتغيير، فليس صواباً أن يقال بان الابن هو الآب أو ان الروح القدس هو الابن، كأن الاسم يتغير، لأن ذلك ضلال يتنافى مع وحدة لاهوت الثالوث ! !

* *

ولكن كما سبق أن رأينا كيف جعل الكاثوليك ولادة الابن صادرة من فيض المحبة الالهية فانهم ظنوا ان صدور الروح كذلك هو بفعل الارادة أو المحبة فقالوا : «ان من الحب المتبادل بين الآب والابن ينبثق الروح القدس ...» بل أن هناك من وصفه باليوبيل الالهى وتبادل التحية بين الآب والابن .. وهذا الاعتقاد يجعل الانبثاق فعلا تابعاً لوجود المحبة : فالمحبة أولا ثم الانبثاق ثانياً، وهذا لايجعل الانبثاق أزليا - وقد سبق القول بان المحبة هى صفة من صفات الله ولكنها ليست اقنوما ولا هى باقنوم الروح القدس بحسب زعمهم القائل : بان الروح

نفسه هو المحبة الإلهية - وهذا خلط بين الصفات الذاتية الثبوتية - وهى الابوة والبنوة والانبثاق - وغيرها من الصفات الأخرى!!

ولكن هذه الاقوال لاتصور رأى العقيدة المسيحية، وإنما هى تمثل وجهة نظر جانبية للكاثوليك، وليس من المحتم أن تكون لسان حال العقيدة المسيحية ولا أن تكون صحيحة ... إذ من المؤكد بان الصدورات الالهية السرمدية لايمكن أن تكون نتيجة المحبة أو ثمرة لها وإلا كانت تابعة للمحبة - وهذا يتنافى مع أزليتها ويجعل لها سبباً يعللها، فى حين أن هذه الصدورات الفائقة ليست كذلك، وانما هى فى اللاهوت تلقانياً وسرمديا بطبيعة الجوهر وهى لذلك خارج نطاق العلة والمعلول - ولذلك فان القول بوجود الثالوث كضرورة لتبادل المحبة بين الاقانيم فى غير محله ولا يستند الى نصوص كتابية، **فهو لذلك دخيل لايمثل العقيدة المسيحية الأصلية التى بدأت بالارثوذكسية القديمة ولا تزال موضوع التمسك لدى كل من يحبون حق الله - وموقف الارثوذكس هنا هو الأقرب الى الصواب إذ دعم الوحدانية دون مساس بالاقانيم بخلاف الكاثوليك الذين اضافوا الى الانبثاق لفظة "والابن" مع ما فى ذلك من هدم لعقيدة تثليث الاقانيم لانه يمنع التمييز الاقنومى منها مخالفين بذلك قول اثناسيوس من اننا : لا نخلط الاقانيم بل وماقاله انسلموس : ان الروح القدس يتميز عن الابن حالة كونه غير صادر عنه وكذلك قول ذهبى الفم : بأن كلام السيد نفسه عن انبثاق الروح القدس من الآب حصر الانبثاق فى الآب!! وذلك تحقيقاً لوحدة مصدر الصدورات التى هى خواص التمييز بين الاقانيم!!**

وأما استنادهم فى انبثاق الروح من الابن الى قول السيد عنه : «ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم» فهو زعم باطل لأنه ينصب على التمجيد والأخذ والإخبار وأما عن ارسال الآب والابن للروح القدس، فان الآب يرسله بالابن لأنه مستقر فى الابن ومعلن فيه ومستعلن به، وعلى هذا الاساس استطاع المسيح أن يرسله من عند الآب - ولكن هذا الارسال هو غير الانبثاق الذى هو أزلى - وليس فى المستقبل كالارسال، **ولذلك لم يقل عنه : "الذى سينبثق من الآب" مثلما قال**

سأرسله حيث أن المراد بالانبثاق ليس الارسال - فهذا القول إذن لايمكن أن ينصرف الى غير المعنى الذى فهمته الكنيسة الاولى منذ فجر المسيحية الى أن بدأت اضافة والابن فى الانبثاق!! وذلك لان الانبثاق يتضمن معنى الاتصال والتمييز فبحسب التمييز الاقنومى يخرج الروح من الآب خروجاً وجودياً، وأما بحسب الاتصال فانه غير مفارق للآب والابن - فيكون انبثاقه من الآب، وأما وروده فمن الابن - فالاعتراف بانبثاق الروح القدس من الآب هو من اسس الايمان القويم، لانه قائم باقنوم مختص به صادر من الآب مستقر فى الابن وغير منفصل من الآب الذى هو فيه ولا عن الابن الذى اليه انبثاقه!!

وبذلك لايكون الروح القدس - لانبثاقه من الآب وحده - غريبا فى طبيعته عن الابن لانه لاينفصل عنه ولا عن الآب اذ الثالوث غير متجزىء - وعلاقة الروح القدس بالابن تماثل تماما علاقة الابن بالآب، وكل ما للآب هو فى الابن وهو أيضاً فى الروح القدس بالابن - والذين يعترفون بالمكتوب يعرفون الابن بالآب ولا يفصلون الروح القدس عن الابن وبهذا يدركون ان الثالوث غير قابل للتجزئة وانه طبيعة واحدة!!

وقد ورد فى كتاب العنصرة أو يوم الخمسين صفحة ١٦ أن : الانبثاق وان كان لايمكن ان يكون من الآب والابن بل هو من الآب فقط، ولكن غايته تنصب فى الابن أى أنه منبثق من الآب فى الابن - وإلا فلا معنى لكلمة الانبثاق - **لأن الانبثاق لزم أن يكون فى آخر أو الى آخر، فمن يكون هذا الآخر!؟** ولا يمكن أن يكون العالم أو الانسان لان هذا معناه إما ان يكون للعالم أو للانسان وجود ازلى كأزلية الانبثاق وإما أن الانبثاق نفسه كمتعلق بالعالم أو الانسان غير الازليين هو ايضاً غير أزلى، وكلا الوصفين خطأ.

* *

أما ماوصل اليه مؤلف كتاب : "منطق الثالوث الاقدس" الكاثوليكى

من ان الروح القدس على هيئة طاقة هو عنصر الترابط والوحدة فى الكون، وهذه تمثل علاقة الحب بين رجل وامرأة اذ يصيران بها جسداً واحداً، وان هذه اقرب صورة واعمقها واجملها للكيان الالهى، ووصوله الى عبارة : ان هذا الطفل منبثق من الآب والأم كتجسد لحبهما، وتأسيساً على ذلك يعلن أن الله محبة - الله ثالوث - الله جماعة - الله عائلة ... فهذا استطراد متطرف وإن كان يقول عنه انه هو المنطق البحت الذى به تقدر عقولنا على تقبل سر الثالوث ولكن هذا التصوير عن الثالوث فى الواقع بعيد عن الصواب مبنى على سوء إدراك لجلال الثالوث الاقدس الذى ماكان يجب ان يتم تشبيهه على هذا النحو الامر الذى دفع مؤلف كتاب : الله واحد أم ثالوث الى التهكم عليه بالقول : بان الثالوث انما هو أسرة أو عائلة تتكون من ثلاثة اعضاء يرتبطون معاً بعلاقات وأواصر متينة وحسية، وهو يرى امكانية امتداد ثمراتها فيتزايد عدد أفرادها ويكون بينهم بنين وبنات هم أفراد الجنس الإلهى !!

ومما لاشك فيه أن هذا الوصف يجعل الله محتاجاً الى شخص آخر، أو ينزل به الى مستوى مخلوقاته : أما وصف الله بالعلاقات العاطفية الحسة، فوإن كان يحدثنا أحياناً من هذا القبيل بالطريقة التى نفهمها وذلك على سبيل التشبيه، وهذا أمر ممكن، **ولكنه فى نفس الوقت المنزه عن مثل هذه الاوصاف إذ هو المتعالى بلا مثيل!!**

كما أنه ليس فى إفساح المحبة الإلهية للبشر مجالا لكى يكونوا بنين وبنات لله أو بحسب تعبير الكتاب أهل بيت الله. إدماج لهم فى اللاهوت أو اشتراك فى جوهره من قبل الذين صارت لهم مثل هذه النسبة لله، **لأن مثل هذا القول ليس محالا فحسب بل أنه تجديف إذ مع اشتراك المسيحيين الحقيقيين فى الطبيعة الإلهية - أى من الناحية الادبية فى صفاتها ومثالياتها فقط** - لكنه مهما سما أى منهم - فانهم يبقون كما هم، أى أننا جميعاً بشر نقف عند حدودنا دون أن نتجاوزها الى مثل ما ذهب اليه الكاتب والناقد السالف ذكرهما بوصفهما لمن صارت فيهم هذه الصفة صفة الاشتراك فى الطبيعة الإلهية - بانهم

فى حين ان البارى تعالى جوهر واحد موصوف بالكمال وله خواص ذاتية تختص به وحده - جل جلاله - هى اقانيمه يشيرون بالجوهر "العقل المجرد" الى الآب، وأما "العقل العاقل" فالى الابن. "والعقل المعقول" من ذاته الى الروح القدس .. وهذا الوصف ان الله عقل وعاقل ومعقول لايتصور العقل البشرى كيفيته، اذ كيف يكون هكذا ومع ذلك فهو واحد بسيط بلا تركيب!؟ لأن الذات الالهية عاقلة وهى كذلك بعقلها ومعقولة منه أيضاً.. وعلى هذا الاصطلاح يكون العقل عبارة عن ذات الله والآب مرادف له، والعاقل عبارة عن ذاته بمعنى انها عاقلة لذاتها والابن أو الكلمة مرادف له والمعقول عبارة عن ذاته المعقولة منه، وروح الله مرادف له. فاذا صحت هذه المعانى التى قال بها الغزالى - فى كتابه "الرد الجميل" فلا مشقة فى الالفاظ ولا فى اصطلاح المتكلمين ومن حيث ان جوهر العقل هو ذات العاقل وذات المعقول وذلك ان الذى هو عقل هو بعينه الذى هو عاقل ومعقول فهذه هى الذات الواحدة لاتتكثر من حيث هى ذات رغم خواصها الثلاث!!

* * *

الفصل الرابع عشر

شبهات حول الثالوث تحول دون قبوله

«اشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين ... لهلاك أنفسهم» (٢بط ٣: ١٦)

التحول عن الثالوث الحقيقى :

عندما اكتمل الاعلان عن الثالوث فى سماء الوحى، لم يجد المسيحيون الأولون صعوبة فى قبوله والوقوف عند حده دون تجاوز فى التفسير، لأن الحقيقة الإلهية أبعد من أن يصل اليها الإدراك البشرى أو يحيط بها على الاطلاق!!

ولكنها من وجه آخر اضحت مجالا للبحث والتحليل وخاصة لدى الذين لم يقبلوها على النحو الذى ظهرت به فى الكتاب المقدس فأصبحت مع الأسف حيرة للعقول ومضلة للأفهام، ومن هنا ظهرت عقائد أخرى عن الثالوث تعتبر شبهات له، فأدت الى تشويهه ودفعت الذين يصدقونها الى رفضه ..

ولقد كان مثل هذا التحول من عوامل النفور من الثالوث الحقيقى الذى تنادى به المسيحية - وهذا واضح فيما يسمعه غير المسيحيين من أقوال تدعو الى ذلك وأبرزها : «لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد».

والواقع ان هذا القول لا ينطبق على العقيدة المسيحية فى الله، لاننا نحن المسيحيين لانؤمن بان الله ثالث من ثلاثة - لاننا لانعتقد أن هناك ثلاثة آلهة والله واحد منهم ولا نقول ذلك، وإنما نؤمن باله واحد فقط وان كان هناك ثلاثة اقانيم لهذا الاله الواحد!! واذاً فان هذا الثالوث الوارد ذكره

فى القول المشار اليه ليس هو ثالوث المسيحيين، الذين جاءت عنهم فى مواضع اخرى شهادات يظهر فيها امتداحهم والثناء عليهم وتذكرهم بالخير ، وانهم قوم صالحون يؤمنون بالله واليوم الآخر ، كما أنهم يوعدون بالأجر من عند ربهم - فكيف تكون لهم هذه الوعود لو كانوا مشركين ممن يتوعدهم الله بعذاب أليم ! ؟ بل من بين هذه المواضع ما يميز بينهم وبين المشركين وانه لاتجوز مجادلتهم إلا بالتى هى أحسن - بل يصل الحال هنا الى أمر المخاطبين بأن يقولوا : **"آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحداً"**. بل لقد جاء عن المسيحيين - اتباع المسيح - **بان الله "قد جعلهم فوق الذين كفروا الى يوم القيامة"** ، وقد فصل بذلك بينهم وبين الكفار - **واذا لايمكن تطبيق الكفر عليهم بسبب ثالوثهم - الذى هو ليس بالثالوث الذى يكفر به أصحابه - مما نتبين منه بان مرجع الافتراء على الثالوث المسيحى واتهام المسيحيين بالكفر بسببه ان ذلك من قبيل الظن بالشبهه فى ذلك ليس إلا دون ادنى تحر للحقيقة مما أدى الى الخلط بين الثالوث الحقيقى والآخر الباطل وهنا يأخذنا العجب كيف يتهم المسيحيين بالشرك ويعترف لهم بالتوحيد فى آن واحد ! ؟ اليس ذلك من الغرابة بمكان ! ؟**

أما الثالوث الحقيقى فهو الذى تقرر بشأنه وحدة الجوهر الالهى مع وجود التمييز بين الاقانيم فيه وهذا ما اوردته تسبحة للثالوث اذ ورد بها القول :

جوهر واحد طبع واحد ذات واحد باللاهوت فريد
الثلاثة واحد فى الجوهر من غير تقسيم ولا تفريد

والاقانيم هنا هى : «الذات والنطق والحياة» - كما سبق البيان أما الذات فهو الآب والد النطق وباعث الحياة ، والنطق المولود منه هو الابن والحياة المنبعثة منه كذلك يقال لها الروح القدس، وهذا الذى نقوله نؤمن به ايماناً صحيحاً لانه لما كان لابد للذات الالهية من جوهر وكلمة وحياة وذلك بموجب الخواص الذاتية - اى الصفات الذاتية الثبوتية - فهى غير الصفات المطلقة والادبية وصفات الافعال - كما سلف البيان - لأنها أساس التمييز الاقنومى وهى استلزام وجودى للذات الالهية ،

وقد تعينت فى «الأبوة - والبنوة - والانبثاق». وقد عرفنا منها ان عدد اقانيمها ثلاثة : **ولذلك اطلقنا اسم "الثالوث" على الله - لأن الوحى أطلق على كل اقنوم منها اسم "الجلالة" الله اثباتاً لوحدانية الذات الالهية !!**

ولذلك فاننا مع اقرارنا بالتمييز بين الاقانيم لانؤمن بالفصل بينهم أبداً ، ونرفض القول بان لكل منهم جزءا من الجوهر ، لان ذلك أمر باطل يؤدى الى تعدد الذوات فى حين ان الذات الالهية واحدة وهى لكل اقنوم بالتساوى !!

* *

وهكذا ثبت صحة الايمان فى اعتقاد المسيحية فى الله تعالى بعيداً عن مظنة الشرك ووزر التعدد ، مما يؤكد اعتبار المسيحيين كقوم موحدين لاتشوب عقيدتهم شائبة .

فاذا كانت الشياطين تؤمن بالوحدانية وتقشعر ، ونحن نتهم بأننا نعبد ثلاثة آلهة ، فمعنى ذلك اننا فى نظر هؤلاء الناس لم نصل بعد الى إيمان الشياطين!! وإذن فقد نشأت فكرة مقاومة عقيدة الثالوث من الظن بانها انما تخالف الوحدانية ، ودفعاً لأى احتمال فى هذا الموضوع جاءت النصوص التى تشجب عقيدة الثالوث - عند غير المسيحيين - وتتهم النصارى بالشرك فى الله والغلو فى دينهم!! بالرغم من ان قانون الايمان المسيحى يبدأ بالقول : «نؤمن باله واحد» ، ولو كانت المسيحية تقصد بالتثليث تعدد آلهة - الذى هو الشرك بعينه - لما صرحت بأن هذا التعليم فوق الادراك ، وهى لم تصرح بذلك إلا لما تعتقده من عدم مناقضته لوحدانية الله !! ونرى أولا ان تكفير الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة لايقصد به المسيحيين ولا ثالوثهم ، **ولكنها قيلت فى حق طائفة المرقونية الذين حرمتهم الكنيسة لانهم كانوا يؤمنون بثلاثة آلهة : أ- عادل أنزل التوراة ب- صالح نسخها بالانجيل ج- شرير وهو ابليس. ولذلك لم يكن هذا اعتراضا على الثالوث الحقيقى الذى اختصت به المسيحية - كما أمتد الرفض لطائفة المانوية والديصانية اللتين تقولان بالهين اثنين أحدهما للخير وهو جوهر النور والثانى للشر وهو جوهر**

الظلمة فجاء هذا القول فى حقهم : "ولا تتخذوا إلهين إثنين ..."

وإذن فهذه الأقوال ليست عن تثليث المسيحية الصحيح - كما يظن البعض - ولهذا لاتعتبر مقاومة تلك التعاليم المنافية للمسيحية مقاومة لها - بل أن هذه المقاومة لم تضر المسيحية بشيء البتة، بل هى على العكس افادتها ووقفت فى صفها ازاء تعليمها عن الثالوث الاقدس لأنها على الاقل قد أثبتت ان تعليم الثالوث المسيحى قديم العهد، أى قبل ظهور الاسلام!!

شهادات من اهل التوحيد للتثليث المسيحى :

ومن الغريب حقاً ان الاقوال سالفة الذكر، قد وصل المعتزلة الى ماهو قريب منها فرأوا ان صفات الله إنما هى وجوه للذات، بل ان واصل بن عطاء رأس المعتزلة انتهى الى رد جميع الصفات الإلهية الى صفتين ذاتيتين هما اعتباران للذات القديمة ويذكرهما أبو هزيل العلاف بالقول : **"ان البارى عالم بعلم وعلمه ذاته، وحى بحياة وحياته ذاته"**. ويقرر الشهرستانى فى كتابه. الملل والنحل ج١ ص ٥٧ عن ذلك : **"أن رأى ابو هزيل فى الصفتين الذاتيتين المشار اليهما آنفاً من انهما وجوه للذات هو بعينه أقانيم النصارى"!!**

وهكذا ردت المعتزلة الصفات الى الذات وانها هى بعينها ذاته واذ أثبت المعتزلة هذه الصفات وجوها للذات، فتكون هى بعينها أقانيم النصارى ... وقد أيد ذلك الاشعرى فى مقالاته ص ٤٨٥

وأما اقطاب الصوفية فقد شهدوا لهذه الحقيقة عينها فقال ابن العربى عن الكلمة : «ان كلمة الله هى اللاهوت أى هى الله متجلياً ... وانها عين الذات الإلهية لا غيرها» (فصوص الحكم ج ٢ ص ١٣و ٣٥)

كما قال الشيخ الحريرى البيومى عن الروح القدس : «بانه روح الله، وأنه غير مخلوق» (كتابه الروح وماهيتها ص ٥٣)

كما قال السيد عبد الكريم الجيلى عنه : «انه غير مخلوق، وغير المخلوق أزلى، والازلى هو الله دون سواه» (مجلة كلية الآداب سنة ١٩٣٤)

فى ضوء هذا كله نجد ان التثليث ليس بغريب عن الاسلام، ولذلك فقد تكلمت فلسفته عن : «المبدأ العقلى والنفسى والأول» كما جاء فيها ذكر الثالوث فى وصف

كلام الله فذكروا عنه : «المتكلم الأزلى ، والكلام المعنوى ، واللوح المحفوظ» ، كما تحدث عنه الجيلى فى كتابه «الانسان الكامل» بعبارة : «الأحدية - الهوية - والآنية» وقد ظهر فى عبارة أخرى وهى : «الألوهية - الأحدية - الواحدية» اشارة الى كائن ووحدة وتكثر !!

وقد استطردوا من ذلك الى القول : **"بأن أول صورة تعينت فيها الذات الالهية ثلاثية فى صورة العلم والعالم والمعلوم كحقيقة واحدة"** فان اعتبر وجودها غير معلق على غيره فذلك الوجود المطلق هو - اقنوم الآب - وان اعتبر متعلقاً على وجود آخر كالعلم المطلق فذلك الوجود هو - الابن أو الكلمة - وان اعتبر معلقاً على كون علمه معلوماً فذلك الوجود المقيد هو مانسميه الروح القدس - وقد جاء فى كتاب «اصول الدين» لأبى الخير ابن الطيب : ان كتب واقوال علماء النصارى تشهد لتوحيدهم واما اسماء الآب والابن والروح القدس فهى خواص لذاته الواحدة **وفضلا عن ذلك فقد أقروا بأن عملية الخلق نفسها هى ثلاثية لأنها تقتضى وجود الذات الالهية والارادة والقول كن، ولذلك انشد ابن العربى قائلا :**

تثليث محبوبى وقد كان واحداً كما صير الاقنام بالذات أقنما

حقيقة الثالوث المرفوض :

أما عن الثالوث المرفوض الذى يجعل الله ثالث ثلاثة فمرجعه عبارة أخرى موجهة لعيسى (يسوع المسيح) فى القول : "أأنت قلت اتخذونى أنا وأمى الهين من دون الله" - فهى تكشف النقاب عن المسيح (الابن) وامه العذراء مريم التى اعتبرها المريميون الاقنوم الثالث فى اللاهوت وهى التى يشار اليها بوصف «الصاحبة» **والقولين المتقدمين يتضح منهما انتقاد بدعة اتخاذ مريم والمسيح إلهين من دون الله أو حتى اتخاذهما معه إلهين - وتثليث المسيحية يختلف عن ذلك لأنه لايراد به ان الله ثالث ثلاثة، بل يراد به انه تعالى هو ذات الثلاثة، وهؤلاء الثلاثة (الآب والابن والروح القدس) هم واحد فى الذاتية،** - وهذا غير الثالوث الذى ظهر عند بعض الدخلاء على المسيحية ممن نادوا - قبل ظهور الاسلام بثالوث دخيل هو الآب والأم والابن، وهذا ماحاول مؤلف

كتاب : «الله واحد أم ثالوث» اقحامه بافتراضه جعل الأم اقنوماً فى اللاهوت، وهو يعلم أن هذا الأمر لايتفق مع العقيدة المسيحية إطلاقاً، وانما مرجعه اعتبار العذراء اقنوما فى اللاهوت من قبل من عرفوا بالمريميين، فقد ادعوا بان العذراء مريم إلهة (عوضاً عن الزهرة) وجعلوها ملكة السماء بدلا منها، وهى التى كانوا يعبدونها قبل انضمامهم الظاهرى للمسيحية، ولذلك فقد اطلقوا على انفسهم اسم «المريميين» **وكانوا ان التصقوا بعرب الجاهلية، ومنهم نشأت هذه الفكرة المشوهة عن المسيحية ... وقد جعلوها مشكلة الحقوها بالمسيحيين ورفضوا أن يتنازلوا عن ذلك بالرغم من كل الايضاحات التى قدمها المسيحيون فى كل مناسبة!!**

أما بدعة المريميين نفسها فقد نشأت عن الاعتقاد الوثنى بتزاوج آلهتهم وانجابها، أما المسيحيون أنفسهم فلا يعتقدون بأن المسيح ابن الله على طريقة الاستيلاد من صاحبة، وإنما يعتقدون انه ابن الله بالصدور من ذاته فى الوجود الالهى - وهذا يختلف تماماً عن الولادة المبتدعة هنا - أى الجسدية التناسلية التى تنتج من اتحاد ذكر وانثى متجانسين، والله تعالى منزه عن التجانس ... فاذا لم يكن لدى المنكرين بنوة إلا هذه والتى يستحيل فيها الولد بغير صاحبة، رغم ان ذلك لايمكن ان يكون بالنسبة لله تعالى، فاننا نحن المسيحيين نشجبها ونعتبرها إهانة موجهة الى جلال الله القدوس!! مقررين بأن هذا الذى ذهبوا اليه - إنما هو من قبيل الاختلاق - وليس هو باعتقاد المسيحيين إطلاقا ... **لذلك قد رفضت الكنيسة بدعتهم هذه وقاومتها منذ ظهورها وفصلتهم وانتهى أمرهم بنهاية القرن السابع، وبذلك قضت على هذه البدعة قبل ان تظهر الاشارات التالية عنها فى العبارة سالفة الذكر - لأن المسيحية لم تقل فى أى وقت بأن مريم العذراء إلهة أو واحدة من الثالوث أو انها كانت صاحبة (أى زوجة) لله** ... وهذا فى الواقع هو «التثليث» الذى يأنف منه غير المسيحى، ولكن من قال ان المسيحى يقبله أو أن هذا اعتقاده لكنه مع ذلك يفرض على المسيحية زورا وبهتانا وهو الذى فيه الصاحبة فى اللاهوت - والذى يقول بذلك أى أن لله ولدا من صاحبة كافر وليس مسيحياً - **فمن هو هذا الذى يؤمن بان لله ولدا من صاحبة - والاعتراض هنا ينصب على كيف يكون ذلك!؟**

ولقد كانت هناك فرقة المشبهة - عند العرب - التى وصل التشبيه بها الى تصور الله على هيئة مجسمة يفعل كما يفعل البشر ويتخذ صاحبة وينجب ولداً - وقد جاء فى سورة الصافات ما ينكر عليهم ذلك القول : سبحان الله عما يصفون.

* *

أما المسيح فهو ابن الله باعتباره كلمته المولودة منه بطبيعة الجوهر وليس لأن الله تزوج، ولذلك فان بنوته لله ليست جسدية تناسلية من صاحبة بل هى بنوة ذاتية عقلانية روحانية فائقة !!

أما بدعة المريميين فقد ظهرت خلال القرنين الخامس والسادس عندما ظنوا أن أوصاف العذراء انما تعنى انها اقنوم فى اللاهوت، والأمر الذى بنوا عليه الاعتقاد بأن أول الانجيل هو : باسم الآب والأم والابن، وقالوا ان الآب هو الروح القدس والأم هى مريم والابن هو المسيح - وتضاربت أقوالهم فمنهم من قال : «ان الآب هو اسم الله، والام هى كنه الذات والابن هو الكتاب». **وكل هذا كما هو واضح بعيد تماماً عن الثالوث المسيحى فان عقيدة التثليث فى المسيحية لم تقل قط بشىء مما ذكر، ولا باتخاذ مريم والمسيح الهين من دون الله أو اتخاذهما معه الهين وهو ثالثهما**

فاننا بحسب اعتقادنا الصحيح فى الثالوث لا نؤمن بان الآب هو الاله الأول ومن بعده يكون المسيح إلهاً ثانياً والروح القدس إلهاً ثالثاً، لاننا مع اعتقادنا بألوهية كل اقنوم إلا اننا بسبب توحدهم فى الجوهر نراهم معاً هم الله - **وكل منهم الله ولكن ليس بالانفصال عن الاقنومين الآخرين - بدون أن يكونوا ثلاثة آلهة أو يكون الله بذلك ثالث ثلاثة !!**

* *

وهذا الاتهام الباطل هو ماذهب اليه ديدات مدعيا على المسيحيين بانهم يعتقدون ان الثالوث هو ثلاثة آلهة وانهم الآب والام والابن وانهم يحسبون مريم أحد الآلهة الثلاثة رغم ان بدعة اكرام مريم الى حد العبادة كانت قد انتهت ولم يبق لها أثر !!

ومن عجب تمسك المعترضون بهذه الهرطقة واعتبارهم لها بانها

هى والثالوث المسيحى واحد بعينه رغم ان هذه البدعة تلاشت تماما منذ زمن بعيد !!

وجدير بالذكر ان هذه البدعة التى تنسب إلى المسيح القول الموجه اليه وهو : «اتخذونى وامى الهين من دون الله» انما هى أقدم فى النشأة من انتسابها للمريميين، لانها تفسير نصرانى ورد فى انجيل النصارى نفسه - وهو من الاناجيل المزيفة مرجعه تفسير الروح القدس «بأم» للمسيح، وقد سبق ان اعتبروا «الروح القدس» كائن مؤنث لان كلمة «روح» فى العبرية والارامية «مؤنثة»، وانها هى التى خاطبت المسيح فى عماده بالقول : «أنت ابنى الحبيب»، بما يدل على اعتقاد النصارى من بنى اسرائيل بالروح القدس أما للمسيح، فكان ذلك هو «التثليث النصرانى» الله والمسيح ابن الله والروح القدس أمه، فثارت ثائرة الكلام الابيونى على هذا التصور وبلغت الثورة إلى القرآن فظهرت فى القول المتقدم ذكره ...

هذاالتثليث الذى قالت به شيعة النصارى - وهى الامة الوسط بين اليهودية والمسيحية - ليس هو بالتثليث المسيحى «الصحيح»، وقد ادعت تلك الشيعة بعد أن **وصفت الابن والروح القدس بملاكين يعبدان** مع الله بعد ان زعمت بخلقهما مع رفعهما، وهما فى نفس الوقت يعبدان الله ويحمدانه : **وهكذا يكون المسيح وأمه الروح القدس - حسب العقيدة النصرانية - إلهان من دون الله** ... لذلك يجعل القرآن المسيح نفسه يستنكره فى يوم الدين بأدب جم، ويستشفع لمن قام به من أمته.. وهذا كله بعيد كل البعد عن العقيدة المسيحية الصحيحة التى لم تقبل قط هذه البدعة ولا اعتبار مريم «إلهة» بحسب اعتقاد المريميين، ولقد كان ذلك ظاهراً فى جدال وفد نجران وهو أبعد ما يكون عن تأليه مريم أو انشاء ثالوث باطل فيه خلط مع الله لمخلوقين عند من يقولون بذلك وهما «المسيح» و «الروح القدس» امه الملائكية - ومع ذلك لم يكن هناك تكفير لوفد نجران وانما يسمى اعتقادهم «غلواً فى الدين» !!

أما تكفير الذين يقولون : «ان الله هو المسيح ابن مريم» فانما هو موجه لفرقة اليعقوبية التى قالت بان : «مريم ولدت إلهاً» وادعت بان الذى تجسد فى المسيح ليس «الكلمة» فقط، بل الله وكلمته وروحه جميعاً، وقد وصل بهذه الفرقة الحال إلى الاعتقاد بان الناسوت ذاب فى اللاهوت، مع ان فى المسيح ناسوت كامل، كما فيه

لاهوت كامل فى وحدة الشخصية بحسب اعتقاد المسيحية جمعاء - ويردد القرآن ما جاء على لسان المسيح فى الانجيل قوله : «انى صاعد إلى ابى وابيكم والهى والهكم» (يو ٢٠ :١٧) بقول مشابه وهو : «يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم» ...

وبالرجوع إلى العقيدة المسيحية نجد ان المسيح من حيث بشريته يقول «ربى وربكم»، «إلهى وإلهكم»، لكن من حيث الهيته يقول أيضاً : «انا والآب واحد» و «من رآنى فقد رأى الآب» ...

على هذا الاساس كفرت المسيحية مقالة «اليعقوبية» قبل ان يكفرها القرآن بمائتى سنة وذلك فى المجمع المسكونى الرابع فى خلقدونيا سنة ٤٥١م وبما ان جدال القرآن كله مع المسيحية يقتصر وينحصر بجداله مع اليعقوبية المبتدعة، فليس فيه على الاطلاق جدال مع المسيحية الرسمية !!

أما الإمام فخر الدين الرازى فيصف عقيدة المسيحيين على الوجه التالى : - «ان النصارى يقولون بجوهر واحد وثلاثة اقانيم - وهذه الثلاثة إله واحد كما ان الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة، فى تلازم طبيعى بدون تقدم أو تتابع فالشعاع مولود من القرص والحرارة منبعثة من القرص مستقرة فى الشعاع والثلاثة شمس واحدة وان كان يقال لكل من الثلاثة شمس وعنوا بالذات الآب وبالابن الكلمة وبالروح الحياة - وقالوا ان الاب إله. والابن إله والروح القدس إله. والكل إله واحد» (التفسير الكبير ج ٢ ص ١٠٢)

ومن ثم فلا خلاف هنا من جهة التوحيد الكتابى بحرفه ومعناه بل ان وحدة العقيدة فى حقيقة التوحيد فوق مثار الجدل ويتضح من البحث الدقيق ان التثليث الانجيلى من صلب التوحيد. انه تفسير منزل فى الانجيل لنطق الله الذاتى اى من ذاته فى ذاته لذاته وليس هو كلام الله الصادر عنه فى الخلق أو فى الوحى، وكذلك لحياة الحى القيوم فى ذاته الصمدانية بروحه «الروح القدس» «ووصفة بالقدس» كناية عن التجريد والتنزيه لتمييزه عن كل روح آخر مخلوق - وهذه هى العقيدة المسيحية فى : «التثليث والتوحيد» التى تتحدى الشبهات القائمة حول الثالوث الحقيقى، والتى تحول عند اصحابها دون قبوله !!

* * *

الفصل الخامس عشر

حمل الاقانيم اسم الجلالة الإلهية ودلالته

«الله الآب» (١كو١٥: ٢٤)، (يع ٣: ٩)، (٢بط ١: ١٧)، «وكان الكلمة الله» «وأما عن الابن كرسيك ياالله» (يو١: ١)، (عب ١: ٨)، «تكذب على الروح القدس ... أنت لم تكذب على الناس بل على الله» (أع ٥: ٣، ٤)

تمهيد :

يعترض منكرو الثالوث على استخدام المسيحيين للفظ الجلالة الله مقرونا بكل اقنوم من الأقانيم الثلاثة، الأمر الذى موجبه نقول : «الله الآب» - «الله الابن» - «الله الروح القدس» - وفى ذلك تحقيق لحمل الاقانيم الثلاثة اسم الله ..

أما اعتراضهم على ذلك فمرجعه أن هذا التعريف يوجب بالضرورة التسليم بالثالوث أى وجود ثلاثة الاقانيم : «الآب والابن والروح القدس». فى اللاهوت الذى تؤمن به المسيحية بموجب ماأعلنه قادتها منذ فجر ظهورها بأن التمييز بين الأقانيم فى اللاهوت مع وحدتهم فى الجوهر هما شرط اساسى للخلاص الابدى، وحين قال الآباء : «اننا نكرز ونبشر بالثالوث الاقدس. قرروا أن هذا هوالايمان الجامع الذى يجب ان يعتنقه كل مسيحى حقيقى مؤمن بدينه ومتمسك بكتابه فى كافة العصور» ... فليس الآب فقط هو الله بل الابن أيضاً والروح القدس.

ونشاهد وحدة الاقانيم واضحة - ليس فقط فى الجوهر والعمل - ولكن أيضاً فى نسبة الاقوال الإلهية الى كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة، وكذلك نجد الحال فى نسبة صفات اللاهوت الخاصة لكل منهم الامر الذى يتتوج بحمل كل منها اسم الله!

وقد وصل الحال فى ذلك الى استعمال الوحى اسم يهوه لكل منهم، فقال عن الآب : قال الرب (يهوه) لربى (ادونای) اجلس عن يمينى (مز١١٠ : ١) وعن الابن : أما أنت يارب (يهوه) فالى الأبد جالس (مز١٠٢ : ١٢) وعن الروح القدس : "ورفعنى روح وكانت يد السيد الرب (يهوه) على" (حز٨ : ١و٣) كما ذكر بولس صريحاً : "بان الرب (يهوه) هو الروح" (٢كو٣ : ١٧) مما يدل دلالة واضحة على ان كل اقنوم من الاقانيم يحمل نفس اسم يهوه الكريم، مما ينقض زعم شهود يهوه بأن الآب وحده هو يهوه دون الابن والروح القدس!!

وتزداد هذه الحقيقة تأكيداً باستعمال الوحى اسم الجلالة الله لكل أقنوم من ثلاثة الاقانيم، مما يدل قطعاً على أن الأقانيم الثلاثة تتصف بكل صفات الكمال التى تليق بالالوهية بدرجة واحدة متساوية ومطلقة. وفيما يلى نقدم اثبات حمل الاقانيم الإلهية اسم الجلالة الإلهية وذلك على الوجه الآتى :-

تسمية الآب فى الكتاب المقدس بالله الآب :

ان ورود تسمية الآب «بالله الآب» لم يكن بالأمر الغريب لاستناده الى شواهد تدل عليه - ومن ثم الادعاء بان تسمية «الآب» «بالله الآب» ليس قولا كتابياً انما هو ادعاء غير صحيح، فان هذه التسمية تستند الى آيات فى كتاب الله، فقد وردت بالنص فى المواضع الآتية :- (كورنثوس الاولى ١٥ : ٢٤) "وبعد ذلك النهاية متى سلم الملك لله الآب"، (يعقوب ٣ : ٩) "به (أى باللسان) نبارك الله الآب"، (بطرس الثانية ١ : ١٧) "لأنه (أى المسيح) أخذ من الله الآب كرامة ومجداً".

وفضلا عن ذلك فقد ورد فى الكتاب المقدس عن الله انه آب مانتى مرة فوجدنا أولا وبصفة خاصة انه أبو ربنا يسوع المسيح منذ الأزل بلاهوته، ولهذا جاء النص عن المسيح أنه ابن الله الوحيد ولكنه ثانياً قد تسمى

"أب الأرواح" و"أب المؤمنين" وذلك لانه مصدر الارواح كخالق لها بمحض ارادته كما أنه ابو المؤمنين لكونهم قد صاروا أبناء له بالإيمان ... ولكن شتان مابين أبوة الله السامية فى اللاهوت وأبوته العامة للمخلوقات ... فان تلك تختلف عن هذه كل الاختلاف ...

ولقد حاول بعض المنكرين طمس هذه الحقيقة فزعموا بان التعبير بكلمة الآب عن الله إنما استعمل مجازاً وليس له من معنى سوى انه الخالق الأول والأعظم صاحب القلب الكبير الذى يسعنا جميعاً بلا تفرقة أو اسثناء، وأنه الرب والحامى والرحيم.

ولكن بعضهم هنا مثل مؤلف كتاب : «معاً على الطريق» قد وقع فى التناقض بقوله ان الابوة والبنوة فى الله انما تعنيان اننا جميعاً ابناء الله بمعنى اننا خلقه لافرق فى ذلك بيننا وبين المسيح ... ومع ذلك فقد عاد يقول : بأن القوة التى ظهرت فى المسيح كانت قوة نابعة من ذاته ، لأن ذاته لم تكن مثل ذواتنا. وهكذا تفشل محاولته اليائسة فيما بين التعميم والتخصيص المقصود بها مساواة المسيح بالبشر مع الإقرار بتميزه عنهم فى نفس الوقت!! ومن المعلوم أن مثل هذا التمييز لايمكن أن ينطبق سوى على الذات الإلهية!!

ومن المعلوم ان اسم الآب لم يرد ضمن التسعة والتسعين اسماً التى يطلق عليها «أسماء الله الحسنى»، وكان ذلك على الارجح لعدم الارتياح لوصف الله به لمنع الاقتراب من دائرة الابوة والبنوة فى اللاهوت **مع ان "أبوة الله" تعتبر فى الواقع اسمى نقطة فى الاعلان الكتابى عنه سبحانه - ومن عجب أن يضطر المنكرون لإقرارها بالنسبة للمخلوقات فى صيغة التعميم وانكارها على المسيح فى صيغة التخصيص!!**

تسمية الابن فى الكتاب المقدس بالله الابن :

أما «الله الابن»، فهو هكذا باعتباره كلمته التى كيانها منه فهو ليس كائناً

دخيلا على الله أو غيره تعالى بل هو «الله» - ولفظة «الله» هنا معناها جوهر اللاهوت أى أنه هو والآب جوهر واحد وذلك بسبب اتحادهما التام فى هذا الجوهر، وهو بالنسبة لذلك يمتلك لاهوتاً جوهرياً صحيحاً قيل بشأنه : «انه مساو للآب فى الجوهر» و «ذو جوهر واحد مع الآب» - وبسبب ذلك دعى باسم الجلالة «الله»، **ونظراً لمساواته هذه بالآب فقد لقب بذات اللقب الملقب به سبحانه وتعالى .. وهذا مما لايجوز على غير الله، فان احداً غيره لم يطلق عليه لقب الجلالة "الله" بأل التعريف - وليست تسميته هنا "الله" أو "إلهاً" بالمعنى المجازى الذى سمى به غيره بل بالمعنى الحقيقى الذى ما كان ليوصف به لولا تفرده عن سواه بل عن الخلق أجمعين .فهو "الله الابن" لأن الوحى قد نص على ذلك صراحة فى المواضع الآتية :-**

أ- القول الوارد فى (انجيل يوحنا ١ : ١) "وكان الكلمة الله":

والفعل «كان» فى الاصل اليونانى لايفيد الماضى المنقضى بل يعنى الكيان المطلق المستمر لأنها وردت فى صيغة الماضى غير التام الدال على الإستمرار، **فهو الله اطلاقاً ولايمكن أن يطلق ذلك على مخلوق ما أياً يكون!! والوحى لم يقل هنا "كان عند الآب" لكى يعلن ان الآب هو الله لأن قصده بالاحرى أن يعلن ان الابن هو الله بقوله : "وكان الكلمة الله أى كما ان الآب هو الله كذلك الابن هو الله أيضاً" ..**

أما اعتراض البعض بأن هناك ترجمات وردت فيها العبارة هكذا : «وكان الكلمة إلهاً» - وليس الله (كما فى العربية) لأن لفظة الجلالة هنا لم يكتب فى الاصل بالحروف الكبيرة، ولم يسبقه علامة التعريف أل فمردود لأن المخطوطات القديمة كانت تكتب كلها ببنط واحد ليس فيه حروف صغيرة وأخرى كبيرة، كما أنه ليس من الضرورى أن تسبق اداة التعريف لفظة الجلالة وهى «ثيوس» باليونانية، فقد ورد بدونه فى (يو١ :١٨) فى القول الله لم يره أحد قط ... وبالرغم من ذلك لم تترجم اللفظة «إلهاً» باعتباره نكرة، وعليه فلا مجال للإعتراض من هذا القبيل!!

ب - ماورد فى (رسالة رومية ٩:٥) وهو : "ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً الى الأبد". فقد وردت لفظة "إلهاً" هنا فى الترجمة الانجليزية "الله" غير معرفة بأل كما فى العربية وهى عكس الشاهد السابق مما يضعف ذلك الاعتراض ويجعله بلا أثر ويكفى القول الوارد عنه هنا كونه الكائن على الكل إلهاً مما ينفى بالطبع أية شبهة عن لاهوته.

ج - كما أنه الله الذى ظهر فى الجسد بحسب ماورد فى (١تى ٣:١٦)

وأما ورود هذا النص فى بعض المخطوطات كما يلى : «وبالاجماع عظيم هو سر التقوى الذى ظهر فى الجسد» فلا ينفى حقيقة المقصود به، فان سر التقوى هنا لايشير الى معنى بل الى شخص .. حيث إنه تبرر فى الروح - تراءى لملائكة - كرز به بين الامم - اؤمن به فى العالم. رفع فى المجد مما يشار به الى الله الابن الذى ظهر فى الجسد وهو بذلك سر التقوى!! مما ينفى ما قام شهود يهوه باختلاقه من وراء ابدالهم لفظة الله «بالذى».

د - أما القول الوارد عنه فى (عبرانيين ١:٨) فان لفظة الجلالة قد وردت هنا فى اليونانية كما جاءت فى العبرية فى (مزمور ٤٥:٦) وهو أصل هذا الاقتباس فى صيغة لاتقبل الشك مما يستوجب التسليم بان من قيل عنه ذلك هو الابن يؤكد ذلك القول : «وأما عن الابن كرسيك ياالله ...»

ولذلك ورد عن الابن فى (٢بط ١:١٧) بأنه : **"أخذ من الله الآب (فى جبل التجلى) مجداً وكرامة ..."** وقد وجدنا فى (يو ٥:٢٣) النص الذى يقول : **"لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. من لايكرم الابن لايكرم الآب الذى أرسله"** - وهنا نرى أن الله نفسه يطالب باكرامه بذات الاكرام الذى يقدم له، كما أنه يعتبر الاكرام المقدم له مقدماً فى نفس الوقت للآب حتى أن من لايكرم الابن لايكرم الآب - وهذا دليل المساواة التامة بينه وبين الآب، ولولا ذلك لاعتبر سالباً لحقوق الآب، وصدق فيه قول اليهود : «نرجمك

لأجل تجديف، فانك وانت انسان تجعل نفسك إلهاً» (يو ١٠: ٣٣) وطلبوا أن يقتلوه لأنه قال إن الله ابوه معادلا نفسه بالله (يو ٥: ١٨) وشهود يهوه إنما يضعون المسيح فى هذا الوضع عينه بقولهم عنه أنه إنسان مخلوق!!

وماقلناه عن الآب والابن نطبقه على الروح فنقول عنه الله الروح القدس :

ونحن فى ذلك لاننسب اللاهوت الى من ليس له، ولا نعطى ما يستحقه لغيره، لاننا نعترف بوحدة الأقانيم بما لهم من طبيعة واحدة - وهذا معناه ان سائر الكمالات والاوصاف الإلهية هى بنفسها لكل أقنوم منهم لأنهم جوهر واحد وهو بذاته وعينه لكل منهم، وهم ليسوا بذلك ثلاثة آلهة ولا ثلاثة سرمديين وغير محدودين بل إلهاً واحدا سرمديا وغير محدود!!

وأما عن الروح القدس **فهذا ما جاء عنه فى (أعمال٥) "أنت كذبت على الله" ولذلك فاننا نؤمن نحن المسيحيين أن الروح القدس هو الاقنوم الثالث فى الذات الإلهية وهو مساو للآب والابن، وهو بالطبع متميز فى اللاهوت عنهما، أما كيف هو متميز باقنومه الخاص فى الجوهر الواحد، فهذا هو سر الثالوث الذى لن تستطيع العقول اختراقه أو الدخول فى كنهه!!**

ولا مجال للاعتراض على ذلك بزعم اننا به نقول بثلاثة آلهة - فاننا لانقول أن كل اقنوم هو إله بالاستقلال عن الاقنومين الآخرين حتى يصح الاعتراض باننا نؤمن بثلاثة آلهة، بل نقول أن كل اقنوم هو الله بسبب وحدانية الجوهر، وان الثلاثة معاً هم الله لنفس السبب - كما أننا لا نقول بالجزئية، لأن القول عن الاقنوم بأنه إله جزئى كفر، فليس من الواجب أن نعترف باله جزئى منفرد او مختلف، لان ذلك هو ماقاله المنكرون معتبرين ان كلا من الابن والروح القدس جزء من الذات الإلهية فى حين ان اقانيم الله هى عين ذاته!!

* * *

ترك الصدورات الإلهية إنكار للثالوث

«أنا اعـرفه لانـى منه» (يو ٧:٢٩).
«روح الحق الذى من عند الآب ينبثق»
(يو ١٥:٢٦)

اتفاق الرأى فى هذين الصدورين منذ العصر الرسولى :

لاشك أن العقيدة المسيحية الاساسية فى الله، قد قامت حولها مشكلات منذ البداية لمحاولة فحول المعترضين الاحاطة بها، مما تطلب تفسيراً يوضح معناها بحسب ما فى طاقة الإدراك البشرى ...

وقد اتفق رأى قادة المسيحية منذ عصورها الأولى على وضع ذلك التفسير فى العبارة الآتية :- "**نؤمن باله واحد الآب ضابط الكل خالق جميع الاشياء، وهو مصدر الصدورات الإلهية بطبيعة الجوهر الذاتية وهذه الصدورات هى الابوة والبنوة والانبثاق، وهى صفاته تعالى الذاتية الثبوتية بل هى صدورات جوهره الطبيعة السرمدية التى يقوم عليها الثالوث الاقدس**".

ويدلنا الكتاب على وجود صدورين لواجب الوجود :

صدور داخلى غير مغاير بطبيعة الجوهر - وهو شبيه بالصدور العقلى لإتصاف طبيعة الله بالبساطة التامة، ومن ثم فان هذا الصدور ليس فى حركة ولا فى مكان ولا فى زمان بل هو أيضاً خلو من أى انقسام عارض، ولا دخل فيه للإرادة أو المشيئة - **وهو ليس لسبب احتياجه تعالى، بل هو كماله الذاتى المختص به - وهذان الصدوران فى اللاهوت الولادة والانبثاق هما سران إلهيان غير مدركين للعقل الذى هو أضعف من أن يتصورهما!؟**

أما الصدور الآخر فهو صدور خارجى عن الله كالخالق - وهو صدور بالقصد والمشيئة، أى بمقتضى علمه وبحكم ارادته وعمل قدرته، وهو صدور الكائنات المخلوقة من العدم بفعل القدرة الإلهية فى الابداع والخلق!!

أما الصدوران الداخليان فهما صفتان ذاتيتان طبيعيتان متلازمتان سرمديتان - أى أزليتان بلا بداية وأبديتان بلا نهاية - وان سمو حقيقتهما كسمو حقيقة وجوده تعالى على حقيقة وجود الخلائق!!

وهما يعلنان عن الآب باعتباره الذات أو الوجود كالمصدر وباعتبار أن الابن صادر منه بالولادة، وكذلك الروح القدس بالانبثاق، وصدورهما على هذا الوجه يتصف بالدوام أى أنه لايتغير بالنسبة لكل منهما أبداً ... ومع تمييز كل منهما عن الآخر، إلا أنهم متفقون فى الجوهر والطبيعة كما وفى القدرة والمشيئة والفعل!!

ومعلوم ان هذا هو الاعتقاد الصحيح الذى لايزال يعتقد به جمهور المسيحيين العظيم فى أنحاء المسكونة على مر العصور، وقد توضح هذا التعليم وثبت لأنه الاساس الإلهى الراسخ!!

* *

اننا نسلم ضرورة بوحدة الأقانيم الثلاثة فى اللاهوت الواحد، لذلك فان الابن والروح القدس مساويان للآب فى كل شىء، ولكن تمييز أحدهم عن الآخر تمييزاً حقيقياً لايكون إلا باحتفاظ كل أقنوم منهم بالخاصية التى له والتى بها يتميز عن الاقنومين الآخرين : "**فالآب هو المصدر والد الكلمة وباثق الروح، والابن مولود غير مخلوق، وكذلك الروح منبثق غير مخلوق، لأن لهما نفس الجوهر مع الآب**". هذا ماقاله اثناسيوس، وفى اعقابه غريغوريوس الناطق بالالهيات يقول : "**أن الازلية والالوهة مشاعتان بين الآب والابن والروح القدس، على أن للابن والروح القدس خاصة الصدور من الآب، الابن بالولادة، والروح القدس بالانبثاق**".

وليس فى هذه الاقانيم سابق ولا مسبوق، كما أنه ليس للاشتقاق فيها معنى بل هى صدور طبيعى متصل فى الجوهر الالهى غير المنقسم والذى هو لكل أقنوم بحالة الكمال التام ... ولقد استطاع آباء الكنيسة بهذا الاتفاق الواضح القاطع أن يواجهوا البدع والهرطقات التى ظهرت فى زمانهم الى أن قضوا عليها!!

ومن ثم فليست هذه الصدورات عملا تم وانتهى فى وقت ما فى الأزل، لانها استلزام استمرارى للوجود الإلهى - وهو وجود بالطبيعة وليس بالفعل الذى يتوقف على المشيئة وينفى عنه وصف الأزلى فهذان الصدوران إذاً ليسا هما حدثين، لأنهما صدوران استمراريان فى اللاهوت ليس فيهما قبلية ولا بعدية، **وليس فى الله إلا هذان الصدوران فقط وإلا كانت الأقانيم أكثر من ثلاثة!!** ونحن نتمسك بهذا التمييز فلا نخلط الاقانيم لئلا يتلاشى التمييز بينها وبذلك تبقى الاقانيم متميزة دون فحص ولا تساؤل عن سبب تسمية احدها ابنا والآخر الروح بل يدعى كل منهم باسمه بحصر اللفظ - **وهكذا يكون الثالوث الاقدس غير قابل للتغيير، لأن فى تغيير الاسم ضلالا إذ هو يتنافى مع وحدة لاهوت الثالوث!!**

هذا هو أساس التمييز بين الاقانيم، وهم بموجبه متميزون فى الجوهر الواحد بدون تناقض - وقد تحققنا منه وحدة الاقانيم الثلاثة فى اللاهوت الواحد، رغم التمييز الحقيقى فيما بينهم بموجب هذه الصدورات التى هى تلقائية فيه تعالى بطبيعة الجوهر، فليس بينه وبين ابنه وروحه أى اختلاف أيا كان!!

ولقد بنى الآباء على هذين الصدورين التمييز الاقنومى، مقرين بذلك أنه بدونهما تنتفى عقيدة التثليث المباركة، كذلك تنتفى عقيدة التجسد العظيم إذ لا يتميز اقنوم الابن عن اقنومى الآب والروح القدس، ومن ثم لا يكون تجسده ممكناً مع ما يتبع ذلك من نتائج يصل بعضها الى انعدام وضوح الرؤية لدى المنكرين!!

افتراضات أراد المنكرون احلالها محل الصدورات :

تم الاتفاق من جهة أقانيم اللاهوت خلال ثلاثة القرون الأولى ولكن نسبة

أحدهم للآخر ، وحقيقة الفرق بينهم لم يكن قد وقع عليها البحث بعد ، إذ لم تكن هناك عثرة ما فى اقرار التمييز بين الآب والابن والروح القدس فى الاقنومية لا فى الجوهر !!

ويقرر مسهيم فى كتابه : «تاريخ الكنيسة» ان الإيمان المسيحى قد أقر للاقانيم الثلاثة لاهوتاً مشتركاً بموجبه تسمى كل منهم «الله» و «الجوهر» وأما التمييز الأقنومى فيما بينهم فانه مما لا يجوز التبادل بينهم فيه ولكن رغم استمرار كل منهم فى صفته كآب وابن وروح قدس إلا ان الاقانيم الثلاثة مع ذلك غير محصورة وواحدة فى الارادة والقوة والفعل!!

وأما الذين عارضوا "الصدورات" فقد وقعوا فى شتى البدع والمتاهات : فمنهم من قال أن للاله ثلاثة إظهارات أو اشكال : أى أنه تعالى أظهر ذاته فى ثلاثة مظاهر : كآب فى الدور الأول وكابن فى الدور الثانى وكالروح القدس فى الدور الثالث - وهذه تناقض ما يقوم فى اللاهوت اذ يستحيل أن تكون الاقانيم مظاهر متغيرة ، **وهى التى وصفت بأنها "أصول ثابتة فى الجوهر الإلهى" . الامر الذى يستحيل معه ان يوصف احدها بالازلية اذا كانت له بداية برز بها الى الوجود ، وإلا كان الله تعالى إلهاً متغيراً حسب الظروف ومقتضيات الأحوال** - بحسب بدعة سابليوس - وحاشا أن يكون الله كذلك ، لان ذلك المبتدع كان يرى أن الاقانيم اجزاء من الطبيعة الإلهية انفرزت من الجوهر وتجلت فى ظهورات أو اشكال ... وظهر فى اعقابه نوئيتوس الذى اعتبر الله اقنوماً واحداً هو الآب ، عكس ما ابتدعه سويدنبرج فيما بعد بانه تعالى اقنوم واحد هو الابن ، وقد رأى المبتدع الأول أن الآب نفسه هو الذى تجسد وعند اتحاده بالانسان يسوع تسمى (بالابن) ، ولذلك سمى تابعوه مؤلمى الآب - وهذه البدع من اخطر الضلالات وأقدمها لأنها تؤدى الى نفى التثليث كلية ، فضلا عن نسبة الحدوث فى الله بسبب هذا التغير ...

واصحاب هذه البدع قد خالفوا بها الاجماع السابق الاتفاق عليه فى العصور

الأولى للمسيحية - فقد قال يوحنا الدمشقى : "اننا بصدورى الولادة والانبثاق نثبت الوحدة الإلهية بدون المساس بالتثليث، ننبر على وجود الاقانيم الثلاثة ومساواتها معاً فى الجوهر، مع التمسك بتمييزها السرمدى الدائم بدون انفصال، أما كيفية ذلك فلا ينظر اليها ولا يحس بها ولا يتيسر قبولها إلا بالايمان"!!

وكان يجدر بهؤلاء المعترضين الذين خاضوا فى هذا المجال الخطير بغير علم، أن لا يحاولوا الفصل فى هذه العقائد اللاهوتية بدون التسليم بما وضعه الاقدمون بشأنها، لأن هذا ما فعله دعاة الاصلاح الانجيلى نفسه وعلى رأسهم لوثر فقرروا ضرورة التوقف عند حد التعبيرات القديمة، وهو نفس الموقف الذى اتخذه صاحب كتاب : نظام التعليم فى علم اللاهوت القديم، وهو من أهم المراجع الانجيلية الهامة ... بل لقد اعترف به بللت - وهو من أعمدة اخوة بليموث - فذكر فى كتابه معرفة ابن الله ص ١٢ «الابن مولوداً والروح منبثقاً» واردف بالقول : «نعم هكذا الحال»، وقال ذلك بخلاف ما درج عليه جماعته

أفما كانت هذه الاقوال الجليلة تستحق التأمل من المحدثين الذين خالفوها وقاموا يعترضون عليها وقد وصل الحال بهم الى القول :

انهم لايعرفون حقيقة التمييز الاقنومى لا السبب ولا الكيفية - ومع التسليم بأن الكيفية لم تعلن لنا لقصور عقلنا عن إدراكها، أما السبب فهو فى الصدورات إذ هى أمر لابد منه لانها هى التى تربط بين التوحيد والتثليث فى اللاهوت، وليست هناك طريقة أخرى لفهم اعلان الوحى عن وجود هذا الثالوث المبارك فى وحدانية الجوهر!!

ويقيناً أن التعليم بالاقنومية لايستقيم مع انكار الصدورات الإلهية اذ ان الابوة والبنوة فى اللاهوت تحملان فى منطوقهما معنى الولادة، وكذلك الروح القدس لايعتبر اقنوما إن لم يكن صادرا من الآب، ومن ثم فان انكار الصدورات نفى للاقنومية - وهذا ماوصل اليه المعترضون فوآسفاه!!

فاننا نراهم بعد أن خرجوا عن ذلك المنهج القويم الذى حققه الآباء منذ القديم، قد اختلفوا فيما بينهم فى كيفية التمييز بين الاقانيم، فمنهم من اعترف بالولادة والانبثاق، ومنهم من رفضهما - واصبح لعلماء المسيحية مباحثات فى هاتين المسألتين الاساسيتين الى يومنا هذا، وبسبب ذلك ظن البعض أن توضيح حقيقة التمييز بين الاقانيم أمر مستحيل، لكنها ليست كذلك اذا راعينا فهمها فى ضوء ما أدركه الآباء فعلا عنها، والتى بدونها لم يستطع المعترضون أن يبينوا لنا معنى التمييز الاقنومى بل نفوه فى مواضع كثيرة بانكارهم الصدورات السرمدية التى اذا بطل الايمان بها تصبح عقيدة التثليث وهماً وخيالا إذ لايكون للتمييز الاقنومى فيها مجال، ولا يجوز التعلل هنا بعدم معرفة كيفية هذه الصدورات، لانه لم يكن أحد من المخلوقات موجوداً منذ الأزل مع الله حتى يشاهد ذلك ... ولذلك فان اقوال المعترضين تدعو الى الدهشة بل والأسف لتلك المزاعم التى افترضوها فاخرجتهم عن قاعدة الايمان الاقدس!!

* *

وقد حدا بهم ذلك الى أقوال غريبة وردت فى الكتب التى أصدروها نقتبس منها ما يأتى على سبيل المثال لا الحصر :-

* ان الاقانيم متميزون فى الاقنومية فقط.
* ان الاقانيم مجرد القاب لمراكز قائمة فى الله أى وظائف يقومون بتأديتها.
* ان الاقانيم هى تبادل المحبة فى اللاهوت، فابوة الله معناها روحى يدل على المحبة الباطنية، كما ان البنوة تدل على المحبة الظاهرية، واما الروح القدس فهو روح المحبة : **مع أن المحبة متعادلة بين الاقانيم الثلاثة ولا يمكن أن يقوم على أساسها التمييز الاقنومى، لأنه من المحال أن يكون التعادل تميزاً ...**
* ان الولادة معناها الاشتقاق وأما الانبثاق فمعناه الظهور لا الصدور ولذلك فليس هناك ولادة ولا انبثاق فى اللاهوت!!

وهكذا يؤدى الجهل بالصدورات وانكارها الى عدم الاعتراف بالاقانيم أو الى الاعتقاد بانها ثلاثة آلهة منفصلة أو ثلاثة اظهارات لإله واحد - وهذه الاعتقادات

خطأ وضلال بلا أدنى شك!! وذلك لأن الاقانيم ليست حادثة بمقتضى مشيئة، ولا هى تدل على اختلاف فى طبيعة الجوهر، وبذلك يسقط الاعتراض - الذى به يشارك المعترضون أهل الاديان الأخرى - بالرأى الذى يعتبر ان هذه الصدورات تستلزم تقدماً زمنياً، مع أن لاتتابع فيها لكونها سرمدية بلا بدء أو نهاية، ولا الاعتبارات التى فى الخلائق، لأن الله منزه عن التركيب والحس!!

وهكذا مع اعترافهم بالتمييز الاقنومى، نجدهم قد ضلوا السبيل فى كيفية هذا التمييز، فرغم اعترافهم ببنوة الابن إلا انهم جردوها من معناها الحقيقى وجعلوها - وهى العديمة النظير - بنوة مجازية محضة، متساويين فى ذلك من ناحية النتيجة التى اوصلتهم اليها أقوالهم بمنكرى لاهوت الابن وبنوته الازلية على السواء ... كما حولوا الانبثاق عن معناه الحقيقى وهو الصدور وجعلوه يعنى مجرد الارسال!! وهكذا ضاع منهم الموضوع واحتفظوا له بالشكل فقط، وقد هدموا بذلك عقيدة التثليث من اساسها، وانكروا ماهية الله نفسه وهم لايدرون، لانهم تجاهلوا معنى الاقنوم وهو الخاصية والتميز مع وحدة الجوهر - **وهى التى حققت لنا ما بين الاقانيم من نسب وما لهم من اسماء ليست اصطلاحاً ولا اعتباطاً، بل بسبب الصدورات الإلهية السرمدية على الرغم من انكارهم لها** - وذلك مع اننا جميعنا لاندرك لله تعالى ولا لأقانيمه كنها ولكننا ملزمون ان نتمسك بما اعلنه لنا - سبحانه - من الحقائق الاساسية المتعلقة بوحدانية ذاته وبتثليث اقانيمه!!

وصف هذه الصدورات على محمل يبعدها عن حقيقتها :

يتجه المعارضون الى وصف قصدوا به نفى وجود الثالوث وانكاره وهم فى محاولة يائسة لاثبات ذلك قاموا بتحوير وتبديل الصفات الذاتية الثبوتية الثلاث وهى : «الابوة والبنوة والانبثاق». بادعاءات باطلة استنبطوها بتحريف نصوص الكتاب المقدس عن معانيها الصحيحة، وذلك بالتتابع على الوجه الآتى :-

أولا : من جهة الأبوة :-

يتساءل شهود يهوه : «كيف يمكن لشخص ما أن يكون أباً، ويكون ابنه فى

قدمه »!؟ وهم يسيرون هنا على القياس البشرى، وينسبون زوراً للكتاب المقدس أنه عندما يتكلم عن الله بصفته آباً ليسوع، فهو يعنى انهما شخصان منفصلان، وان الله هو الاكبر ويسوع هو الاصغر ...

ولقد قال أثناسيوس فى عصره رداً على ذلك : "فالآبُ آب حقاً والد وليس مولودا، والابن ابن حقاً مولود بطبيعة الجوهر قبل الادهار كلها بلا بدء للوالد ولا للمولود، فلم يكن من قبل مولد الابن زمان ولا كان من بعد أن لم يكن، بل لم يزل الابن مع الآب وفيه أزلياً مع أزلى، لأنه لم يكن الآب قط آباً إن لم يكن له ابن، ولم يكن ليدعى آباً قط إلا لوجود ابنه الوحيد، فلو كان لم يكن له ابن لم يكن هو آباً، وان كان قد صار له ابن من بعد، فمن بعد صار آباً ولم يكن قبل ذلك آباً، مما يدخل الحدوث على صفته كآب، ومن ثم فان ازلية الله كآب تستدعى ازلية ابنه أيضاً، وتستوجبها، إذ لولاها لما سمى الآب آباً - وهذا القول يلزمه التغيير بالانتقال من انه لم يكن آباً الى ان صار آباً، وهذا من اشنع الكفر، لانه لايستقيم أن يقال ان **جوهر الله عادم عقل وروح!!**

أما عن أزلية هذه الابوة فقد ورد عنها فى (اشعياء ٦٣، ٦٤) القول : **"أنت يارب أبونا، ولينا منذ الأبد" (أى الازلية السابقة)، كما جاء عن أزلية الابن قوله فى نفس السفر (ص ٤٨: ١٦) "منذ وجوده أنا هناك" وهو نفسه الموصوف من قبل هذا النص بالقول : "أنا هو (يهوه)، أنا الاول وأنا الآخر ويدى اسست الارض ويمينى نشرت السموات" (ع ١٢، ١٣) مما يتضح منه ان الآب قديم أزلى - وليسا حادثا - وأن ابنه أزلى معه كذلك!!**

ويصف اثناسيوس هذه الصدورات بالقول : "بانها بلا سابق ولاحق وليس فيها أكبر وأصغر، ولا أول ولا ثان، ومن ثم لايوجد بين اقانيمه درجات تجعل احداها أفضل مقاماً أو أقدم وجوداً" ...

ويعتبر كلام اثناسيوس هذا خير رد على الاسترسال فى تطبيق تخريجات باطلة على يسوع تخالف ماأعلنه الكتاب عن الآب والابن ومساواتهما التامة قد وصلت الى حد المغالاة فى الكفر بالثالوث!!

ثانياً : من جهة البنوة :-

قال المعترضون على الصدورات عن بنوة المسيح ما يأتى :-

- **انها بنوة مجازية** مستعارة من بنوتنا البشرية.
- **ان الابن موجود بطبيعته** بلا كيفية لبنوته.
- **ان الابن هو هكذا بطبيعته** - ذاتياً وازلياً - بغير ولادة أو خلق.
- **ان عبارة كوحيد من الآب** تشبيه عاطفى من رسول المحبة.
- **ان لفظة المولود الوحيد** تعبير يتضمن معنى المعزة أو المحبة العظمى.
- **ان ابن الله ليس كائناً مولوداً من الله** اذ لا ولادة فى اللاهوت.

يقول شهود يهوه ان التعبير «المولود الوحيد» يجب ان يكون معناه حسب تعريف قاموس وبستر «الولادة أو التناسل» ويزعمون بأن الثالوثيين جميعهم لايطبقون هذا المعنى على يسوع ويستنبطون من وصف اسحق بالوحيد وهى نفس الكلمة اليونانية التى قيلت عن يسوع وترجمتها الحرفية «المولود الوحيد» **المقطع الاول منها "مونو" يعنى "الوحيد" والثانى "جينيس" يعنى "المولود"** ويفسرون المعنى بأنه بلا اخوة ولا أخوات - ثم ينفون عنه صفة «الوحيد» بسبب خلق كائنات روحية اخرى دعيت ايضاً «بنى الله» بالمعنى نفسه كما دعى آدم أيضاً «ابن الله» - أما سبب تميز يسوع عنهم فهو كونه «الابن المولود مباشرة من الله» - وهذه الولادة هى خلق مباشر له من قبل يهوه الله وانه لذلك يقف فى رتبة مختلفة وله منزلة ارفع من الجميع - ومع ذلك فهو ابن بطريقة حرفية كما هو الحال مع آب وابن طبعيين!

* *

لقد ادت فكرة الولادة بالتناسل الى قول بعض الثالوثيين عن بنوة الابن الوحيد بأنها نوع من العلاقة بدون ولادة. وذلك تجنباً لسوء الفهم الناتج عن استعمال كلمة التناسل وهذا مايذكره هوكنج فى كتابه «ابن محبته» (ص١١٣) بقوله : «أما التعبير التناسل الأزلى فلا أساس كتابى له اذ كيف يتسنى ان يكون لاهوت الابن مشتقاً من آخر ؟ أو كيف يتسنى للبنوة الأزلية ان تمنح بالتناسل ؟» **ظناً منه أن الولادة فى اللاهوت تعنى اشتقاقاً أو منحاً!!**

وقد وردت فكرة الاشتقاق فى شرح بشارة يوحنا لمفسر انجيلى مشهور تعليقاً على قول المسيح انا اعرفه لانى منه (يو٧ :٢٩) لكن ماقاله عن ذلك ليس صحيحاً ، لانه وان كان ليس هذا معناها فى اللاهوت بل هو محال ، **لذلك فهى تعنى الولادة حتماً دون ان تفيد الاشتقاق قطعاً** لأن الاشتقاق لايجوز على الجوهر الالهى كما يفيد التجزئة والتقسيم وهذا ايضاً مما لايجوز فى هذا المجال!!

ومن الغريب ان المفسرين المحدثين بدأوا يقبلون - تحاشياً لفكرةالتناسل - عبارة : "ان الله لم يلد ولم يولد" ويثبتونها فى كتبهم منكرين بذلك الولادة الطبيعية فى اللاهوت ظناً منهم انها هى والتناسل الذى ينسب الى المخلوقات على حد سواء!

ومن أمثلة ذلك ماقاله مؤلف كتاب : «الله ذاته ونوع وحدانيته» عن بنوة ابن الله بانها روحية محض لان ابن الله ليس كائناً مولوداً من الله ، لان الله لا يلد ولم يولد - وكما ورد فى مجلة رسالة المحبة فبراير ٦٤ بأنه ليس هناك والد ولا مولود فى اللاهوت لان هذه اعتبارات تصير فى المخلوقات ، وحاشا ان ننسبها لله تعالى لان الله لايلد ولا يولد فالمقصود بالبنوة هنا - بحسب قولهم- مدلولها لاحرفيتها ، فلا يقصد باستعمالها الولادة مطلقاً بل هى مجرد تعبير بشرى ليكون مفهوماً منا ...!!

ترى ماذا حدث لمعلمى المسيحية وقادتها حتى وصل بهم الحال

إلى ترديد نفس الكلام الذى يقوله اصحاب التوحيد المطلق فينكرون بذلك الولادة ويهزأون بها قائلين : «ان الابن ليس مولودا بالمرة وكل ذلك لتصورهم فيها «التناسل الجسدى» ومعنى الاشتقاق والانفصال والمنح، مع انها لا تقبل ما يتصورونه من هذا القبيل مما اوقعهم فى هذا الموقف المتناقض الذى يزيد الامر تعقيداً»...!!

أما تفسير أهل التوحيد انفسهم لعبارة : "ان الله لم يلد ولم يولد" فهو أنهم ينفون به تولده عن غيره أو أن يتولد عنه مثله، لانه لو تولد عنه مثله لشاركه بشيء وتميز عنه بآخر - وبحسب زعمهم لايكون التولد والتميز إلا فى المادة، ومن ثم لايجوز له تعالى ان يفيض الوجود على مثله، وكأنه يخلق إلهاً آخر من هذا الفيض مع أن ذلك من الاشياء المستحيلة بالنسبة لله، ولذلك قيل عن الابن : «انه مولود غير مخلوق» لانه لو كان مخلوقاً لما كان مساوياً لأبيه فى الجوهر لان أحداً لايقدر ولا يمكنه ان يخلق مثله بل يمكنه ان يلد مثله ، لان كل ابن مثل أبيه.

وانما جاء الخلاف هنا بالاكثر حول نوعية بنوة المسيح لله وهل هى على الحقيقة أم على المجاز - وكانت النصرانية من قبل هى التى جعلتها على المجاز ونفت الولادة والمولودية عن الله بتاتاً فجاء القرآن وسلك طريقها بقوله : «لم يلد ولم يولد»، وأيضاً «ما اتخذ الله من ولد»، فقضية الولد والولادة هنا انما هى قضية أتخاذ! وجل الله عن الصاحبة والولد : «مااتخذ صاحبة ولا ولداً» «انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة»، فلا تفهم الولادة والبنوة بذلك إلا بالتناسل الجسدى .. والله لا جسد له .. لذلك فقوله «لم يلد ولم يولد» يقابله قسمه «ووالد وما ولد» ويرتبط به الاستدراك «قل : ان كان للرحمان ولد فأنا أول العابدين» (الزخرف ٨١) انما يدل ذلك على انه ليس للرحمان من ولد عن طريق التناسل أو الاتخاذ، وأجل فان الأمر كذلك ولكن ابنه يسوع لم يكن ولداً لله من هذا القبيل وانما هو «ابنه» عن طريق النطق الروحى الذاتى فى ذات الله، أفلا يكون القول الذى يصفه بانه «كلمته وروح منه» هو بعينه المدلول على انه «ابن الله»!! **وهو الاجدر بتطبيقه على ولادته الروحانية الفائقة للعقل والادراك!!**

* *

ومن ثم فان ولادة هذا الابن الوحيد الفريدة، تتميز بانها طبيعية متصلة فى الجوهر الالهى، واصطلاح الآب والابن هما فى اللاهوت فقط ينحصران أبداً فى معنيهما بخلاف ما هو حادث فى البشر لان الله لايماثل الانسان وطبيعته لاتتجزأ، لذلك فانه هو نفسه لم يلد ابناً بتجزئة نفسه وليس الابن جزءاً من الاب ولذلك ليست ولادته اذن إلا كصدور الكلمة من العقل : فهى تساويه فى الجوهر وهى شىء آخر غيره، كذلك الابن هو آخر غير الاب باعتباره كلمته ولكنه من وجه آخر مساو له فى الجوهر ...!! ونحن بذلك قد استعرضنا هنا كافة أوجه الاعتراض على «الولادة» فى اللاهوت لكى نبين انها لاتقوم على أسس سليمة ومن ثم فانها واجبة الرفض وعدم القبول!!

* *

ولذلك فاننا لسنا ندرى ماذا يقصد المفترون على الثالوث بوصفهم ولادة الابن بأنها بالمعنى الطبيعى وبطريقة حرفية وكما هو الحال مع آب وابن طبيعيين بزعم التطابق بين الوضعين الالهى والبشرى هنا - فى نظرهم - مع ان هذه الولادة الازلية - هى احدى الورودين القائمين فى الذات السرمدية بطبيعة الجوهر، لانها ورودات مصدرها الكيان الطبيعى للجوهر أى أن جوهر كيانه تعالى فيه هذه الصدورات تلقائياً بحسب طبيعة الوجود الإلهى ...

ومن ثم فان تمثيل هؤلاء المنكرين ولادة الابن الفريدة بالولادة الطبيعية بحسبان انها تطبيق لكل حالة بين كل اب وابن بشريين، انما هو ادخال لتلك الولادة السامية فى نطاق الولادة الجسدية المألوفة بموجب قانون التناسل، وهذا حط بشأنها إذ حاشا ان تتشابه بالولادة فى الناس - والاقتصار هنا على المعنى الذى ذهبوا اليه فى تخبطهم الاعمى إنما هو أمر معيب ومشين ولم يقل به أحد - سواهم - ولا قبله المسيحيون فى أى عصر!!

وقد رد عليه اثناسيوس بالقول : «لاتقولن كيف يلد الله ولا متى، لأن الله

فوق كيف ومتى، فتلك الولادة ليست فى زمان لان الله من قبل كل الدهور وليس يبلغه زمان - **والولادة فى اللاهوت ليست كما فى الناس فهى بلا سيلان ولا تركيب ولا انتقال ولا تغيير ولا تكثير، ومعاذ جلال الله من ذلك، لانه لا يلزمه شىء منها" - وانما هى كولادة النور من النور - ولادة لطيفة من غير مباضعة (تجزئة) ولا مجامعة، وبغير تعب ولا حبل ولا نقص. لانها أيضاً بلا أم فى اللاهوت، فهى أيضاً ولادة أزلية قبل ان تكون مريم بل الكون كله فى رحم الوجود!!**

ومن ثم فان وصفهم هذه الولادة بأنها بطريقة حرفية يقصدون به التماثل مع ما هو حادث بين البشر قد أخطأوا وضلوا السبيل فى هذا التشبيه العقيم، ولكن هذا ما ذهبوا اليه بتشبيههم الله بالانسان وقولهم عن ذلك : «هل يمكن لرجل ان يصير أبا لابن دون أن يلده؟ وهم قد حطوا بذلك بشأن الولادة فى اللاهوت وجعلوها على المستوى البشرى فوآسفاه!!»

وردنا عليهم هو انه مع ان كل ما يتعلق بعالم الروح - وبالأولى كيان ذات الله السرمدى البسيط المطلق - يختلف اختلافاً بيناً عما يتعلق بعالم الحس، إلا ان الحرفية فيه لاتتنافى مع الحقيقة رغم كون واقعها روحياً، والمقصود بذلك طبعاً ان التمسك بحرفية النصوص المعلنة لهذه الولادة الفائقة لاينفى حقيقتها بل يثبتها ولكن ذلك على النحو الذى يليق بالذات الإلهية، بدون أن نوافقهم على ان معنى الحرفية هو الاحوال الطبيعية التى تجرى بين الناس، اذ شتان مابين ما هو حادث فى نطاق الكائنات البشرية وما هو قائم فى الذات الالهية من جهة الولادة فى اللاهوت اذ لاوجه للمشابهة هنا ولا للقياس، ولكنها تجاديف هؤلاء الشهود - شهود يهوه - غير الامناء، وهى تستوجب كسر اقلامهم وسد أفواههم ... أما محاولتهم اصطناع تشبيه بين اسحق والمسيح، لاستخدام كلمة وحيد للأول فانما استخدمت له مجازياً - واذ هم لايراعون الفارق - وهو ظاهر فان كان لاسحق اخوة واخوات - كاسماعيل من هاجر وأولاد من قطورة بعد سارة، **أما المسيح فليس هو**

"وحيدا" بل "الوحيد" لانه وحيد ابيه فى السماء كما أنه وحيد أمه على الارض، وليس هناك أدنى تطابق بين ولادة اسحق الطبيعية ولو أنها بوعد، وولادة ابن الله السرمدية بطبيعة الجوهر لان الآب لن يكون ازلياً بدون ابنه الازلى ولكونه الآب السرمدى فهو كذلك لان ابنه أيضاً سرمدى ... ولذلك فانه مما لاشك فيه هنا ان التشبيه الذى جاءوا به هنا انما جاء مخالفاً لقاعدة التشبيه مع الفارق متجاهلين بذلك الفوارق التى فيه، باذلين كل ما فى وسعهم من منطق كاذب لكى يجعلوا هذا التشبيه تطابقاً تاما ومن جميع الوجوه، وهيهات أن ينفعهم ذلك بشىء.

* *

أما وصف المسيح بأنه «آب أبدى» أو «الآب الأبدى» الذى ظن البعض انه خلط بينه وبين الآب دفعهم الى انكار مخاطبة المسيح بصيغة انه «آب» أو «بابا يسوع»، فانما يدل على تفريد عن البشر فى ذلك أيضاً، فان الآباء الارضيين يموتون ولا يخلدون، أما هو فآب ابدى آب لجميع البشر كآدم الثانى، ولذلك قال للمفلوج. «ثق يابنى»، وقال لتلاميذه : «ياأولادى». ورغم ان ايامه على الارض لم تتجاوز ٣٣ سنة وكان بطرس أكبر منه سناً ومع ذلك قال لهم ياأولادى ويقول كاتب العبرانيين عنه : انه آت بابناء كثيرين الى المجد، وهذا يؤيده نبوة اشعياء القائلة : انه جعل نفسه ذبيحة اثم، يرى نسلا تطول أيامه.!!

ثالثاً : من جهة الانبثاق :

نؤمن نحن المسيحيين - بحسب عقيدة الثالوث - ان الروح القدس هو الاقنوم الثالث فى الذات الالهية، وهو مساو للآب والابن ... وهو بالطبع متميز فى اللاهوت عنهما!! ولكن مما يلفت النظر ان منكرى اقنومية الروح القدس يتجنبون العبارة الوارد فيها عنه انبثاقه من عند الآب أو كما فى ترجمات اخرى من الآب (يو١٥ :٢٦) وواضح من اعلانات الوحى بأنه لايوجد اكثر من مصدر واحد لصدورى "الولادة والانبثاق"، لان المصدر الوحيد الذى يمكن أن يقال عنه بحق المصدر الازلى لابد أن

يكون واحداً - وهذا المصدر هو الآب والكلمة والروح صادران منه وهما فيه وله، وليس بينهم ادنى اختلاف لا فى الجوهر ولا فى القدم ولا فى الكمال - وهذا يوضح لنا كيف ان صدورى "الولادة والانبثاق" هما وجها وجود الابن والروح القدس لكونهما يدلان على حال وجودهما!!

و «الانبثاق» هنا وراد من الآب فى الابن - وليس من الآب والابن كما ارتأت الكنيسة الغربية - لانه اذا كان منبثقاً منهما ففيم إذاً ينبثق، لكنه منبثق من الآب فى الابن، الذى بقيامته صار وسيط الفداء ويعتبر ارساله الروح القدس بمثابة ختم المصادقة على عمله الفدائى - ولذلك قيل عنه : «إذ ارتفع بيمين الله أخذ موعد الروح القدس من الآب ...» (اع ٢ :٣٣) - وهنا تعترينا الدهشة اذ كيف يسوغ ليسوع - الذى يعتبره شهود يهوه روحا مخلوقا أن يتسلط على يهوه الله وينتزع منه روحه بيده ويسكبه على تلاميذه ؟ ان هذا الاعتراف لا يستقيم معناه إلا بالايمان بان المسيح هو أقنوم إلهى فى اللاهوت كالآب تماما أما الروح القدس هنا فبالاضافة الى الاقوال المؤيدة لأقنوميته، فان هذه قد تأكدت بالأكثر لاستعمال الضمائر الشخصية له والتى لايجوز استعمالها إلا للذات العاقلة فقد ورد عنه - انه يرشد ويعلم ويخبر ويبكت ..الخ، وهذه الاعمال التى نسبت اليه لا يعملها سوى شخص عاقل!!

ويظن البعض خطأ أن "الانبثاق" يعنى "الظهور" أو "الارسال"، مع ان هذين حدث زمنى، أما الانبثاق فهو ورود أزلى تلقائى، فضلا عن حتمية الاختلاف بين الظهور والصدور لفظاً ومعنى - وأما الارسالية فقد نسبت للآب والابن معاً كما سبق الشرح والبيان!!

ولقد حاولوا أن يثبتوا تفسيراتهم السابقة بتصور وجود فرق فى العبارة الوارد فيها الانبثاق بين من عند الآب ومن الآب، وان كلمة عند هذه الواردة فى اللغة العربية تفيد - من وجهة نظرهم - تحويل معنى الانبثاق من الصدور الى الظهور والارسال، مع أنها لا تؤدى بالضرورة الى ذلك، كما أنه لايجوز الخلط بين هذه الكلمات كما سبق الايضاح، فضلا عن أن الوحى قد وصف الروح القدس بأنه روح الله والروح الذى من الله وروح الآب وروح إبنه!!

ومن ثم فان «الولادة و الانبثاق» صدوران فى اللاهوت ليسا حادثين فى زمان ما، بل هما حقيقة أبعد من أن ينحصرا أو يوجدا فى وقت ما ولا فى مكان ولذلك فليس فيهما مدة قبلهما ولا بعدهما ولا معهما ..!!

ضلالة الربط بين صدورى الولادة والانبثاق والخلق :

لقد قام شهود يهوه بالخلط بين الولادة والخلق بقولهم عن يسوع انه هو وحده المولود مباشرة من الله وفى اعقاب ذلك قالوا «ان الله خلق يسوع مباشرة» - **وكلمة مباشرة هنا تخزيهم، لأنها على أية حال تدل على تفرد يسوع فى نوعه عن سائر المخلوقات الأخرى** ...

أما الربط بين «الولادة» و «الخلق» فى عباراتهم هذه التى استقوها من بدعة آريوس، وكذلك بين الانبثاق والخلق بحسب بدعة مقدنيوس اللذين رفضا الإقرار بصدور هذين الاقنومين فى اللاهوت بطبيعة الجوهر، واعتبرا صدورهما كسائر المخلوقات بالمشيئة والقدرة الإلهية، مع أن الفرق بين الصدورين والخلق لايقف عند حد.

أما آريوس المبتدع فكان يقول : «ان الابن بالضرورة خليقة الله وهو يفرق عن الآب بالكلية والجوهر، ولم يكن إلا أول الخلائق، وزعم أن خلق الابن هذا، هو مايسميه الكتاب «ولادة»، وان هذه الخليقة - بحسب زعمه - تسمت بابن الله بالمعنى المجازى فقط ...»

وكذلك اعتبر مقدنيوس فيما بعد «الروح القدس» صادرا عن الآب والابن على انهما مخلوق منهما - مكملا بذلك ما بدأه أولهما من انكاره الولادة فى اللاهوت واعتباره بنوة الابن مجازية بعد أن قام بخلط الولادة بالخلق - الأمر الذى انكر بسببه بعضهم الولادة كلية فأوصلهم ذلك الى القول بان الابن هو هكذا بغير ولادة أو خلق، وعلى اثر ذلك جاء هذا الهرطوقى الثانى فربط الانبثاق بالخلق وجعلهما واحدا، وذلك لانكار حقيقتهما، مع انهما فى الواقع عكس الخلق تماماً، اذ ان

الجوهر الالهى منزه عن وجود خليقة فيه!! اذ كيف يحسب الابن والروح القدس ضمن المخلوقات، مع انه ليس هناك ادنى ارتباط بين صبدورى "الولادة" و"الانبثاق" والخلق، لانهما صدوران كيانيان فيه تعالى لايتوقفان ولا ينتهيان أبداً، فانهما من ذات جوهره وفيه!! وما كان كذلك لايمكن أن يكون مخلوقاً، لأن كل ما يوجد فى الله هو عين ذاته لذلك قال الابن : "كل ما للآب هو لى" (يو ١٦:١٥) كما قيل عن الروح القدس : "يفحص كل شىء حتى أعماق الله" (١كو ٢:١٠) مما يحتم أن جوهر الابن والروح القدس غير مخلوق، بل هو نفسه جوهر الآب فالولادة - والانبثاق اذا عكس الخلق تماما، لأن الابن المولود والروح المنبثق لايمكن أن يكونا مخلوقين لكونهما من ذات الله، وأما المخلوق فقد خلقته المشيئة الإلهية من العدم التام فى وقت معلوم!! ومن ثم فلا الولادة ولا الانبثاق خلق من لاشىء، لأن ذلك يحط من درجة الابن والروح ويؤدى الى اعتبارهما خلائق الامر الذى يتنافى مع مساواة الاقانيم ...

* *

واذا فما زعمه اشهر منكرى الثالوث وهما آريوس الذى زعم أن صدور الكلمة هو حركة الى خارج - لئلا يضطر بحكم حقيقة هذا الصدور الى الإقرار بان ابن الله ليس خارجاً عن جوهر الآب وانه كصدور الكلمة من العقل صدوراً داخلياً دون فصل أو تفرقة بين الصادر ومصدره، ومقدنيوس الذى توهم عن الروح القدس بأنه يضاف الى الله من خارج، فحسبه مجرد قوة أو تأثير أو عمل الهى، أما القديس باسليوس فقد وصف صدوره بالقول : "فلا تفهمن من انبثاق الروح القدس من الآب ان ذلك كصدور شىء خارجى مخلوق"!! ولذلك فانه بالنسبة لنا، ليس روح الله عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته، فاذا قلنا ان الروح القدس مخلوق، فقد قلنا ان حياته - سبحانه - مخلوقة، فلا يكون له حينئذ حياة فى ذاته، ويصبح حينئذ غير حى، وبذلك نكون قد كفرنا به - ومن كفر به وجبت عليه اللعنة ...!!

كل هذا قد وصل اليه اصحابه بسبب انكارهم لحقيقة ان الله لابد من ان يكون حيا ومتكلما - فكيف يكون متكلما بغير كلمته الذاتية، وكيف يكون حيا بدون روحه الذى هو حياته!!

أما ماقاله أبوزهرة عن الروح من أن : روح القدس خلقه الله واتخذه ليكون رسولا بينه وبين من يريد ان يلقى عليه وحياً من خلقه فمردود لانه وان كان تركيز الوحى فيه حقا لكن الزعم بخلقه ليس صحيحاً بالنسبة لكونه روح الله اذ يستطرد هذا المنكر للثالوث الى القول عن الروح القدس : بانها هى ليست روح الله المتعلقة بذاته - فهل هذا منطق سليم ومقبول!؟

وعلى هذا النهج اعتبر البعض الروح القدس انه الملاك جبرائيل - لانه حامل رسائل الوحى - فى نظرهم وذلك لكونه قد حمل جانبا - من رسائل البشرى كما فى ولادة يوحنا المعمدان والمسيح ولكن هذه ليست رسائل الوحى بالاطلاق، ولذلك فان هذا التفسير لاتقره المسيحية، وخاصة لان الملاك جبرائيل ملاك مخلوق يتساوى شأنه مع باقى الملائكة الاطهار - وهم ارواح قد خلقها الله من ريح ونار - **لكنهم ليسوا روح الله الذى هو إله خالق بدليل قول الكتاب عنه "روح الله صنعنى" (اى ٣٣:٤) وأيضاً "ترسل روحك فتخلق" (مز ١٠٤:٣٠) أفيكون روح الله بعد ذلك مجرد قوة معنوية، وهو القول الذى ينفون به من جانبهم كونه أحد أقانيم الله!!**

* *

وهم قد وقعوا فى حيرة عند تفسير القول : «يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى» مع ان معنى ذلك أن الروح صفة أو طبيعة تفوق الادراك البشرى وان امره مقصور علمه على الله تعالى ... فقالوا عنه أنه جبرائيل أو روح عيسى أو الاسم الاعظم الذى كان عيسى يحيى به الموتى، وادعوا ان اضافته لله انما هو للتشريف - **وهذا هروب آخر لايبرره نسبة النفخ الى الروح كوسيلة لايجاد الحياة وبعثها** - وقد خلطوا هنا بين الروح القدس (الاقنوم)

وأرواحنا البشرية فقد قال الرازى عن ذلك : "**ان كل أحد روحه هو روح الله**" **وهذا خطأ فاحش لانه يقتضى أن يسمى كل واحد نفسه روح الله، مما نتج عنه احياء نظرية الفلسفة الاغريقية القديمة التى كانت تعتبر ارواح البشر نفخات إلهية من ذات الله** - وهذا ما لا يزال يردده كثيرون باعتباره فى نظرهم اساس مبدأ الخلود الطبيعى منكرين بذلك ان الخلود اكتسابى اى مجرد منحه من الله لبنى البشر ...

ولقد جاءت كل هذه الترهات لعدم تسليمهم بان روح الله غير أرواح البشر - مع ان هذه الحقيقة بديهية لاتحتاج الى مناقشة أو برهان - وذلك كله من جانبهم لأجل التخلص من الثالوث وهيهات اذ انهم قد تصوروا بان الاقانيم آلهة اخرى مع الله فأوقعهم ذلك فى هذا التصور الباطل عن ابن الله وروحه!!

وأما منكرو الثالوث - من أهل البدع التى ظهرت داخل المسيحية - منذ عادوا الى ترديد هرطقة مقدنيوس عن الروح القدس، كما سبق لهم اعتناق بدعة آريوس عن الابن، فوصفوا الروح بأنه ريح أو نسيم واعتبروه شيئاً لاشخصاً، وحسبوه مجرد طاقة أو قدرة الهية هى فى نظرهم قوة الله الفعالة وعلى حد قولهم هى قوة مضبوطة تحت تصرف الله وخاضعة له يستعملها لينجز بها مقاصده - انها فى نظرهم قدرة فوق العادة لفعل مالا يستطيع البشر أن يفعلوه، وهم بذلك ينكرون أقنوميته، والحقيقة انهم يتنكرون لها لتجنب الاقرار بالثالوث!!

فاذا كان الروح القدس - حسب زعمهم - قوة من الله فحسب، **يتحتم أن تكون فيه قبل أن تصدر منه، وإلا فان كانت خارجة عنه لايكون لها علاقة ما به - فاذا ما كانت فيه لايمكن إلا ان تكون إياه - أى انها الله نفسه - إذ لايمكن ان يكون هناك شىء ما فى الله يعتبرونه خارجاً عنه، وينسبونه اليه تعالى، فى حين ان ما فى الله لن يكون هكذا دون ان يكون هذا الذى يصفونه بأنه فى الله هو ذاته نفسها!!**

* *

الفصل السابع عشر

كثرة الصفات فى الذات إثبات للثالوث

«القديـــر لا ندركـــه» (أى ٣٧:٢٣)
«عجيبة هذه المعرفة فوقى. ارتفعت
لا استطيعها» (مز ١٣٩:٦)

١ - صفات الذات الإلهية :

الصفة وصف يبلغك حالة الموصوف ويوصل الى فهمك معرفة حاله، ولذلك تدل الصفات على وجود الذات - لأن لكل موجود صفات تميزه، وليس هناك شىء بلا صفة إلا غير الموجود ...

هذا وقد أجمع الباحثون فى الإلهيات على أن : «الله ذات وله صفات قديمة مع ذاته»، لانه لما كان سبحانه ذاتا، كان لابد له تعالى من صفات يتصف بها وعلاقتها معه علاقة الصفة بالموصوف، ومن ثم فإن وجود هذه الصفات قائم بوجود الذات ...

ومع ان الصفات بوجه عام هى معان معلومة، وأما الذات فهى أمر مجهول، والمعانى المعلومة بالطبع أولى بالإدراك من الأمر المجهول، إلا أن صفات البارى هنا من مرتبة تفوق الوصف ولذلك فهى مجهولة الكنه، ولأنها من مقتضيات كماله تعالى، كان من غير الممكن الاحاطة بها وذلك على حد سواء مع حقيقة ذاته - ولا غرابة فى ذلك لانه لما كانت الذات الإلهية تفوق التعبير كان من غير الممكن إدراك صفاتها - فمعرفة حقيقة ذاته تعالى وصفاته فوق العقل البشرى ..!!

وانما قد تحققنا عقلا وجود ذاته تعالى بما يكون لها من صفات تدل على

وجودها، مع أن صفاته فى نفس الوقت أبعد من ان نستطيع تحديدها، وهى ازلية لاتستلزم وجود مخلوق يستدل به عليها ، فليس من شروطها ان تثبت لموصوفها بوجود من يصفه بها، بل هى صفات ثابتة لايبطلها جهل من جهلها كما لايثبتها علم من علمها ولذلك وجب أن تكون الذات الإلهية متصفة بالوجود والقدم والبقاء والوحدانية وسائر صفات الكمال. فليس فى هذه الصفات ما يغاير العقل أو ينفيه!! اما وصفها بالوحدانية فذلك انما لكونه المتوحد بوجوده اى انه إله واحد لاثانى له، ولا شريك معه، لكونه غير متناه، واللا متناهى واحد فقط اذ لامكان لشىء خارجه وهو لايتغير ولا ينتقل من حال الى حال.

٢ - مشكلة تعدد صفات الله مع توحد ذاته :

لاشك ان الكلام فى صفات الله فى غاية الصعوبة، لأن معرفة حقيقته تعالى جهل واضح بالمطلوب، لذلك عجزت العقول عن كيفية إدراكه وكلت الافهام عن معرفة كنهه، ومن ثم لم يستطع الباحثون إدراك نوع العلاقة بين صفات الله وذاته وقرروا انها من المشكلات :

أ) وهى تبدأ بمشكلة كيفية اجتماع الصفات الكثيرة فى الذات الواحدة، فمع انه لايمكن تصور انفصال الصفات عن الذات بوجه من الوجوه، إلا ان **العجيب فى الأمر انه رغم صفاته المتعددة إلا أنه تعالى ذات واحد غير متعدد - والعقل لا ولن يستطيع الوصول الى كيفية ذلك ..**

ومن ثم فقد حارت الألباب فى كيفية حفظ وحدة القديم مع وجوب اتصافه بصفات متعددة، لأن مجرد إسناد الصفات اليه معناه إسناد كثرة فيه بوجه من الوجوه. ولما كانت ذاته واحدة وصفاته كثيرة كان جمعاً فى وحدة!!

قال صاحب التحقيق : «أرى الكثرة فى الواحد» وقال صاحب المواقف : «حيث صفاته تعالى حقيقية لم يكن هو حقيقياً واحدا من جميع جهاته» (ص٣٨٥) وقال آخر : «ان الحقيقة الوجودية واحدة فى جوهرها وذاتها، متكثرة بصفاتها وأسمائها»، فهو من حيث وحدانية ذاته شىء واحد - والواحد لا كثرة فيه - ولكن أحديته شملت الكثرة المتنوعة من صفاته، وقد اقرت

الاشاعرة بهذا التعدد الاعتبارى فى الذات العلية، اذا ماأريد لصفاته تعالى أن تكون حقيقية فقالوا : «ان الله لم يكن بسيطاً بالنسبة الى صفاته» كما شهد لنفس الحقيقة أحد اقطاب الصوفية بقوله :

الكل فيها واحد متكثر فأعجب لكثرة واحد بالذات

فهذا التكثر فى الصفات - موضوع تعجب - لانه يتنافى مع وحدانية الذات، ويؤدى الى وجود شركاء مع الله أو تركيب فى ذاته والحال أنه منزه عن كلا الأمرين. ولكن كما هو واضح تماما ان الاستدلال من ذلك هو أن : **"التعدد فى الصفات لايقدح فى وحدة الذات"، فالوحدة لاتمنع التكثر من كل الوجوه وليست هى ضده بدليل الاعتراف بكثرة صفاته تعالى التى تسمى مجموع الصفات الحسنة وهى تبلغ ٩٩**

أما عن كيفية وجود هذه الصفات المتعددة فى الذات الواحدة، فقد تساءل العلماء : هل يعتبر ذلك تناقضاً لوحدانية الذات، أم أن هناك تفسيراً لهذا التعدد!؟ يصف ذلك ابن تيمية بقوله : ان ذات الله تعالى ملازمة لصفاته، وصفاته ملازمة لذاته، وكل صفة من صفاته اللازمة ملازمة لصفته الأخرى - ومع أن ذلك يدل على وصف ما يليق به ولكن بدون كيف!!

ومن ثم لم يستطع الباحثون إدراك العلاقة بين صفات الله وذاته، وأقروا انها من المشكلات، وقصارى قولهم عن هذه المشكلة هو : «أن صفات الله متعددة وأما الكيفيات فمجهولة» ومنهم من أمسك عن البحث عند هذا الحد بحجة أن الخوض فى صفات البارى لايجوز لأن العقول تعجز عن إدراك أحكام البساطة الإلهية ومع ذلك فقد أجازوا لأنفسهم تأويل الصفات على النحو الذى يليق بجلاله تعالى - على أن البعض الآخر ازاء العجز عن تفهم كنه هذه الصفات وكيفية اتفاقها مع وحدانية الذات قال عن صفاته تعالى : أنها تدل على صفة واحدة هى الكمال - وهو مطلق - تعجز عقول البشر عن إدراكه ... **على أن بعضهم كان اكثر تدقيقاً بقوله: "وماعرفناك حق معرفتك" وأيضاً "هذا إشكال لم يتأت لنا حله نسأل الله أن يهدينا".**

ب) واذا كانوا قد قرروا الصواب بأن معرفة الانسان لنفسه وصفاته لم يصل الإدراك فيه الى إثبات شيء منها فيما عدا انه موجود له شعور وارادة - **فماذا يكون مانقرره بالنسبة الى ذلك الموجود الأعلى اللامتناهى!؟** الأمر الذى لايمكن معه وصفه بتعدد الذوات لان هذا باطل اذ انه يؤدى الى أن يكون لكل ذات منها صفات تلائم تعينها الخاص - **وهذا تخالف ذاتى يستحيل معه الوفاق وهو ما لا يقول به أحد.**

وكان جوابهم هنا أنه يكفينا من العلم أن نعلم ماهو متصف به، وأما ماهو وراء ذلك فهو مما يستأثر به هو فى علمه، فيكفينا معرفة وجوده وصفاته الأكملية، وأما كيفية الاتصاف بها فليس من شأننا أن نبحث فيها، لان كيفية وجود صفاته المتعددة فى ذاته الواحدة أمر مجهول منا تماما!!

وأما ما يقال عن وحدته - جل شأنه - بأن له هذه الصفة ذاتاً ووصفاً ووجوداً وفعلا : فانما يقصدون بوحدته الذاتية نفى التركيب فى ذاته، وأما الوحدة الوصفية فهى أن لايساويه فى صفاته الثابته له أى موجود، أما الوحدة فى الوجود وفى الفعل فهى تفرد واجب الوجود وأن لا شريك له فى وجوده وفيما يفعله!! وهذا هو معنى وصفه بالوحدانية النوعية اى الفريدة التى تميز وحدانيته عن سواها وتوجب التسليم التام بها .. وهذا هو اهم معانى التوحيد : انه الموجود الذى حقيقته ليست حاصلة لغيره!!

٣ - وحدة الذات مع تعدد الأقانيم أمر واجب التسليم :

وحيث أنه قد ثبت أن الوحدة والتعدد ليسا ضدين بل يجتمعان بالصفات والذات إذن فاجتماعهما فى وحدة الذات مع تعدد الاقانيم أقرب الى القبول والتسليم، **لأن من يسلم بتلك يجب أن يسلم بهذه أيضاً ... فلماذا اذن عدم التسليم بالأقانيم بزعم انها تناقض وحدانية الجوهر الإلهى، مع أن هذا ما استقرت عليه العقيدة المسيحية الاساسية فى الله منذ بدء ظهورها ...!؟ ومن ثم فان وحدانية الجوهر الالهى لاتنفى وجود ثلاثة الأقانيم فيه، وكذلك وجود ثلاثة الأقانيم فى الجوهر الإلهى لايتنافى مع وحدانيته ...**

فاذا أمكن أن تجتمع فى الله عند أهل التوحيد المطلق صفات بلغت ٩٩ صفة وبقى على وحدانيته، فان اجتماع ثلاثة أقانيم فقط فى لاهوته الفريد أقرب منطقاً وتصديقاً.. وان كنا لا نقر التجزئة بالنسبة للتسعة والتسعين صفة هى اسماء الله الحسنى كما يقولون - **فلماذا لايكون الحال هكذا بالنسبة لثلاثة الأقانيم!؟ مع ان الاعتقاد بالصفات لايستقيم له معنى مالم يرافقه التسليم بوجود الاقانيم**، الأمر الذى نجد فيه حل هذه المشكلة، وهى كيفية وجود صفات كثيرة فى الجوهر الواحد، فقد تضامنت هذه الصفات وتوحدت فى الذات عن طريق تمارسها بالفعل أزلا بين أقانيم الله فى جوهره الواحد قبل وجود أى كائن سواه وذلك لأجل إثبات الوجود الحقيقى لهذه الصفات وحتى يمكن اتصافه بها أزلا ...

الأمر الذى قد أدى انكاره لدى بعض الموحدين الى عدم اتصاف الله بأية صفات إيجابية - وانما نسبوا اليه الصفات السلبية فقط - ونفوا الايجابية منها بحجة ان من اثبت له صفة قديمة فقد أثبت إلهين ومحال وجود إلهين قديمين أزليين أو اكثر بحسب عدد الصفات الإلهية، ومن ثم فقد ردوا الصفات الى أحوال ليس بينها وبين الذات تمييز حقيقى، ومنعوا اعتبار قيام الصفات حقيقة بذاته، لانه اما ان تكون هذه الصفات أزلية كالذات واما ان تكون حادثة - فاذا كانت أزلية فكيف يمكنها أن تحل فى الذات، واذا حلت فيها كان هناك أزليون مع الازلى!؟ واما اذا كانت حادثة وحلت فى الذات فتكون الذات قد تغيرت من حال الى حال والتغيير دليل الحدوث، فتكون الذات حادثة فى صفاتها - **وهذا ما لا يتفق مع كماله تعالى، فان الله منزه عن الحدوث والتغير، لان ذلك يجعل له تعالى بداية** .. أما القول بقدم صفاته فإنه يستلزم جمع قدماء فى الله أى وجود كائنات معه أزلا أو افتراض وجود تركيب فى ذاته، لأن هذه الصفات تستلزم فى ممارستها أزلا وجود أكثر من كائن واحد أو وجود كائن مركب - وكلا الامرين باطل لان الله لاشريك له ولا تركيب فى ذاته (كتاب فلسفة المعتزلة للدكتور البير نصرى)

أما العقيدة المسيحية التى اقرت وجود كثرة الصفات وتعدد الاقانيم، فانها لم تقبل أن ذلك يعنى تجزئة فى الله سبحانه الى عشرات الكائنات أو العناصر والاجزاء وجعل كل منها إلهاً مستقلا بنفسه كما

يظن البعض - لأن الصفات والأقانيم هما فى الله بغير تجزئة ولا تركيب، مع تعذر إدراك كيفية قيامها ووجودها فى الذات الإلهية الواحدة ... ومن جهة أخرى فاننا لا نؤله الصفات اطلاقاً، بل حتى بالنسبة لثلاثة الأقانيم فإننا مع إيماننا بأن كل أقنوم إلهاً لأنه قائم بالذات، إلا اننا لانقر اعتبارهم ثلاثة آلهة منفصلة، لأن جوهر اللاهوت إنما هو لكل اقنوم منهم كاملا، ومع ذلك فان هذا الجوهر ليس لاقنوم منهم منفرداً أى مستقلا عن الاقنومين الآخرين، **ومن ثم فلا شرك إذن ولا خروج عن التوحيد !!**

ولذلك فان المواجهة الصريحة للرد على استرسالات الهجوم على الثالوث إنما هى باثارة مشكلة الذات والصفات، وما تحتويه من عوائص قد تحدت فكر الموحدين تحدياً جعلهم يختلفون بعضهم عن بعض، وظهر ذلك فى أجوبتهم المتناقضة - **التى وصل الحال فيها ببعضهم الى القول بأن كل صفة من صفاته هى عين الأخرى، لكن كيف تكون صفة النقمة هى بعينها صفة النعمة فيه، مما ينعدم معه التمييز بين الصفات الإلهية - وهكذا بالنسبة لسائر الصفات التى تبدو متناقضة كالعادل والرحيم فكيف يكون العادل عادلا ورحيما فى نفس الوقت** - ومع أن هذه كلها أضحت موضع حيرة لدى الموحدين لم يجدوا لها حلا، إلا أن مؤلف كتاب : «الله واحد أم ثالوث» بعد ان ترك المسيحية - قد فاته الوقوف على كل هذا، ونجده يجاهر بان ايماننا بثلاثة الاقانيم - وفقاً لما أعلنه لنا كتاب الله - إنما هو الشرك بعينه، وبعد أن رفض تمحيص العقيدة المسيحية فى الله ليقف على الالوهية من وجهة نظر المسيحية بنظر صحيح، نجده يصفها بكلام فارغ يطعن به - الثالوث وهيهات ! وذلك رغم اعتقاد المسيحيين بان وحدانيته تعالى تتركز فى تمييزه الكلى عن سائر الكائنات المخلوقة، ومثل هذه الوحدانية هى التى تميز اللاهوت وتجعله فريداً!!

وأما منكرو الثالوث فقد اضطرهم ذلك الى وصف الصفات الإلهية بانها اعتبارات ذهنية موافقة لعقولنا فقط وليست حقائق ذاتية فيه تعالى، وهذا قول مردود لانهم ينفون به ما يتحقق به وجوده تعالى مما يجعل ذلك الوجود وهما لا حقيقة فيه بسبب انكار وجود هذه الصفات بحالة حقيقية ازلية انكاراً قطعياً -

فيصبح الله سبحانه إلهاً فى الخيال فقط بسبب هذه الوحدانية المجردة اى التى تجرده من صفاته الحقيقية!! وهم يحسبون ذلك جهلا احتراماً لله، وقد وصل بهم الأمر الى استحالة تسميته - وهذا معناه استبدال الله بسر غامض ولذلك قرروا بأننا لانعرف ما هو ونجهل ذلك كل الجهل!! مع أن إلهاً مثل هذا لايمكن أن يكون إلهاً حقيقياً بأى وجه من الوجوه!! كل هذا تجنباً لتصور فرض إله آخر مع أن ذلك أمر مستحيل من كل الوجوه، فان توحيده فى الوجود بمعنى نفى الشريك له، وفى الذات بمعنى نفى التركيب عنه، وفى الصفات بمعنى لاشبيه له ولا نظير!!

أما اذا قيل بانه ليس من الضرورى لاثبات وجود صفات الله ممارسته لها أزلا، فهذا قول باطل يؤدى الى وجود مظهر دون حقيقة، اذ من المؤكد ان صفات الله كانت عاملة من تلقاء ذاتها أزلا وذلك الى درجة الكمال، **لانه من دواعى كماله تعالى أن تكون جميع صفاته عاملة بالفعل أزلا، وإلا لكان تعالى قد تعرض للتغير والتطور فيما بعد - أى عند بدء عمل صفاته - وهذا ماوصلت اليه الوحدانية المطلقة مع انه تعالى يتنزه عن ذلك كل التنزيه!!**

ومن ثم فان القول بأن صفات الله كانت تتجه فى الأزل الى الكائنات التى كان فى قصده أن يخلقها أمر باطل، لأنه يجعل وجود هذه الكائنات أمراً ضرورياً لوجود صفات الله - بوجه التحقيق - وهذا ينفى عنه سبحانه كماله الذاتى الذى بمقتضاه تقوم صفاته تعالى بغض النظر عن وجود الكائنات أو عدم وجودها ... **لأن اعتبار وجود الكائنات ضرورة لازمة بالنسبة لله تعالى يؤدى - كما يقول ابن سينا - الى الاستكمال بالغير، وهذا ما دفعه الى الاعتقاد بأزلية العالم**، الأمر الذى يدخل النقص على الله - وهذا ما لا يتناسب مع كماله التام واستغنائه بذاته عن كل شىء سواها، **أما الحل الوحيد فهو لايتأتى إلا بوجود أقانيم فى اللاهوت تتبادل العلاقات وتمارس الصفات بينها وبين الجوهر الالهى وذلك فى الازل المطلق!!**

* * *

التثليث يتكفل بحل معضلات التوحيد

«إنى ارفع الى السماء يدى وأقول حى انا الى الأبد» (تث ٣٢:٤٠). «وبرك الى العلياء ياالله الذى صنعت العظائم. ياالله من مثلك» (مز ٧١:١٩). «لانى انا الله وليس آخر الإله وليس مثلى» (إش ٤٦:٩)

لقد قامت عدة مشكلات فيما يختص بنوعية الصفات الإلهية ونوع العلاقة التى تقوم بينها وبين الذات - وهى مشكلات معقدة حار فيها أهل التوحيد المطلق - انها معضلات - لكن التثليث يتكفل بايجاد الحل لها، ونراها على الوجه الآتى :-

١ - ان الصفات تدخل التعين على الله وهذا ينافى اللانهائية :

لاشك أن وحدانية الله هى أدق واسمى وحدانية فى الوجود وليس لها نظير على الاطلاق ومعناها أنه تعالى «الموجود الذى لايوجد فيه غيره من حيث هو ذلك الواحد» (مقالات دينية قديمة ص ٣٥)

وصفات الله هنا واجبة، لأن كل موجود لابد أن يكون له صفات يتصف بها لكى يكون وجوده حقيقياً - **وهذا هو التعين وهو مالابد أن يكون لكل كائن حقيقى حتى يمكن وصفه بانه ذات أى جوهر قائم بنفسه، ومن ثم فان الله وهو الجوهر الحقيقى لابد أن يكون له تعين، لأن ذلك هو الذى يدل على الوجود الواقعى وهو الذى يتميز بمميزات تدل عليه، ولكنه بالطبع بالنسبة لله تعين غير مدرك ولا محدود** - ويقول ابن سينا عن ذلك : **"واجب الوجود مالم يتعين لايوجد، ولكن قد ثبت بالدليل وجوده إذن فهو متعين!!" والتعين هنا هو مدلول أقانيمه ووصف لها**

لكن التعين يستلزم التحديد، والتحديد حصر، والحصر مناف للانهائية - وهى هنا التعين الكامل المطلق، **لأن اللامتناهى هو الموجود الذى لابداية له ولا نهاية ومن ثم لا حصر له ولا حد!! والله هو اللاهوت معينا بهذا التعين المطلق بحسب صورته الجوهرية، وهو أيضاً معينا من جهة الاقنومية أى وجوده فى اقانيمه المتميزة بنفس المعنى المطلق** - وهو تعالى من حيث كونه لانهائياً لايمكن وصفه أو إدراكه أو معرفة شىء عنه ... ولكن هل التعين الذى هو تحديد وتخصيص (حتى دعى الاقنوم عيناً خاصاً فى اللاهوت) يتنافى مع حقيقة الألوهية ...

فاذا كانت اللانهائية تعنى عدم الحصر والتحديد فان المقابل لها وهو التعين يعنى عكس ذلك - **أفلا يكون التعين هنا لانهائياً مع أن فيه تحديدا وحصرا للذات الإلهية!؟ فان طبيعة هذا التعين نفسه انه مطلق ولانهائى ..**

الا يدل ذلك على المغايرة بين التعين واللانهائية، ومحاولة الجمع بينهما أمر لايقبله العقل، ولكنه لا يستطيع أن ينكره بالنسبة لله، وانما يقال بشأنه : كيف يتصف من لايمكن وصفه!؟ وكيف يتميز من لايمكن إدراكه أو حتى معرفة شىء عنه!؟

فلماذا يكون ذلك جائزاً بالنسبة للصفات التى تدخل حتما التعين على الذات الإلهية وينكر عليها ذلك من جهة الأقانيم!؟ فيقال على من يقبل وجودها بأن عليه أن يلغى عقله دون أن يسأل عن اساس الجامعية هنا وهو غير اساس الوحدانية، فلا مجال هنا للتعارض، وليس من حق المعترض هنا أن يقول بأن التوافق والانسجام غير موجودين بالنسبة للأقانيم، ولايشير بشىء من ذلك الى الصفات، والحال ان التعدد واضح فى الحالتين!!

ولذلك فاننا نؤمن بوحدة الأقانيم الثلاثة فى الله، وانه تعالى ليس بشىء رابع

- وبأن هذه الاقانيم هى البينة على وجود كيان ذاتى لله اذ **انها تبين لنا كيف يكون اللانهائى معيناً** ...

لانه لو كانت وحدانية الله هى المجردة (أى التى بلا صفات) لما كان له وجود حقيقى، ولو كانت وحدانيته هى المطلقة لإنتفت عنه الصفات أزلا، ولذلك فان الوحدانية **الجامعة أى الشاملة لصفاته وأقانيمه هى وحدها التى تليق بجلاله لان بها تكون له ذاتية خاصة، فلا يكون الله عندئذ كائناً مبهما، بل إلها حقيقياً يمكن التعامل معه!!**

ولذلك قال ابو هزيل العلاف : «ان اقانيم النصارى هى عين الصفات عند غيرهم»، كما جاء فى كتاب «الله» للعقاد : «ان الشأن فى تعدد الاقانيم كالشأن فى تعدد الصفات عند بعض المفسرين»، بل أن من يدعى النظام وضع كتاباً فى تفضيل التثليث على التوحيد!!

ومن ثم فقد بطل الاعتراض على وجود أقانيم الله وبأن القول بها إنحراف عن نصوص الوحى واعتماد على العقل وحده والاستطراد الى القول باننا ما دمنا لا نستطيع أن نفهم الثالوث إذاً فكيف نتبعه إنما هو من قبيل التلويح بالأوهام لدى غير الراسخين فى العلم، وكذلك قولهم أيضاً أن دعاة الثالوث يطلبون منا ان نتخلى عن عقولنا، فهو أيضاً باطل لأنهم يصورون الاعتقاد بالثالوث كأمر مستحيل، وقد فقدوا بذلك التمييز بين الواجب والمستحيل!!

٢ - ان وجود كثرة من الصفات يتناقض مع وحدة الذات :

رأينا كيف انه لابد أن يكون لله صفات تدل على وجوده وتعينه، وهى صفات ذاتية وكمالية، وهى لابد أيضاً أن تكون قديمة معه - وهنا وقف أهل التوحيد حيارى ازاء هذا التعدد قائلين : ترى كيف تحوى ذاته تعالى - وهى الواحدة، هذه الكثرة من الصفات التى تبلغ ٩٩ صفة، مع ان ممارسة هذه الصفات أزلا يستلزم جمع قدماء فيه - **أى وجود أكثر من كائن واحد فيه بسبب المغايرة**

بين هذه الصفات، أو وجوده ككائن مركب، وكلا الأمرين باطل - وليس عندهم من جواب غير ما نقول به : ان العبرة هنا إنما هى بنوع هذا التعدد وكيفية تفسيره حتى يستقيم المفهوم، لان المغايرة الواضحة فى التمييز والاختصاص هى بدون اختلاف فى القدرة والجوهر، فهما هنا يقومان فى اللاهوت مع وحدة الجوهر !!

وهكذا نرى كيف ان وحدانية الله قائمة بكثرة - أى بمميزات تظهر حقيقتها - فكيف تكون ذاته متميزة بالكثرة ولاتكون مركبة - اليس هذا تناقضاً!؟ فان قيل ان قيامه بكثرة والحال انه ليست فيه كثرة ما - أليس هذا تناقضاً!؟ اذ كيف يكون الواحد كثيراً - أى له تعينات كثيرة بقدر ماله من صفات، ويبقى له تعين واحد بمعنى الوجود المتميز المستقل المطلق ... فكيف يكون الواحد أكثر من واحد ويبقى مع ذلك واحداً!؟

ومن عجب أن أهل التوحيد يقبلون ذلك ولا يتصورون فيه ما يدعو للرفض بل يجيبون عنه بالقول : هو كما علم نفسه، ولكنهم بازاء التثليث يتساءلون كيف يكون الواحد ثلاثة ويبقى واحداً - ويرون فى ذلك البطلان، وان الاعتقاد به يستوجب الغاء العقل!؟ مع ان الحال بالنسبة لاقانيمه هو نفسه بالنسبة للصفات كل منها متميز عن الآخر مع وحدانية الجوهر، وليس كل منها جزءا من ذات الله بل هى عين جوهره، فلا يكون كل أقنوم منها إلهاً كما يظن البعض بل هو الله بعينه!! اذ لكل اقنوم وجود واقعى متميز، ويتصف بكل صفات الإلوهية، وهذه هى "الوحدانية الجامعة" ويؤكدها ان من ضمن اسماء الله الحسنى اسم الجامع لانه جامع فى ذاته كثرة من الصفات، فلا غرابة ان كان ايضاً جامعاً - قبل خلق المخلوقات - لأقانيم الآب والابن والروح القدس، وليس معنى ذلك ان الله الواحد قائم بآلهة متشابهة :

كلا، لأنه تعالى ليس له شريك أو شبيه على الاطلاق، إذ هو ذات واحدة لاتركيب فيها مطلقاً، وانما معنى وحدانيته الجامعة ان ذات الله الواحدة هى بعينها

هذه التعينات!! أما الذين يعتبرون ذلك ضرباً من السخرية والاستخفاف بالعقل لعدم امكان تصورهم أن يكون هناك تعينات متعددة لكل منها وجود واقعى متميز ثم نقول ان هذه التعينات واحدة، لان التمايز هنا يقتضى التغاير، والتغاير يقتضى التعدد - وهم يقدمون تطبيقاً بشرياً يقولون فيه : كيف يكون زيد فى مصر وفى نفس الوقت فى امريكا والصين -

وردنا عليهم هو بأن ما يقولون عنه هنا أنه مستحيل، انما هو مستحيل فى تطبيقه على الناس لا على الله - أما قولهم بان وجود تعينات متميزة لكل منها صفات الله، لايكون الله بسببها إلهاً واحدا بل آلهة متعددة - وان هذا هو الشرك بعينه - استنادا الى ان اجتماع الوحدة والكثرة ترفضها الفطرة والعقل، فهذا زعم باطل، لأن الكيان الإلهى لاتحيط به الفطرة وان سلمت بوجوده، وأما العقل فانه لا يستطيع أن يتصور هذه الحقيقة، اذ انها لاتنطبق على أى كائن من الكائنات!! ومن المعلوم ان ابراز الوحدانية انما كان بوجه خاص لتأكيد الفرق بينه وبين الآلهة المتعددة - والتى كان العرب فى الجاهلية يعبدون بعضها مع الله، بل كانوا يعتبرونها كوسطاء وشفعاء يقربونهم اليه، وبهذا المعنى جعلوها كشركاء معه!! ومثال ذلك تعبدهم للات والعزى ومناه مع احتفاظهم باسم «الله» فى نفس الوقت، وتصورهم التقرب اليه بها!!

ولكن يناقض ماذهبوا اليه اضطرارهم الى القول بالتفويض الذى به يؤولون النص فيقولون بمعنى عنه قد لايكون هو المراد فيه - فهم يقولون مثلا فى القول : «وجاء ربك» **انه مجىء ونزول لانعلمهما**. وأما عن وصف الله تعالى بأن له "**وجها**" **فيقولون** : "**لله وجه لانعلمه**" وكذلك عن الاستواء على العرش بمعنى الجلوس عليه **فهو داخل أيضاً فى نطاق عدم العلم** - وهم يقولون بان الله متصف بما وصف به نفسه لكن بدون تكييف يفضى الى التمثيل أو تأويل يفضى الى التعطيل، وذلك لنفى الكيفية والتشبيه عنه :

فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك اثبات

الصفات اثبات وجود لا اثبات كيفية - فالمقصود بوجود الله اثبات وجوده تعالى لا اثبات كيفية ذلك، وقد جرى السمع على اثبات وجود الصفة لا على اثبات كيفيتها - لأن معرفة الله على سبيل الكنه والحقيقة لا سبيل اليها، فيجب أن تكون صفاته كذلك ... فاذا كانت ذاته لا علم لنا بحقيقتها، وصفاته كذلك لا سبيل لنا الى معرفتها، فبالتالى أقانيمه فهى كصفاته نجهلها لا فرق فى ذلك بين صفة وأخرى إذ لاسبيل لمعرفة حقيقته تعالى ولا الاحاطة بها!! وقد قال الامام ابن تيمية فى «مجموع الفتاوى» : «انه مادامت ذاته سبحانه لاتماثل الذوات فكذلك صفاته لا تماثل الصفات»!!

وحيث انه لا وجه لإدراك التعدد فى الله عند أهل التوحيد، اذاً فان محاولة تبرير تعدد الصفات بالقياس على ما فى الانسان محاولة غير مجدية بالنسبة للمعترضين وهم الذين ينكرون المماثلة والمشابهة - مع تسليمهم بتعدد الصفات - **فبماذا يفسرون إذاً تزاحم هذه الكثرة من الصفات فى الله الى الحد الذى تبلغ فيه ٩٩ إسماً أو صفة!؟ الأمر الذى ألزمهم القول بأن عمل الصفات فى الذات عمل غير مفهوم!! وهم مع التسليم به يرونه منافياً تماماً لمقام الألوهية ولكنهم مضطرون لقبوله بحجة انهم يسمون الله بما سمى به نفسه ويلتزمون بذلك** دون ان يقولوا عنه ما لم يقله، بينما يعارضون التثليث زاعمين انه مناقض للتوحيد وانه لذلك يستحيل الموافقة عليه، فكيف يستقيم الأمر بدون التثليث بعد أن ثبت عدم امكان العقل التوفيق بين وحدة الجوهر وكثرة الصفات والاضطرار الى قبول ذلك بدون بحث!!

٣ - مشكلة هل الصفات قديمة أم حادثة وما نوع علاقتها بالذات :

لاشك ان استمرار البحث عن الصفات بعد ذلك أمر متعذر عند أهل التوحيد ولذلك فهم يقولون عنها بأنه لايصح القول بوجوبها أو إمكانها أى بازليتها أو حدوثها - لانها ان كانت أزلية فمع من كان يمارسها، واذا كانت حادثة فانها تكون عاطلة الى ان جاء الخلق فأوجد الفرصة لممارستها!؟ واذا كان هذا هو الحال

بالنسبة للصفات لدى اصحاب التوحيد المطلق - **فلماذا لا يكون هنا القياس بدون فارق بالنسبة لوجود الأقانيم فى الذات الواحدة - فقد كان المعتزلة ينتقدون القائلين بقدم صفات الله بالقول : "ان النصارى أثبتوا ثلاثة قدماء، أما انتم فأثبتم بقولكم ان لله ثمانى صفات قديمة ، ثمانية قدماء"!!**

ووصلت بهم الحال الى القول بأن هذه الصفات هى أحوال ثابتة للذات لا معلومة ولا مجهولة، بل انها لا موجودة ولا معدومة فيا للعجب وخاصة وهم يستدركون الى القول باثبات الصفات والنهى عن البحث فى ماهيتها ... وهم يسلمون فى نفس الوقت بأن الصفات تمثل كثرة فى الذات حيث يكون هناك صفة وموصوف، وانه من اللازم أن تشاركه صفاته هذه فى معنى القدم مع مايلزم ذلك من تعدد القدماء!!

ولكنهم ارادوا الخروج من هذا المأزق بالقول : ان الممنوع هو وجود ذوات قديمة متعددة - لان هذا هو الشرك - وهو ما ينسبونه باطلا للنصارى، مع تسليمهم بأن حكمه تعالى هو ان الاله واحد لكنه لم يقل ما من قديم إلا قديم واحد - وهكذا قد سلموا بتعدد القدماء مع وحدة الذات، الامر الذى ينكرونه علينا!!

وهكذا نجدهم قد وقعوا حيارى، فمنهم من نفى الصفات كلية، لانه لو شاركته الصفات فى القدم - الذى هو أخص الوصف - لشاركته فى الإلوهية، كما لا يصح أن تكون حادثة وإلا لزم قيام الحدوث بذاته تعالى، وهذا باطل .. وعلى حد قولهم **فلا بد أن يكون القدماء (أى الصفات) آلهة، مع انه ليس لها وجود مستقل أو منفصل عن الذات .. ومن هنا جاء تكفيرهم للنصارى بزعم انهم جعلوا الاقانيم آلهة وذوات (أى قدماء متعددين) ومن ثم جاء حكم المعتزلة بكفر من قال بقدم الصفات - لانها ان كانت قديمة فيلزم تعدد القدماء!! لذلك فانهم لم يجعلوا صفات الله تعالى معانى قائمة**

بنفسها، بل خلطوا الصفات بالذات ورفضوا اثبات أى فرق بينهما فجعلوا علمه وحياته هما ذاته، فاثبتوا الصفة على انها هى بعينها ذات، واعتبروا الذات هو بعينها صفة - مع أن التفرقة هنا ضرورية بل واجبة بين الصفات نفسها فالقدرة مثلا هى غير العلم - ولكن المعتزلة رفضوا التفرقة وقالوا أن الصفات هى عين الذات - بينما قالت الاشاعرة بزيادة الصفات - مع قدمها - بغير انفكاك عن الذات لانهم قالوا ان اختلاف الصفات عن الذات حكم واجب، أما ابو هزيل - وهو من المعتزلة - فقد اعتبر أن هذه الصفات وجوه للذات، لانه لايمكن ان تقوم بالذات صفة زائدة عليها من أى وجه، ولذلك فهى لايمكن أن تكون غير الذات لما يلزم عليه بذلك من التعدد والكثرة فى القدماء، وبعد ان يسوى بين الذات وصفاتها بالقول بأن هذه الصفات وجوه للذات، يعقب بالقول : "بان هذا هو مذهب النصارى فى أقانيمهم"!!

ومع ذلك فقد اضطروا الى التسليم : بأن الصفة وان كانت قديمة ولكن تحدث فى ذاته تعالى إحداها فى وقت دون الآخر، ويرون ان هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع - ولكن المعتزلة يرون عدم جواز ذلك لانه يدخل الحدوث فى ذاته تعالى - فكيف يتفق القدم مع هذا الحدوث!؟

مع أن لا حل لهذا الاشكال الذى أتعبهم سوى تضامن هذه الصفات وتوحدها فى الذات عن طريق تمارسها بالفعل أزلا بين الاقانيم وامتدادها بعد ذلك بين الله والكائنات التى أوجدها، فمثلا محبته أزلية بينه وبين اقانيمه واستمرت بعد ذلك بينه وبين البشر،

وهذه هى الوحدانية الجامعة التى فيها تكون صفاته قديمة وهى غير ذاته، وهى تمارس عملها فى ذاته - وذلك لوجود الاقانيم فى ذاته، وصفاته بهذا الشكل تتوافق مع كماله التام واستغنائه عن كل شىء فى الوجود، وعدم تعرضه للتطور والتغير عندما امتد عملها الى خليقته!!

٤ - مشكلة وضع الصفات - هل هى عين الذات أم غيرها :

الصفات مجرد خصائص تتصف بها ذاته تعالى دون انشقاق أو انقسام أو مباينة

بين الذات وصفاتها - مع أن لها آثاراً فى الخارج لكنها مجرد تعين لوجود الذات كأدلة على وجوده، إذ من المستحيل عقلا وجود ذات دون أن يكون لها صفات ...

أما نفى الصفات بالنسبة لذات الله وافعاله والقول بعدم أزليتها بحسب ما ارتآه واصل بن عطاء - احد زعماء المعتزلة - **خشية ان ينتهى الامر بالمسلمين الى ما وقع فيه النصارى الذين ميزوا ثلاث صفات إلهية ذاتية وهى الوجود والعلم والحياة، وجعلوها مستقلة - مع ان هذا غير صحيح - واطلقوا عليها اسم الاقانيم، حتى أن واصلا قال هنا ان من اثبت معنى لصفة قديمة فقد أثبت الهين أو أكثر!!**

ولكن هناك من يرى بان الصفات الإلهية معان قائمة بالذات زائدة عليها، اذ من المعلوم أن لايعقل عالم بدون علم، ففرض ذاته بدون صفاته اللازمة الواجبة له فرض ممتنع، مع مافيه من تعدد القدماء الأمر المخالف للوحدانية!!

فاذا اتجهنا الى صفات الافعال - وهى صفات التأثير - ومن مقتضيات الالوهية (كصفات الإرادة والعلم والقدرة والخلق والإحياء والإنهاء ...الخ) وهو - عز وجل - **متصف بها أزلا، ثم اتصف بها بعد ذلك عند خلق العالم .. مما يلزم التغير فى ذاته لانه تكونه قد حدثت فيه أوصاف لم تكن موجودة ثم وجدت - وهذا يؤدى الى التغير فى ذاته وهذا محال!! فاذا قلنا انه متصف بها فى الأزل فما عملها؟ وكيف كان الله يمارس هذه الصفات بينه وبين ذاته!؟**

يجيب البعض عن ذلك بالقول : "ليس من الضرورى لإثبات أزلية صفات الله ضرورة ممارسته لها أزلا" - ولكن هذا يناقض كمال الله الذى يوجب أن تكون صفاته عاملة من تلقاء نفسها أزلا الى درجة الكمال وقبل وجود الكائنات، لأن جميع صفات الله لاتخرج عن كونها وجوهاً للكمال الذى يتصف به تعالى منذ الأزل دون أن يطعن ذلك فى وحدة الاله بالتجزئة أو التركيب!!

ويرى البعض الآخر بأنه من المستحيل وجود ذات بدون نشاط : واولى مراتب النشاط هو نشاط الذات فى صفاتها، وثانيها نشاط الصفات نفسها فيما هو لازم عنها وذلك بان تكون عاملة بالفعل أزلا

سواء أدركنا كيف ذلك أو لم ندرك، وثالثها الاثر الانفعالى الناشىء عن تأثير نشاط الصفات فى الحوادث الكونية (أى كل مانراه فى عالم الإمكان من قوة وطاقة وحوادث وكائنات) - وهذا كله لا يتأتى حدوثه إلا عن طريق وجود الأقانيم وتوحدها فى الذات الواحدة!!

ولكن يبقى هذا السؤال الذى لاجواب عليه وهو : كيف تكون صفاته قديمة دون أن تكون هناك كائنات أزلية معه - وكيف تكون حادثة دون أن يترتب على ذلك تعرضه للتطور والتغير!؟

* *

ويقول ابن العربى وشيلنج أن : «التعارض والتناقض حالان فى الذات الإلهية من حيث الاسماء والصفات التى هى نسب واضافات فى الذات الواحدة»، **فقد تجلى سبحانه بذاته لذاته فأظهر حقائق اسمائه وصفاته، فجعلها أعياناً ثابتة وحقائق عينية - التعين الأول لا كثرة فيه، والثانى هو الذى تظهر فيه جميع الصفات والعلاقات ولذلك فهو جملة وحدانية، فيه يوجد أصل جميع الاسماء الإلهية التى يشملها اسم الجامع - وهذه هى الوحدانية الشاملة : هى وحدانية الذات ووحدانية الصفات ووحدانية الافعال - فهل هو غريب انها المدخل الشرعى للوحدانية الجامعة، وحدانية الأقانيم فى الذات الواحدة!؟ حيث انها متضامنه أبداً، ولا سبق لاحدها على الاخرى فى الوجود، فوجودها بالنسبة للذات وجود متوحد لانها اعيان فى ذات واحدة!!**

ومن ثم فقد انتفى القول باننا : لانستطيع ان نجعل من صفاته تمايزا عينيا لئلا ندخل الكثرة على الذات الإلهية، ووجب لذلك التسليم بالصفات الثبوتية - التى هى اساس وجود الاقانيم - والتى تعلن عن كمال الله الذاتى المطلق!!

وعن ذلك يقول ابن سينا : «أن الواحد هو ما كان غير منقسم من الجهة التى قيل عنه فيها أنه واحد» .. اذ ليس الكثير والواحد طرفين متناقضين بل هما وجهان لحقيقة واحدة يلتقيان عندها فى نهاية الامر، **اذ اننا حتى اذا قلنا أن الوجود واحد، فان هذا القول نفسه غير ممكن لاننا قلنا فيه بصفتين**

هما الوجود والوحدة!! فاذا أضفنا الى هاتين الصفتين صفات اخرى مثل العلم والحياة والقدرة - ألا نجد هنا الكثرة فى الوحدة حتما دون ان يستدعى ذلك وجود التناقض بينهما!؟

* *

فاذا ذهبنا الى صفة العلم - مثلا - قلنا أنه كان يعلم ذاته فيكون هناك هو وذاته، وكان ارسطو قد قال بالنسبة لصفات الله أنها ذاته، فقال من جهة «العلم» ان البارى علم كله، وأخذ ابو الهذيل رأيه هذا فقال : ان الله عالم بذاته - أى عالم بعلم هو ذاته - وقد اعترضوا على علم الله باعماله منذ الأزل - لمنع ادخال الكثرة فى ذاته - بالقول : كيف يرى الله العالم فى الأزل والعالم معدوم!؟

لكن البعض نفى العلم كلية عن الله، لأن هذا يؤدى الى التعدد فى ذاته فقالوا أن الله لايعلم ذاته ولا يعلم غيره، وبالتالى فهو لايعلم الكليات ولا يحيط بالجزئيات لكن الجزئيات تابعة لعلمه المتقدم المقرر لها أزلا اى انه لابد أن تكون لديه صورة كاملة للعالم من كل نواحيه أزلا - وهذه نتيجة طبيعية لتوافق صفاته مع ذاته كل التوافق، ومن ثم فلا يكون الله قد دخل فى علاقة مع العالم لم يكن لها فى ذاته وجود، ومن ثم يكون الخلق مجرد مظهر من مظاهر عمل صفاته الازلى بينه وبين ذاته - وهذا لايقتضى حدوث أى تغيير فى ذاته!! اذ ان فى ذاته صورة كاملة لجميع الكائنات التى كان فى قصده أن يخلقها، وأنه تبعاً لذلك تكون له بها علاقة أزلا أيضاً، ولذلك لايقتضى الأمر أن يتحيز أو يتخذ وسيلة ما أو يتغير فيصبح فاعلا ومنفعلا .. وما العلم إلا انطباع المعلوم فى ذات العالم دون انفعال أو استيلاء العالم على المعلوم، **والله إنما يعلم العالم عن طريق علمه بذاته هو، وهو علم أزلى لا دخل له بالزمان فلا علاقة له به!! ولكن علمه يتطلب وجود كثرة فى ذاته - وهذا يؤدى الى التعدد ولذلك فان هناك من ينزه الله عن العلم، ويرى أن العلم اضافه وكذلك الحال فى سائر الصفات ويتسائل كيف لا تؤدى كثرة الاضافات الى كثرة فى الذات، ويبدو أن هذا كله هو افتعال لتجنب التسليم بوجود الأقانيم!!**

واذ ننتقل الى صفة الارادة نتقابل مع نفس الحيرة، فان اضافة الاختيار الى الذات الإلهية يؤدى الى وجود التعدد فيها : ولذلك قالوا : «ان الله لا يتصف بالارادة» ويعلل ابن رشد ذلك بقوله : الارادة شوق الى التمام عند دخول النقصان فى ذات المريد، ولذلك فانها انفعال وتغير - والله لايدخله نقصان ولا يتعرض للتغير، ومن ثم فان الله لايختار، لأن الاختيار يؤدى الى الاستكمال بالغير فيكون صاحبه بذلك ناقصاً، **والنقص بالنسبة لله محال!!**

ومع ذلك فقد وجد رأى آخر مضاد يقول : ان ارادته تعالى قديمة، بها قصد أن يخلق العالم منذ الأزل، وان معنى أنه تعالى فريد هو أن ما يوجد من الممكن لابد أن يكون على وفق علمه، ومع الارادة القدرة وهى صفة الاعدام والايجاد ...

فاذا ثبت حدوث العلم لله، فذلك يؤدى الى التغير فى ذاته والى كونه محلا للحوادث - ولهذا فان تعلق الارادة القديمة بالمحدث، بعد ان لم تكن متعلقة به، يؤدى الى التغير فى ذات الله - وحتى بفرض أن تكوين العالم كان وفق مشيئته بحسب الصورة الكاملة التى لدى الله عنه أزلا ... فان هذه الصورة السابقة لاتنفى لزوم التغير، فقد كانت العلاقة أزلا علاقة تصور فقط واصبحت بعد وجود العالم بالفعل - ومن ثم فقد تغيرت علاقة الله بالعالم من علاقة بالقوة الى علاقة بالفعل، ولكن كيف ينشأ من ارادة الله لذاته وجود العالم!؟ فان القول بوجود وسطاء بين الله والعالم ليس هو بحل لهذه المشكلة، وكذلك قولهم بان الارادة فيه تعالى متعلقة بذاته أى أنها عبارة عن نفس ذاته فى حالة أنها تريد، وكذلك العلم خاصة قائمة بذاته وليست بجوهر مغاير، ومثل ذلك فى القدرة فهى حالة لذات القادر بها يقدر على ابراز ما هو قادر عليه بالفعل - **فاذا ماقيل كيف كانت قدرة الله تمارس - قبل ايجادها للكائنات - فاننا نقول بان قدرة عظمته هذه تظهر أساساً فى حياته لكونها ذاتية غير مكتسبة ولا فانية، بل ان اتصافها بالسرمدية والخلود المطلق والدوام بلا بدء أو ختام انما هو عين القدرة التى لاتحد!!**

فهذه الصفات هى نعوت وخصائص للذات كوصف لها، وأما علاقة صفاته بآثار

فاعليتها (فى الكائنات) فهى علاقة تلازمية تطابقية، علاقة المؤثر بالأثر :

ومع كل ما يقال فى هذا الشأن، فاننا لانستطيع أن نفسر كيف كانت صفات التأثير هذه وغيرها من صفات الافعال تعمل فى ذات الله اذ كيف يمكننا ذلك!؟ فمثلا هل كانت ارادته تخصص ذاته ببعض الصفات الممكنة، ولما كانت القدرة مثلا تتعلق بالممكن ايجادا وعدما فكيف كانت تمارس عملها فى ذاته عز وجل - وكما هو معلوم فان الارادة تطلب وجود مريد ومراد، والمريد غير المراد - والمريد هو ذاته وهو غير المراد - ووجود المريد والمراد يؤدى الى الشرك اذا كان هناك تغاير بينهما، أما اذا كان المريد هو نفس المراد، ادى ذلك الى التركيب من اثنين هما ذاته والمراد - **وهكذا تزداد المشكلة تعقيداً، فاذا كانت هناك استحالة تصور عمل هذه الصفات فى ذاته سبحانه وتعالى، فكيف يطلب منا أصحاب التوحيد المطلق - وقد تحيروا فى مشكلات الصفات على الوجه المتقدم - أن نفسر لهم كيفية وجود الأقانيم فى الذات الإلهية!؟ وهم يزعمون ان ايماننا بها إنما هو خوض فى بحث حقيقة الذات الإلهية وإقحام للعقل فيما ليس له -** مع أن هذا الذى نقوله فى هذا الشأن إنما هو دراسة موضوعية بحتة استندنا فيها الى مصادرها الأصلية لتعيين الحق فيها بين المتخاصمين، والسمة الأولى فى هذا المنهج هو التسليم للنص، والابتعاد عن الجدل!!

وهذا معناه أن الله لايوصف إلا بما وصف به نفسه بلا تأويل ولا تشبيه ولا كيف ولا معنى ... يثبتون لله المعانى التى تضمنتها صفاته ثم يفوضون علم كيفيتها له عز وجل، مقرين أن الحديث فيها فى غاية الصعوبة إذ لاسبيل الى إدراكها بالعقل، لأنها من شئون الغيب، لكنهم قد اتفقوا فى شأنها بانها صفات الكمال، وهم يجمعون فيها بين الاثبات ونفى التشبيه، وبين التنزيه وعدم التعطيل مع تسليمهم بأن القول بوجود هذه الصفات زائدة على الذات يؤدى الى الحدوث والافتقار، واما ان كانت قديمة فيلزم تعدد القدماء - **ولسنا ندرى وهذا حالهم بالنسبة لصفات الله، لماذا يتحولون عنه بالنسبة لأقانيم الله، ويستخدمون لغة أخرى لا تليق بالباحثين فى الاديان!!**

* * *

آيات البرهان على وجود الثالوث

«عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨:١٩)، «وهؤلاء الثلاثة هم واحد» (ايو ٥:٧)

قبل أن نقوم بتقديم آيات البرهان على وجود الثالوث نراه من المناسب هنا أن نبدأ بتقديم شهادات من خارج الوحى حتى اذا ما أعلن الوحى عن الثالوث ما جاز الاعتراض قط . .

أ - شهادة الطبيعة للثالوث :

وهى قد قدمت شهادتها باقرارها ان العدد ٣ هو أول الاعداد الفردية، ويعتبر هذا العدد ماركة مسجلة فى الكون طبعها الله فى شتى النواحى لتدل عليه تعالى من ناحية ثالوثه : فالابعاد ثلاثة الطول والعرض والارتفاع، والزمن ثلاثة الماضى والحاضر والمستقبل . . .الخ

ب - شهادة الاديان للثالوث :

أما الاديان فقد اقرت بان الذات الإلهية ثلاثية فيها العقل والعاقل والمعقول، وان اول صورة تعينت فيها ثلاثية هى صورة العلم والعالم والمعلوم كحقيقة واحدة - وفضلا عن ذلك فان الاديان تقول بوجود الله وكلمته وروحه - وهى بذلك تقبل التثليث الذى نعلنه فى المسيحية اذ نقول الآب والابن والروح القدس - وهى تسلم بالله وكلمته وروحه باجماع عام لديها على السواء! **وقد سبق توضيح ذلك فى الفصل العاشر اتفاق لايجيز المخالفة.**

أما ادعاء المنكرين بأن الثالوث ليس معلناً فى الكتاب المقدس فاننا نجابهه بتأكيد أن هذا تعليم الهى معلن فى توراته وانجيله على حد سواء مما يثبت صحة

عقيدة الثالوث رغم كل ما قالوه عنه وذلك على الوجه الآتى :-

أولا : بطلان الادعاء بان عقيدة الثالوث لم ترد فى التوراة :

قالوا أن التوراة لاتحتوى على عقيدة الثالوث لا بوضوح ولا بمعنى ضمنى، وسبق أن قلنا بأن عدم اعلان التثليث فى العهد القديم يرجع الى تدرج الاعلان بالضرورة الى حين اكتمال وعى البشرية، فكانت رسالة التوراة تحتم ذلك هى التوحيد وذلك لكى لا يلتبس الامر على شعب اسرائيل فيقعوا - بسوء الظن - فى تعدد الآلهة، الامر الذى كان شائعاً من حولهم فى وثنيات الشعوب الاخرى، فاكتفى الله حينئذ بالتلميح **الى أن اكتمل نور الاعلان المتكامل بالوحى المقدس، وقد ظهر اكتمال هذه الاعلانات الالهية فى تصريحات العهد الجديد التى وضحت لنا ما كانت تشير اليه تلميحات العهد القديم!!**

واذ نحن بصدد تقديم النصوص الدالة على وجود الثالوث فى التوراة، فاننا نقول رداً على تساؤلهم عن سبب عدم ورود لفظة الثالوث فى الكتاب، وهو ان ذلك كان لئلا يبدو التعارض بينه وبين الوحدانية قبل ان يتحدد معناه، ولكن هل ينبغى بعد ان أثبتناه أن ننفى استعماله لان اللفظة نفسها لم ترد فى الكتاب مع ان معناها كثيراً ماورد مقولا عليه .. فكلمة ثالوث كاصطلاح لاهوتى يتفق تماما مع حقيقة ما أعلنه الكتاب عن وحدانية الله الجامعة، كما اننا نجده اساسا سليماً لسر التجسد العظيم.. وقد سبق لنا أن تعرضنا لهذا الاعتراض ورددنا عليه من قبل!!

ومن المعلوم ان اعلانات الوحى الالهى المعصوم هى التى كشفت لنا الحقيقة الإلهية، ونجابه بها أولئك الذين يزعمون التمسك بهذه النصوص ونراهم قد خرجوا عليها فضلوا عن الايمان القويم وتعثروا فى متاهة الضلال ...

ثانياً : آيات البرهان على وجود الثالوث فى التوراة :

هذه الآيات هى نصوص كتابية بيانها على الوجه الآتى :-

١) أول عبارة سطرها الوحى عند خلق البارى للاكوان بقوله : "فى

البدء خلق الله (ايلوهيم) السموات والارض" (تك ١ : ١)

ان لفظة الله هنا هى فى الاصل العبرى ايلوهيم وهو اسم جمع معناه الآلهة، **وهذا يدل على وجود أقانيم ، ولولا ذلك لما وردت عن اسمه تعالى حتى لايتخذ البشر كونها بصيغة الجمع ذريعة للاعتقاد بتعدد الآلهة ...**

ولكن المنكرين هنا يتهربون من هذا المأزق بتفسيرين وهما :-

أ- أن صيغة الجمع فى اسم ايلوهيم انما هى للتعظيم أى انه جمع جلالة : ويستندون فى ذلك الى انه وان كانت هذه اللفظة ايلوهيم فى صيغة الجمع إلا أنها مصحوبة بضمير مفرد وفعل مفرد، كبرهان على وحدانية الله - بدعوى ان مفردها ايلوه مشتق من الفعل أول الذى يدل على القدرة والاسبقية - واذن فان ايلوهيم تعنى الجامع فى ذاته كل القدرة والتفوق، **وهو هنا فرد واحد هو يهوه على حد قولهم، وليس ثلاثة اشخاص** ... ولكنهم بعد ذلك يمدون تطبيق هذه الكلمة على الملائكة وآلهة وثنية فيقولون ان **استخدامها عن الله للتعظيم إنما يمتد الى هذه الآلهة الأخرى أيضاً، وذلك بسبب تسميتها بنفس هذا الاسم ايلوهيم**، ومن ثم فانهم يرون أن هذه اللفظة انما هى فقط للتعظيم لله والآلهة الاخرى على حد سواء - **فى حين أن اللغة العبرية قد خلت من صيغة التعظيم هذه التى يعللون بها صيغة الجمع فى كلمة "ايلوهيم"** أما استنادهم الى ان اعراب هذه الكلمة قد جاء مسند فعلى مفرد وتأخذ صفة نعتية مفردة، فقد تجاهلوا به ان الكثير من الافعال والضمائر المتصلة بها قد وردت أيضاً فى صيغة الجمع، **وأنه حتى بفرض ورودها فى المفرد فان ذلك لتأكيد اعلان الوحدانية مع الثالوث** .. فان ورود صيغة المفرد فى الفعل جنباً الى جنب مع صيغة الجمع فى الاسم انما يدل على وحدانية الجوهر الذى للثالوث!!

ب - الاتهام الكاذب بانه مادامت لفظة "ايلوهيم" تعنى آلهة ونحن نعتبرها الاقانيم، فان ذلك يجعل من يعتقدون بالثالوث عباداً لأكثر من إله واحد : لانهم ينسبون الينا باطلا باننا نؤمن بان الاقانيم ثلاثة آلهة منفصلة فى الثالوث، ومع انهم يشددون بان كلمة ايلوهيم لاتعنى أقانيم بل آلهة، لكنهم يرفضون

بشدة اعتبار هذه الآلهة أقانيم ... **مع ان ايماننا بالاقانيم لم يكن قط بانهم ثلاثة آلهة منفصلة، ولن يكون** - لان اعتقادنا فى الله بموجب الاعلانات المقدسة لا يجيز اضافات التجزئة والانفصال، تلك التى ابتدعوها لوصمنا باننا نعبد ثلاثة آلهة منفصلة - مع ان ايماننا بالتمييز بين الاقانيم فى الجوهر الواحد **لايعنى اننا نقول بان الاقانيم ثلاثة آلهة لوحدة جوهرهم الإلهى، وإلا كنا مشركين عباداً لأكثر من الإله الواحد**، لأن الاقانيم بسبب وحدانية الجوهر الذى لهم لايمكن أن ينفصل أحدهم عن الآخر، ومن ثم لايمكن ان يوجد اقنوم منهم مستقلا عن الأقنومين الآخرين، ولذلك فكل اقنوم منهم إله لانه قائم بالذات، والذات مع ذلك ليست اقنوما واحدا بل هى ثلاثة الاقانيم ...

ومن ثم يفهم من ورود الاسم ايلوهيم فى الجمع، بينما ورد الفعل خلق بصيغة المفرد ان الكثرة والوحدة تتطلبان إحداهما الاخرى، وهما فيه تعالى تتقابلان فى حالة فريدة فائقة ومن ثم لايكون هناك ادنى اعتراض على الثالوث!! ويرى بعضهم ان لفظة اللهم العربية هى بعينها ايلوهيم العبرية وحرف الميم فيها يعتبره بعض العلماء يدل لا على مجرد النداء بل على الجمع كالعبرية تماماً!!

٢) حقيقة وجود الأقانيم فى ايلوهيم عند خلق الانسان وذلك من أوصاف الوحى لهذا الخلق حسبما تضمنته نصوصه : ففى (تكوين ١ :٢٦) نجد النص قد جاء بصيغة الجمع كما يلى : "**وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا**"، وهنا نجد فعل الجمع فى نعمل وكذلك ضمائر الجمع الملحقة فى لفظتى صورتنا وشبهنا بل ان بهما نشاهد الجمع والمفرد معاً - والله ايلوهيم هنا يكلم نفسه وذلك لكونه ثلاثة اقانيم لا اقنوماً واحداً - والخطاب يدل على انهم من درجة واحدة!! **فهذا القول لم يقله للملائكة - كما ظن البعض - لانها لاتشارك الله الإبداع وهى من إبداعه. ويزعم شهود يهوه ان الذى خاطبه الله هنا هو ابنه الذى خلقه، وينسون ان المخلوق حادث وليس بأزلى، وان الخطاب على هذا الوجه يدخل الحدوث على الله، الأمر**

الذى هو محال فى حد ذاته ... ولكنهم يقفون حيارى امام استخدام الوحى لصيغة اسم الجمع وضمير الجمع وفعل الجمع فى هذا المجال كتمهيد لاستكمال اعلانات الوحى الخاصة بالثالوث الاقدس - وهم يتهمون المسيحيين بالجهل لانهم فهموا كلمة صورتنا بالاضافة الى ضمير المتكلم فى فعل الجمع نعمل ان ذلك يقتضى ضمنا وجود أقانيم فى الثالوث مدعين أنه جمع للاحترام فقط وذلك امعانا منهم فى عدم التسليم بوجود الاقانيم!!

أما النص التالى للسابق وهو الوارد فى (ع٢٧) قول الوحى : "**فخلق الله الانسان على صورته**" فاننا نجد هنا الصيغتين مستخدمتين مما يتضح منه ان الله مبدع الانسان ابتغى ان يغرس فيه علم اللاهوت فتكلم بالصيغتين الجمع والمفرد معا ليبين بهما ان اللاهوت ليس اقنوماً واحداً مع انه جوهر واحد!! **أما الادعاء بان قوله "نعمل الانسان على صورتنا" إنما هو خطاب للمخلوق الأول - كما يزعمون - فان كلمة صورتنا تجمعهما على صعيد واحد، ومن هنا كيف يكون جائزاً ان يكون هناك صورة واحدة مشتركة بين الله وهذا الصانع المخلوق!؟**

ومن غرائب ما قالوه فى هذا الصدد : انه لما جاء الوقت لايجاد الخلائق صار الآب يعمل سوياً مع ابنه - الوحيد - فى اتحاد كامل، واتفاق تام وتعاون كلى، **ولذلك استطاع الابن أن يقول : "أنا والآب واحد"، مع ان العبارة بوضعها هذا تعلن المساواة المطلقة بينهما وإلا لاعتبر تجديفاً ان اسمه - وهو مخلوق فى نظرهم - يتقدم اسم الآب يهوه - الاله الواحد الوحيد** - وكيفما كان تكييفهم لحقيقة اشتراك الآب وابنه فى الخلق، فان هذا التصريح الذى ختموا به عبارتهم ليصدمهم بعنف فيبدد أوهامهم التى ذهبوا اليها - **إذ كيف يكون مع الخالق - خالق آخر مخلوق ليعاونه ويساعده، ولماذا يخلق هذا الخالق خالقاً آخر يقوم بهذه المهمة بدلا منه أو معه فى حين أن هذه العبارة الختامية قد تضمنت وحدة الآب والابن فى الجوهر !!**

وقد تلا ذلك كلمات أخرى زادت المعنى وضوحاً والعقيدة بالاقانيم

رسوخاً كقوله : "هوذا الانسان قد صار كواحد منا" (تك ٣ :٢٢) وهذا القول يدل بوضوح على وجود أقانيم فى الجوهر الواحد، وقد احتار علماء اليهود فيه فقالوا ان الله كلم بهذه العبارة مجمع الملائكة، ولكن سكوت الوحى عن ذكر خلق الملائكة فى سفر التكوين ينقض ذلك، كما ان قول اشعياء فى (٤٠ :١٣) : من مشيره يعلمه" يقوض قولهم هذا من أساسه ! واذن فهذا التعبير يؤكد وجود الأقانيم إذ لايحتمل إلا معنى واحد وهو ان المتكلم هوأحد الأقانيم ويخاطب غيره من مساويى جوهره، وإلا فكيف أمكن أن يكتبه موسى اذا كان الله فرداً أحداً بغير اقانيم!؟

وقد وردت بعد ذلك العبارة القائلة : "هلم ننزل ونبلبل لسانهم" - وذلك عند الشروع فى بناء برج بابل (تك ١١ : ٧) ففى قوله "هلم" ومعناها "هيا بنا" ما يدل على حدوث تداول بين اقانيمه تعالى، كماً ان النون فى الفعلين ننزل ونبلبل تدل على وجود جمع فى الذات الأحدية، وليس من المعقول ان تكون هذه العبارة مقولة للملائكة لأن لفظة نبلبل تقديرها نبدع لغات وهى علم كلمات غير متناهية، والملائكة غير مبدعين كما أنهم محدودون، كما أن وجود المتكلم والمخاطب هنا واضح تماماً!!

وأيضاً عند إحراق سدوم وعمورة جاء القول : "فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء" (تك ١٩ :٢٤) فهنا المتكلم وهو الرب أمطر كبريتاً وناراً من عند آخر يدعى أيضاً الرب، وهذا يدل قطعاً على أنه تعالى وهو رب واحد ليس بأقنوم واحد!!

هذا وقد تجلت الاقنومية فيما بعد بلسان ابراهيم الخليل فى القول: "وحدث لما اتاهتنى الآلهة" (تك ٢٠ :١٣) بحسب النص العبرى! وعن يعقوب قيل : "لانه هناك ظهرت له الآلهة" (تك ٣٥ :٧)

وأما الاعتراف العظيم الذى وجهه موسى لأمته - والذى يتشدق به المنكرون أيضاً ونصه : "اسمع ياسرائيل الرب (يهوه) الهنا الوهيمنا أى آلهتنا رب واحد، فتحب الرب الوهيمك أى الهتك" (تث ٦ :٤، ٥) وفيما

بعد "لان الرب الهكم هو اله الآلهة والادق هو الله الآلهة" (تث ١٠: ١٧) مما يدل على الجمع والوحدة معاً فى ذات الله! وهذا متأسس على الوصية الاولى فى (خروج ٢٠) وهى : "انا الرب إلهك (الوهيمك)" فانا الرب يشير بوضوح الى الوحدانية، أما قوله "ايلوهيمك" فى صيغة الجمع فيشير الى التعدد فى هذه الوحدانية!

فلا غرابة أن وصف يشوع خليفة موسى "الله" تعالى بأنه "الوهيم قدوشيم" أى "آلهة قدوسين" (٢٤: ٩)

ووصفه داود بأنه اله (آلهة) قاض (قضاة) (مز ٥٨: ١١)

وسليمان قال عنه : ومعرفة القدوشيم (أى القدوسين) فهم (ام ٩: ١٠)، وأيضاً اذكر خالقيك (جا ١٢: ١)

وكذلك قال اشعياء "بعولك هم صانعوك" (٥٤: ٥)

وايضاً جاء فى (ملاخى ١: ٦) عن الله قوله : "ان كنا سادة"!

فهذه الشواهد كلها قد وردت بصيغة الجمع فى اللغة الأصلية، ولقد حسب بعض الثقاة لفظة ايلوهيم وهى اسم الله بصيغة الجمع فوجدوا انها وردت حوالى ٢٥٠٠ مرة، بينما جاءت لفظة يهوه وهى بصيغة المفرد نحو ٥٠ مرة - فان كان ذلك لايدل على وجود أقانيم فى وحدانية الله فليس بمقدور أحد أن يفسر لنا معناه!؟.

* *

هذا وقد تعددت العبارات وتنوعت الاشارات عن ذلك مثل ورود كلمة إله ثلاثاً فى عبارة كان يغنى فيها ورودها مرة واحدة وذلك فى حديث العليقة حيث قال الله لموسى : "انا إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب" (خر ٣: ٦) فهذا التكرار الثلاثى للفظة إله هنا، انما هو تحقيق لوجود الاقانيم الثلاثة!!

وكذلك البركة الثلاثية الواردة فى (سفر العدد ٦: ٢٤، ٢٥) ونصها : "يباركك الرب ويحرسك. يضىء الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً" فان تكرار اسم الرب فيها ثلاث مرات يؤكد حقيقة كون الله تعالى ثلاثة اقانيم ومما هو منسوب إليهم نتبين انهم الآب

والابن والروح القدس!!

اما "التقديس الثلاثى" الوارد فى اشعياء (٦:٣) ومثيله الوارد فى رؤيا (٤:٨) وقد ورد فيهما ذكر كلمة "قدوس" ثلاث مرات ورب الجنود مرة مما يحقق ان الاقانيم ثلاثة والجوهر واحد - وقد تلاه فى اشعياء النداء الالهى المباشر بصيغتى المفرد والجمع معا فى القول : من ارسل ومن يذهب من أجلنا (ع٨) فان استخدام ضمائر وافعال الجمع هنا ينفى زعم شهود يهوه باقتصارهما على المفرد، **مما يؤكد اجتماع الثالوث فى الوحدانية - فهذا مما لا يقيم له شهود يهوه وزنا ويتهربون من مواجهته!! وما شأنهم بهذا التقديس الثلاثى الذى هو تسبيح الملائكة الدائم أبد الدهر!!**

واما إرسالية الابن الواردة فى اشعياء ٤٨ فنرى فيها برهانا قاطعاً من العهد القديم على وجود ثلاثة الأقانيم حيث نجد القول : "منذ وجوده أنا هناك والآن السيد الرب أرسلنى وروحه". ومن العجيب أن هذا الذى تعلن عنه هذه الارسالية هو الذى يوصف فى النصوص السابقة بما يفيد انه يهوه الله الازلى الابدى الخالق فى عبارات واضحة تدل على ذلك، وهو فى نفس الوقت المرسل من اثنين معه وهما السيد الرب وروحه، **مما يدل تماما على أن الله مثلث الاقانيم، وانهم متساوون فى المقام والازلية، لان المرسل هنا ليس بأعلى من المرسل بحكم ما وصف به ... ولكن بما ان الله واحد إذاً لابد أن يكون فى جوهره الواحد ثلاثة أقانيم!!**

وفى كتاب المزامير (مز ١١٠: ١، ٢) نجد ثلاثة وجوه إذ يقول : «قال الرب لربى ...» ها اثنان ، وبعد هذا يقول : «يرسل الرب قضيب عزك» فمن هنا يتضح ان الآب يخاطب الابن، وهذان وجهان، وأما الوجه الثالث فهو الروح القدس الذى يرسل قضيب العز!!

هذا وقد جاء فى سفر (هوشع ١:٤-٧) القول : "فقال الرب ... وأما بيت اسرائيل فارحمهم واخلصهم بالرب الههم" والمتكلم هنا هو المرسل مبيناً اسم ووظيفة من سيرسله وكلاهما اسمه الرب فلا بد أن يكونا اقنومى الآب والابن المتميزين وإلا فلا معنى لهذا النص!!

ومثله ورد فى سفر (زكريا ٢:٨، ٩) "قال رب الجنود بعد المجد

ارسلنى رب الجنود "وايضاً" وأقويهم بالرب فيسلكون باسمه يقول الرب" (١٠:١٢) وليس فى تكرار رب الجنود من معنى اذا كان هو فرد بعينه لا غير، وليس من حل لهذه المعضلة إلا فى تعدد الاقانيم فى اللاهوت الواحد. **وقد اورد هذا النبى فى (اص ٣:٢) انتهار ملاك الرب للشيطان بقوله له "لينتهرك الرب يا شيطان"، فهو الرب (الابن) وابن الرب (الآب) وهما واحد فى الجوهر ولذلك نسب الانتهار للجوهر الواحد الذى لكليهما!!**

ظهور عقيدة التثليث فى العهد الجديد بما لايقبل المناقشة :

وذلك فى مواضع كثيرة منه لاتقبل التحوير ولا التأويل، منها ما جاء بلسان المسيح نفسه فى (يوحنا ٣:١١) قوله : «... اننا نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا» وفى عبارته هذه اعلان صريح عن أقانيم الله وعلى ان الابن المتكلم واحد منهم، لانه باستعماله وهو فرد صيغة الجمع كان يشير الى نفسه والى ابيه وروحه باعتبارهم الله الواحد الشاهد لنفسه شهادة شاهد عيان! كذلك قوله فى (يوحنا ١٤:٢٣) لمن يحبه : **"اليه نأتى وعنده نصنع منزلا"** وليس من السهل مطلقاً أن نفهم صيغة الجمع هنا ما لم نر فيها - تصريحا لفظياً من السيد المسيح باتيانه هو والآب والروح المعزى للسكنى فى الأصفياء. وكذلك طلبه له المجد فى صلاته الشفاعية فى (يوحنا ١٧:٢٢) لأجل المؤمنين بالقول : «ليكونوا واحدا كما اننا نحن واحد» وهذا تصريح آخر بوجود الاقانيم. وقد شهد سائر الرسل وخاصة الثلاثة الكبار يوحنا وبطرس وبولس عن الأقانيم فى الرسائل الخاصة بهم!!

* هذا وقد تجلت حقيقة الثالوث فى سماء الوحى فى عماد المسيح فى الأردن حتى اطلق عليه عيد الظهور الالهى لوضوح الاقانيم الثلاثة بواسطته، فقد أثبت هذا الحادث ثلاثة اقانيم حاضرة موجودة قائمة متصلة ومتميزة :

فالابن باقنومه فى شبه انسان اذ تأنس بارادته لم يزل اقنوماً قائماً لايرى، والروح القدس باقنومه شبه حمامة غير اقنوم الابن - وهو غير منظور وغير متجسد، وانما ظهر ليوحنا فى شبه حمامة ليحقق ان له اقنوماً خاصاً أيضاً، كذلك سمع يوحنا صوت الآب من السموات وهذا يدل على انه اقنوم مع ان الآب لايحد بصوت اذ هو غير متجسد وليس له صوت غير الابن الذى هو كلمته، ولكنه ظهر

ليوحنا بهذا الصوت ليحقق ان له اقنوماً خاصاً غير الاقنومين الآخرين اللذين رآهما وانهما فيه بغير انفصال - **وكل ذلك يحقق وجود الاقانيم!!**

* *

وكذلك فى دستور المعمودية ونصه : "عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨ : ١٩) وهنا قد ثلث الاقانيم ووحد الاسم دلالة على تساويهم فى المجد ووحدتهم فى الطبيعة لكون اسم الثلاثة واحد وهو لفظة إله - ومع كل هذا فان شهود يهوه يحسبون الروح القدس مجرد ريح ويتنكرون لاقنوميته مع انها ثابتة رغم أنوفهم فى وروده هنا مع الآب والابن، ولايخفى ان الآب اسم ذات، والابن اسم ذات، فلا بد أن يكون الروح القدس مثلهما اسم ذات، وإلا يكون الوحى قد أخطأ فى مساواة اسم المعنى باسم الذات فى الحقوق والصفات لأنه ربط بين الاقانيم فى دستور المعمودية بواو العطف اثباتا لوجودهم ووحدة جوهرهم!! ولكنهم ينكرون اسمه الشخصى مع اعترافهم بنسبة الضمائر والاسماء الشخصية اليه وهم يتناقضون فى ذلك بالقول بان تشخيص الروح القدس لايجعله شخصاً، وان استعمال ضمير المذكر له لانه المحايد كما يزعمون واما نسبة الكلام اليه وكذلك الاعمال الفائقة فانهم يشبهون ذلك بموجات الراديو اذ هم يعتبرونه شيئاً اشبه بطاقة أو قدرة إلهية!!

ونجد أيضاً ذكر الاقانيم واضحاً فى البركة الرسولية ونصها : "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم آمين" (٢كو ١٣ : ١٤) وهذا اثبات آخر لالوهية الاقانيم ومساواتها معا وانها فى رتبة واحدة،

واخيراً نأتى الى آية البرهان الختامية الواردة فى رسالة (يوحنا الاولى ٥ : ٧) ونصها : "فان الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد" ويرى البعض بان هناك كلمات فى هذا النص قد زيدت وهى التى وضعتها الترجمة البيروتية بين قوسين، كما ان بعض الترجمات قد أغفلتها وقالوا ربما كانت هامشاً فى احدى النسخ فى احدى الترجمات اللاتينية - وتصور اصحاب هذا الرأى انه يبطل عقيدة التثليث

ويجعلها تنهار ..

ورغم كل هذا فها هو النص الأصلى يقول : "لأن ثلاثة هم الذين يشهدون"، وواضح من نصوص الانجيل نفسه من يكون هؤلاء الثلاثة : فقد جاء فى (يوحنا ١٨:٨) قول الابن : "أنا هو الشاهد لنفسى، ويشهد لى الآب الذى ارسلنى" كما ورد ايضاً فى (٢٦:١٥) القول "روح الحق يشهد لى هؤلاء الشهود الثلاثة هم واحد فى الطبيعة والجوهر واللاهوت"، والشهادة المقصودة هنا هى أن يسوع هو ابن الله وكانت الشريعة تتطلب تصديق شاهدين أو ثلاثة، وهاهم ثلاثة شهود يختمون على ارسالية يسوع المسيح ويشهدون فى السماء ومن السماء وهم واحد!!

ومن ثم فان هذه الكلمات - أيا كان نقدها - لم تنبع من غش أو ضلال - وشهادتهم هذه هى شهادة الله التى يجب ان نقبلها وقد بدأ بقبولها كبريان وترتليان وغيرهم عقب العصرالرسولى مباشرة!!

ويقول وسلى فى هذا الصدد : ان العدد السابع هنا هو إعادة مختصرة لكل ماسبق وروده بخصوص الآب والابن والروح القدس وهو كثيراً مايرد مع العددين السادس والثامن ضمن كتابات الآباء كالذين سبق ذكرهم ... ومن ثم فان هذا العدد بالنسبة للرسالة كلها هو نظير الشمس بالنسبة للارض أو القلب كمركز الحياة بالنسبة للانسان وواضح ان الاعداد الثلاثة (٦،٧،٨) كلها متصلة معا برباط لاينفصم!!

وقد وقف منها الجميع موقف القبول والتقدير حتى انه عندما بدأ بلمر تفسيره لهذه الفقرة قال عنها : انها اعظم فقرة فى الرسالة كلها، بل هى أعظم فقرة فى جميع أسفار العهد الجديد!!

ولاشك أن كل ما أوردناه من آيات البرهان يؤكد وجود الاقانيم فى الله، وانها ليست تجليات أو صفات لأن هذه لايمكن ان تكلم بعضها، ولا يمكن ان تتكلم عن بعضها ولا عن غيرها، مما يدل بما لايقبل النقض انها شخصيات حقيقية متميزة مدركة وشاعرة غير منفصلة عن بعضها لوحدانية جوهرها!!

* * *

الفصل العشرون

أهمية الثالوث وخطورة انكاره ورفضه

«هذا هو ضد المسيح الذى ينكر الآب والابن» (١يو ٤:٢٢)، «ولكن من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة الى الأبد، بل هو مستوجب دينونة ابدية» (مر ٣:٢٩)

تقييم تعليم الثالوث وبيان اهميته :

قبل ان نكشف هنا عن خطورة انكار الثالوث ورفضه، علينا اولا ان نقوم بتقييمه، ونرى ذلك فيما يلى :-

١ - **انه يرفع شأن اللاهوت ويوضح كمالاته** : فالتوحيد دون التثليث يحصر اللاهوت ويجعل العلاقات معه ممتنعة، حتى ان بعضهم لكى يستبعدوا وحشته فى الازل نادوا بأزلية العالم وتأليه الكون بما يسمونه وحدة الوجود وذلك بحلول الله فى الكائنات باسرها وحلولها فيه ..

٢ - **بواسطة الاقانيم يقترب الله من المخلوقات المحدودة** : فالابن يعرف الآب وقد اعلنه بناء على ذلك، وكذلك الروح القدس يقوم باعلان الله لارواح البشر، ولولا ذلك لكان الله بعيداً عنا، محجوباً عن إدراكنا، منفصلا عن اختبارنا ... مما يجعل علاقته بنا معدومة!!

٣ - **على اساس الثالوث الذى تتميز به المسيحية عن كافة الاديان تم الفداء** : فالآب اراده والابن نفذه والروح القدس يقوم بتطبيقه - والواقع انه بدون الاقانيم لايصح أن يكون الله فادياً ومخلصاً ومقدساً وشفيعاً وقاضياً فهى إذاً اساس هذا كله ... وهو تمييز واضح وحاسم!!

٤ - **ان الثالوث يقدم الله كالمثل الأعلى أى من فيه المثالية الكاملة فيما يتعلق بحياة الكمال** - فهو يرفع نسبتى الابوة والبنوة ويدعونا ان نتمثل بالله

بالنسبة لابوته السامية، وبدون ذلك فانه يصبح السيد الصارم الجبار الذى تفصلنا عنه الصرامة والجبروت فحسب دون أن يعرف بغير ذلك!!

٥ - ان قيمة هذه العقيدة - فى نهاية المطاف - تكمن فى انه يجب علينا أن نؤمن بالله بحسب ما اعلن عن ذاته، وليس كما يروق لنا ان نصوره لانفسنا، وذلك لان عقيدة الثالوث تعليم كتابى يستند الى نصوص الكتاب المقدس نفسه، فهى ليست من العقل لأنها فوق الطبيعة، ولا من تأليف الفلاسفة، ولا من وضع المجامع، وانما من كتاب الله وحده، ومصدره الاعلان المباشر من الله نفسه!!

ولذلك فانه من جانبنا لولا أن الكتاب المقدس قد نص على أن الله هو: «الآب والابن والروح القدس»، ولولا ثبوت صحة النصوص الواردة عن ذلك. لما خطر ببالنا قط ان يكون هذا هو كنه الله أو حقيقة ذاته!! ومع انه قد يظهر مبدئياً ان التأمل فى عقيدة الثالوث أمر متعذر، إلا ان الحقيقة لابد أن تنكشف بعد الدرس الدقيق، مصداقاً للحكمة التى تقول: ان المعلومات القليلة تخرج الناس من الدين، والبحث العميق يعيدهم اليه ..!!

الثالوث فى ضوء الوجود الالهى المطلق:

من المعلوم ان وجود الذات الالهية وجود مطلق أى لامتناه وهو بالطبع يلغى التعدد، لأن المطلق لايرى إلا واحداً لانه وجود فى كل مكان وزمان بلا تحديد، وهذا لايكون إلا لله وحده اذ انه تاج كمالاته الذاتية - اى اوصافه الطبيعية اى التلقائية التى يتصف بها بطبيعة جوهره الفريد، والتى تدل على وجوده الذاتى اى الموجود وجوداً حقيقياً وخصوصياً، كائناً بذاته كينونة مطلقة تفوق ما لسائر الكائنات تفوقاً كلياً، لكون هذا الوجود المطلق وجوداً لا علة له، فلا هو مبتدىء ولا مخلوق - انه الذات الإلهية من حيث انه وصف لكمالها غير المحدود وغير المتغير من سائر الوجوه لثباتها على وجه الاطلاق، **مع اننا نعجز عن فهم كيفية ذلك بسبب ان اللامتناهى يفوق إدراك العقول المتناهية!! إذ هو غير خاضع لشروط الوجود الطبيعى الذى تخضع له سائر الكائنات**

ومنها التحدد والانحصار فى حيز معلوم، وهذا هو الوجود تام الكمال لانه كامل فى ذاته كمالا مطلقاً ولا يشاركه فى وجوده المطلق هذا أحد .. وهذا يمتد بالطبع الى "الثالوث الاقدس" فان العقل وإن كان لايدرك سره، إلا انه يثبت منه ويراه على وجه ما، كامكان تصوره غير متناه دون ان يدرك امتداده، كقول ديكارت : "اننى اتمكن مثلا من لمس الجبل دون أن يكون فى وسعى اكتنافه".

فمن ذا الذى يتطاول الى اختراق هذا السر أو الزعم بان الكثرة مع الوحدة أمر مستحيل ويناقض العقل - فان وحدانيته فى عظمتها المطلقة تحوى ثلاثة أقانيم متساوية تماما فى الجوهر .. وكل من لم ير الوحدانية التامة فى الاله المثلث الاقانيم عجز لغوياً عن تفسير المطلق إذ لابد من اتحاد المطلق فى ذات واحدة (اى كيان موحد) والإختلاف هنا بين الاقانيم غير موجود، لانه لو وجد لاعطى انطباعاً بتعدد الآلهة، ولكان الله غير مطلق بل وأقل من المطلق مما يعطى المجال للشك فى التقاء أقانيمه ازليا فى وحدانيته التامة عينها - وهنا نرى ازمة من يعترض على التثليث الكتابى : انها ازمة كل من لايرى الجوهر المطلق فى كل اقنوم ولا يقدر ان يرى التجانس الكامل فى ذات الله الازلى المثلث الاقانيم -انه يخاف أن يتطلع للثالوث الاقدس لأنه يخشى أن يرى فيه ثلاثة آلهة بدلا من إله واحد وجوده مطلق فى كل اقانيمه، وهو يتجنب ذلك بسبب عجزه عن التفسير، مع ان من حق القياس المطلق وحده ان نصدقه، لاننا لسنا كائنات مطلقة لكى نملى ارادتنا وفكرنا على المطلق أو نتعامل معه بالحوار والنقاش - انه يهرب منا امام المصادقة عليه بحجة عقائدية، لاننا لو أحطنا به لصرنا فى مصاف الآلهة!! وجوابنا هنا هو ان بروز وحدانية الله فى الكتاب المقدس وانه مطلق بمعنى ان الكون لايسع آخر نظيره - لانه لامتناه - لايمنع بالضرورة كونه ثلاثة اقانيم فى جوهر واحد، وخاصة ان كتاب الله قد وصف كل اقنوم منها بما وصف به ذات جوهر الله اى بصفة الوجود المطلق، اى أن حياتها الواحدة تتميز بهذا الوجود اللامتناهى!!

عدم جدوى استخدام "التوحيد" لمعارضة التثليث :

ربما يبدو حسب الظاهر ان التوحيد اسهل مأخذاً من التثليث لكن توجد اسباب تحملنا على الظن بعكس ذلك اى ان التثليث وان كان لدى البعض أمر يصعب قبوله لكنه فى الواقع اسهل من اختلافات التوحيد المطلق، ومشاكل الصفات وكيف تتميز الواحدة عن الاخرى تمييزاً حقيقياً دون أن يقال بان ذات الله مركبة، أو نقر بوجود كثرة فى ذاته - ومن ثم فان هناك اعتقاداً بوجود كثرة فى صفاته دون ان تغير من وحدته، ورغم الاختلاف فى تحديد هذه الصفات وتحديد العلاقة بينها وبين الذات إلا انهم لم ينكروا وجودها ولكنهم اقروا فقط بعجز العقل البشرى امامها وظنوا انها تحقق معنى الكمال لله فحسب، إلا انهم أخطأوا فى تصوره وتفسيرهم لمعناه، لأنهم جعلوا من الثالوث عشرة لأنفسهم رغم تسليمهم بان الله أعلم بنفسه وبما يجب له من صفات : ونظراً لانه **يستحيل إدراك الله كوحدة محضة مطلقة بلا صفات أو بصفات عاطلة، فانه لذلك وجب التسليم بان ذلك يتناسب مع وجود ثلاثة الاقانيم فى الوحدة الالهية دون ان يتناقض معها!!** فضلا عن انه يؤدى الى حل مشاكل الوحدانية المطلقة ومعضلات الوحدانية المجردة لان التنزيه البالغ فيهما يؤدى الى عزل الله عن كل ما سواه كما ينشىء البلبلة فى التثليث **ومن ثم فان كلا الوحدانيتين السابقتين أى المجردة والمطلقة لا تدلان على وجود حقيقى لقائم بذاته منذ الازل لا يحتاج فى كماله الذاتى الى ذى كيان آخر تكتمل به صفاته!! وليس الحل هنا الهروب من هذه المسائل الجدلية الفائقة الى ما يتوافق مع عقل الانسان ومنطقه** .. بل توضيح التثليث بمعناه الصحيح بان لايكون بمذهب تعدد الذوات أو تفاوت الدرجات أو تنوع التجليات، **لان الاقانيم ليسوا ثلاثة آلهة وليسوا نواباً فى اللاهوت ولا اشباه لله ... وهكذا يوضح التوحيد التثليث ويقرره على خلاف ما يظن فيه من انه يشوب أو يبطل وحدانية الله!!**

* *

ولذلك فان تعليم الثالوث موجه للعقل، فهو يستلزم إعمال الفكر

والاستقصاء فى البحث والدرس، وبعد ذلك تزول كل صعوباته - وعندئذ يرى الباحث انه أقرب للعقل والتصديق من تعليم الوحدانية البحتة الذى يعلن عن إله ذاتى مستقل كائن بمفرده منذ الازل - إله ذاتى محض ذى وحدة مجردة ووهمية بعكس ما تراه المسيحية فى الثالوث من أن به "الله الكامل فى ذاته متضمن فى كيانه كل ما هو ضرورى لأجل كماله".

ومن ثم فان ماكتبه مؤلف كتاب : «دراسات فى العقيدة فى ضوء العقل والعلم» : بان التثليث مع التوحيد ضرب من التناقض لايقبله العقل، وان من يقبل المسيحية الحالية، عليه أن يلغى عقله، مع ان العقل هو الانسان الذى هو هدف الاديان جميعاً - لكنه العدو الأول للمسيحية ... وهذا كله مردود ليس لسبب ارتباط الحضارة بالمسيحية من كل وجه، بل لأن ما قال به انما هو محاولة غير مجدية لتأليه العقل وفرض سيادته المطلقة ليكون بذلك قاضياً للحكم على ما أعلنه الوحى - وهذا كله ظاهر البطلان إذ سبق أن اثبتنا ان الاعلان بطبيعة الحال أعلى من العقل ولا يخضع له، وانما الاوجب والاصح هو أن يخضع العقل للاعلان !! فليصمت إذاً العقل وينطق الوحى وحده اذ هو الذى يجب ان تذعن له الافهام وترضخ لسلطانه العقول، اذ ليس من شأن العقل وحده أن يستقل بالوصول الى الحقيقة - وعلى وجه خاص فى نطاق الالهيات - بدون مرشد الهى فى حين ان الاجماع يؤكد تعذر البحث فى الذات الإلهية وعدم جوازه!!

* *

فاذا لم يرق لمنكرى الثالوث - من أهل التوحيد المطلق ما ذكرناه، فاننا نسألهم بدورنا أن يقولوا لنا عن التسعة والتسعين صفة أو اسماً لله - هل هى قديمة أم حادثة!؟ فان كانت حادثة فالحادث ليس بأزلى، وهذا لايتفق مع التنزيه، أما اذا كانت صفاته قديمة بقدمه تعالى، قلنا لكم بصفتكم موحدين توحيداً مطلقاً ولا تعتقدون بوجود الاقانيم :

مع من كان يتكلم الله قبل ان يخلق الملائكة والبشر ؟ ولمن كان ينظر ؟ ولمن كان يسمع؟ ومع من كان فى سلام؟ ولمن كان يؤمن ويصدق؟ ولمن كان عزيزاً وهو العزيز ؟ وبمن كان يعلم ويبصر وهو العليم البصير ! ؟ وبين من كان يعدل وهو العادل ! ؟ ولمن كان شكوراً وهو الشكور ! ؟ ولمن كان يتودد وهو الودود ! ؟ ولمن كان مجيباً وهو المجيب ! ؟ ولمن كان جامعاً وهو الجامع ! ؟ ومع من كان يحب وهو المحب ... الخ - فهل كانت هذه الصفات قبل الخلق معطلة، وهى فيما لو كانت كذلك فانتم به تنسبون العجز والاحتياج لله ! ؟

ولذلك فقد أمسك غير المسيحيين عن البحث فى ذات الله وما تدل عليه كنهها وصفاتها من التوحيد أو التعدد وقد عبر عن ذلك أحد مشاهيرهم بالقول :

العجز عن طلب الإدراك إدراك والبحث فى عين ذات الله إشراك

ومع ذلك فان كثيرين منهم لايزالون على اعتراضهم مع انه لم يضر العقيدة نفسها ولا المتمسكين بها بالحق فى انحاء العالم - ولكن المعترضين انما يضرون أنفسهم إن هم أصروا على ذلك - لأن كلامنا هنا لا يحسب افتراء منا، لاننا لم نتكلم به من انفسنا، بل وجدناه فى كتاب الله. ولقد كان من المستحيل على أى أحد التوصل الى معرفة شىء عن الثالوث قبل اكتمال الاعلان عنه وذلك بالتجسد الذى مهد لحلول الروح القدس الذى هو كفيل بكشف اسرار الحقيقة الالهية ومعاونة الفهم البشرى فى ذلك قدر استطاعته فيمن يتسربلون بالتواضع ويرغبون فى الخلاص ! !

أما الذين اختاروا موقف الانكار من الثالوث، فقد تاهت عقولهم بهم وقادتهم الى الخروج عن الاعلان الالهى وذلك اثناء قيامهم بخبث ودهاء فى نشر ضلالهم الشامل الذى به يحرفون عقائد المسيحية وخاصة ممن ارتدوا عنها !

وهم كالفراشة - تحوم حول النور مستأنسة به بقدر وفى نطاق محدود -

لكنها لو تخطته لاحترقت وتلاشى وجودها، ومصيرهم هذا بسبب الكفر والتجديف - هو الهلاك الابدى، ولكنهم يدعون علينا باننا انما نعتقد بالثالوث لمجرد رغبتنا فى ذلك ... فيالها من حجة ويا له من منطق - ولكن لاغرابة فى ذلك وهو من علامات الارتداد فى آخر الزمان!! وكيف يكون الأمر حسبما قالوه عنه مع ان الحقيقة هى ان عقيدة الثالوث ليست سهلة لانها من اهم خصائص الله الذى هو فى كل أموره فوق الإدراك - فهو الكائن الذى يستحيل تعريفه من سائر الوجوه إذ هنا تعجز اللغة عن التعبير !!

فالاقانيم ليست من تنظيمنا ولا هى من اختراع عقولنا لانها لو كانت كذلك لأمكن لنا أن نفهم كيفية تكوينها، ولكن معاذ الله فانها لاتخضع لمنهج وقواعد اللغة اذ اين هى الالفاظ التى يمكننا بها التحدث عن هذا الكائن الاسمى الموجود قبل اللغة بل وقبل الوجود المخلوق باسره.

مدى تأثير عقيدة الثالوث على المصير الابدى :

يسألنا بعضهم عن مدى اهمية عقيدة الثالوث، ولماذا لا نؤمن بالله الواحد فقط دون ان نتعب انفسنا فى مثل هذه العقيدة الصعبة وردنا على ذلك هو ان اعظم اكرام نقدمه لله هو أن نعترف بما اعلنه لنا عن ذاته مما لم نكن لنعرفه بغير طريق الاعلان - ومن هنا وجب احترام البرهان والوقوف فى سلامة الاعتقاد عند هذا الحد، وخاصة واننا فى مجال ما لايمكننا معرفته من تلقاء انفسنا - وما اكثر الحقائق العلمية والطبيعية التى حسبها القدماء مستحيلة لجهلهم اياها ولكن الايام كشفت عنها وبينت ان المستحيل قد أصبح ممكناً !!

ومما لاشك فيه ان حقيقة الثالوث من اخطر الحقائق على الاطلاق وليس كما يقول المعترضون بأن لا اهمية لها ولا تأثير - اذ انه يتوقف عليها المصير الابدى، لأن فى ثبوت صدقها خلاصنا، واما ان لم يثبت فان الهلاك محقق - اذ هى ايمان بالله على الوجه الصحيح وانكارها هو تنكر لحقيقة الله المعلنة !!

وهذا قد جعل لهذه العقيدة اكثر من مجرد اهمية عابرة، فلم يبق امام البشر بازائها سوى خيارين اما القبول أو الرفض وهذا هو مكمن اهميتها القصوى وسبب خطورتها الرهيبة!!

ولاجل ذلك فليس الثالوث مجرد عقيدة يتناولها النقد على ماهى عليه بالتأييد أو الاعتراض او يقدم اقتراحاته بشأنها، **لان أمره يتصل بالذات الإلهية حسبما هى معلنة فى الكتاب المقدس بغير تلاعب فى النصوص بالتأويل أو التبديل مما له آثاره الخطيرة فى بلبلة الاذهان والعمل على تشريد الناس عن صحيح الايمان!!**

ومن هنا وجب الاقرار بما هو عليه الحقيقة الإلهية بحسب ما اعلنه الوحى لا انتظار مناقشة العقل للوحى فى شأنها، لانها مقدمة لنا للقبول أو الرفض وفى كلتا الحالتين نحن مسئولون عن موقفنا تجاهها مما نتبين منه مدى تأثيرها وانها ليست معروضة للتصويت عليها!!

اما التخلى عن معلنات الوحى فى شأنها وكذلك بالنسبة لعقيدة التجسد واعتبارهها تعدداً والتجسد انقلاب الله الى انسان لانهما فوق طاقة العقل فانه وضع مقلوب وتصديق لادعاء كاذب وهو مخالف للنصوص التى تزيل مثل هذه الظنون، وتحتم على الناس ان يتريثوا فى الحكم على أية عقيدة إلا بعد الفحص والتعمق فى فهم مضمونها وبدون ذلك يحدث تعدى حدود الدين باسم الدين، وقد بالغ بعض المحدثين فى تحاملهم هنا حتى وصل بهم السير فيه الى ماوراء الاعتدال ... وهنا نرى خسارة فادحة تطرأ على معظم الناس ممن يقيدون انفسهم وعقائدهم بتقليد ناقص هيهات ان ينفعهم بشىء بازاء الحقيقة الكلية!!

خطورة انكار الثالوث ورفضه :

لا ريب ان الخالق من رأفته بالبشر بعث لهم نور الاعلان، لينقذهم من الحيرة، ويخلصهم من التخبط والضلال مع ما يتطلبه ذلك من كمال العقل ونور البصيرة، على ان البعض اذا عرض عليهم شىء من الكلام فى الاديان ينصرفون عنه

مخافة ان يخالط الدليل اذهانهم فيلزمهم العقيدة - مع ان معاناة التعب فى كشف الحقيقة ليست شيئاً بالقياس الى ما يحصل من لذة الاطمئنان على الحق بقدر ما للانسان من استطاعة!!

ولا شك ان عقيدة "التثليث والتوحيد" هى مركز عقائد المسيحية ولذلك فهى تحتل المكانة الأولى فيها، ولا غرو فى ذلك لانها اعتقاد بالله على نحو ما أعلنه سبحانه فى كتابه العزيز - وهو سبحانه هكذا كما أعلن - فليقل الناس ما شاءوا فان على كل منهم إما الرضوخ لما يمليه المنطق البشرى واما تصديق الله وقبول اعلانه المعصوم .. وهو محيط واسع وعميق فائق الإدراك!!

على أن قبول هذه العقيدة بالايمان أمر مطلوب منا، اذ عليها تقوم الديانة الحقيقية المرتبة من الله والتى اذا خرجنا عنها لا يحق ان ننتظر الخلاص!!

نحن لاننكر قيمة الوحدانية وقد تقررت بنصوص عديدة فى التوراة والانجيل ويشير الرسول يعقوب بان الشياطين نفسها تؤمن بان الله واحد وتقشعر - ولكن هل الايمان بوحدانية الله كاف للخلاص ودخول السماء؟ كلا : فان ايمان بعضهم قديماً وحديثاً لايختلف عن ايمان الشياطين فى ذلك لانهم لما عرفوا الله (اى آمنوا بوجوده ووحدانيته) لم يمجدوه ويشكروه كإله (رو ١:٢١) - وتشير كلمة الله الى حقيقة ان الذى ينكر عقيدة الثالوث بحجة انه يؤمن بالله الآب فقط دون الابن والروح القدس فلا معرفة له بالله مطلقاً ...

وأما الذين رفضوا ما أعلنه الله عن وحدة ثالوثه، فلا عذر لهم، لأنه من أنت ايها الانسان حتى تحاول ان تجاوب ضد اعلاناته القدسية عن كنهه فتتمسك بجانب من الحقيقة الإلهية - وهو وحدانيته - وتقوم على حسابه بتبسيط ذلك الكيان الإلهى وذلك بانكار ورفض الاعلان عن ثالوثه حسب تكامل الاعلان عن الجانبين معاً الوحدانية والثالوث فى الذات الإلهية!!

فلا شك ان فى التوحيد شعاعاً من الاعلان فيه بصيص من النور يعتبر البداية فى معرفة الإله - ولكن فى التثليث استكمال نور ذلك الاعلان واكتماله، ورغم ذلك فان بعضهم من اهل التوحيد يقول بان الدين الخاص بهم هو الذى يعلم كينونة الاله التام!!

* *

ومما يؤكد خطورة انكار "الثالوث" بعد أن ثبت أن ليس فيه شرك ولا تعدد وتحديد، بل هو متفق مع وجود الله المطلق بدون احاطة أو قياس - ان رجاء البشرية فى الخلاص متوقف على قبوله ... ومن ثم فان الذين اكتحلت أعينهم بنور الوحى الالهى هم الذين رأوا هذا الحق العظيم، فآمنوا بما كشف لهم الاعلان السماوى عن الله تعالى!! اذ وجدوا ذلك الاعلان كاملا صريحاً تام الوضوح جامعاً بين التوحيد والتثليث!!

وجدير بالذكر هنا ما ختم به اثناسيوس دفاعه المجيد عن هذه العقيدة بالقول : "ان كل من ابتغى الخلاص وجب عليه أن يتمسك بالايمان الجامع العام للكنيسة - وان كل من لايحفظ هذا الايمان بدون إفساد يهلك هلاكاً أبدياً ...!!"

وايماننا المسيحى يتلخص فى قانون الايمان ونصه : "بالحقيقة نؤمن باله واحد الله الآب ضابط الكل خالق السماء والأرض ما يرى وما لايرى .." وهو المقبول من جميع المسيحيين - بكل طوائفهم ومذاهبهم - على حد سواء!!

* *

والآن ياالهنا الواحد، الجامع فى ذاتك أقانيمك الثلاثة، عليك أنت أن تدافع عن حقيقة وجودك هذا، وتقنع به الضمائر، فهذه هى مسئوليتك لكى تتمجد فى ذاتك الواحدة المثلثة الاقانيم!!

لأن لك المجد والعظمة والقدرة والسلطان الآن والى كل الدهور. آمين

* * *

الفهرست

	صفحة
تقديم	٣
الفصل الأول : الاعتقاد بوجود الله ومكنوناته	٦
الفصل الثانى : أصل عقيدة الثالوث ومنشأها	١٧
الفصل الثالث : مراحل قبول عقيدة التثليث فى المسيحية	٢٤
الفصل الرابع : عقيدة الثالوث تأخذ شكلها الرسمى	٢٩
الفصل الخامس : الثالوث الاقدس سر الاسرار	٣٥
الفصل السادس : الثالوث اعلان الوحى وهو فوق العقل	٤٨
الفصل السابع : بطلان رفض الثالوث لعدم المشابهة	٧٠
الفصل الثامن : ربط الثالوث بالوثنية افتراء محض	٧٩
الفصل التاسع : تفنيد الادعاء باسناد الثالوث الى الفلسفة	٨٥
الفصل العاشر : اتفاق فى التثليث لايجيز المخالفة	٩١
الفصل الحادى عشر : اوصاف خطيرة بعيدة عن الحقيقة	١٠٢
الفصل الثانى عشر : اساليب ملتوية ابتدعها المنكرون	١٠٩
الفصل الثالث عشر : تفسير الثالوث بمنطق المحبة الإلهية	١٢٢
الفصل الرابع عشر : شبهات حول الثالوث تحول دون قبوله	١٣٣
الفصل الخامس عشر : حمل الاقانيم اسم الجلالة الالهية ودلالته	١٤٢
الفصل السادس عشر : ترك الصدورات الالهية انكار للثالوث	١٤٨
الفصل السابع عشر : كثرة الصفات فى الذات اثبات للثالوث	١٦٧
الفصل الثامن عشر : التثليث يتكفل بحل معضلات التوحيد	١٧٤
الفصل التاسع عشر : آيات البرهان على وجود الثالوث	١٨٧
الفصل العشرون : خطورة انكار الثالوث ورفض قبوله	١٩٨

تم هذا الكتاب، وتقديمه للطباعة - بعونه تعالى
فى اواخر شهر ديسمبر عام ١٩٩٤

هذا الكتاب

من أعمق ما كتب فى التثليث والتوحيد، بل انه أعمقها على الاطلاق، ولن نبالغ اذا قلنا انه تاج المطبوعات المسيحية، اذ يبحث فى عقيدة هى محور ارتكاز المسيحية عبر القرون الغابرة وحتى نهاية العالمين، فقد حرص كاتبه على أن يكون كتاباً لجميع فئات بنى البشر الناطقين بالعربية، فيخاطب اصحاب المنطق بمنطقهم والفلاسفة بفلسفتهم، والكتابيين بكتابهم المقدس، والمنكرين بما يدحض حججهم ويقوضها بمدلول أقوالهم التى يناقض بعضها بعضاً، فتهوى صريعة على أرض الحق والايمان المسيحى القويم، وذلك من خلال عشرين فصلا، كل منها تثبيت لما قبله وتمهيد لما بعده، حتى إذا ما انتهيت منه وجدت نفسك محاصراً بالأدلة والبينات التى لاتملك معها إلا التسليم بعقيدة الثالوث الأقدس كما يؤمن بها المسيحيون قاطبة ولذلك فقد استحق هذا الكتاب أن يكون المرجع الأساسى المتكامل لهذه العقيدة المباركة.

أما الكاتب فحدث عنه ولا حرج، فمع شهرته الواسعة، وباعه الطويل فى مثل هذه الكتابات بأسلوبه المتميز العميق، وانتقائه للألفاظ لفظاً لفظاً، إلا أنه فى هذا الكتاب قد تفوق على اقرانه جميعاً، بل اذا جاز القول انه تفوق به على نفسه، ولو لم يقم بكتابة سواه لكفاه، لكننا نعلم أنه مازال فى جعبته سهام وسهام.

نسأل الله أن يجعل هذا الكتاب نوراً يقشع به ظلمات الجهل بهذه العقيدة المقدسة، وهداية لمنكريها، وتثبيتاً لمعتنقيها، وسلاحاً بتاراً فى يد المدافعين عنها، كما نطلب بركة لكاتبه وقارئيه، ونقدم كل مجد واكرام وعز وسجود للثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس الإله الواحد الى أبد الآبدين. آمين

الثمن خمسة جنيهات